

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

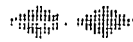


الدولة السعدية

الجزء الخامس



تمحيق وتعليق ولدى المؤلف :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

اهداءات ٢٠٠٢

أد/محمد طه العاجري

الاسكندرية

الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقراء

لأخبار دول المغرب الأقصى

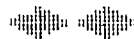


الدولة السعودية

الجزء الخامس



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحب السادة :
الأستاذ جعفر الناصري — والأستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة السعدية

الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان
وذكر أوليتهم وتحقيق نسبهم

اعلم أن هؤلاء السعديين كانوا يقولون : ان أصل سلفهم من ينبع النخل،
من أرض الحجاز ، وانهم أشراف من ولد محمد : النفس الزكية رضى الله
عنه ، واليه كانوا يرفعون نسبهم ويقولون فى أول ملوكهم القائم بأمر الله
مثلا : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن مخلوف بن زيدان بن
أحمد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبى
محمد بن عرفة بن الحسن بن أبى بكر بن على بن حسن بن أحمد بن اسمعيل
ابن قاسم بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن حسن المثنى
ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فهم بنوعم السادة
العلويين أشراف سجلماسة، يجتمعون معهم فى محمد بن أبى القاسم المذكر
فى النسب .

-- قالوا : والسبب فى قدوم سلفهم من الحجاز الى المغرب ، أن أهل درعة
كانت لا تصلح ثمارهم وتعتريها العاهات كثيرا ، فقل لهم : لو أتيتم بشريف
الى بلادكم كما أتى أهل سجلماسة لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم ،
وقد كان أهل سجلماسة جاءوا بالمولى الحسن بن قاسم بن محمد بن أبى القاسم
من أرض ينبع فى قصة ظريفة تأتي فى محلها ان شاء الله ، قالوا : فأتى أهل
درعة بالمولى زيدان بن أحمد ، مضاهاة لأهل سجلماسة ، فعادت عليهم بركته .
واعلم أن هذا النسب الشريف المسرود آنفا فيه -- كما قال اليفرنى -- بتر بين

قاسم ومحمد النفس الزكية فانه لا يعرف في أولاد النفس الزكية من اسمه قاسم ، وانما هو قاسم بن محمد بن عبد الله الاشر بن محمد النفس الزكية ، ولعله سقط عن ذهن من الناسخ . وقيل الصواب انه قاسم بن حسن بن محمد ابن عبد الله الاشر بن محمد النفس الزكية .

واعلم أيضا أن ما زعمه هؤلاء السعديون من انتسابهم لهذا البيت الكريم هو المعروف عند الكافة وتلقاه فضلاء عصرهم بالقبول وأثبتوه في تقریضاتهم ومؤلفاتهم الموضوعة في أخبارهم . ومن الناس من يطعن في ذلك ، ونقله بعضهم عن الشيخ أبي العباس المقرئ صاحب « نفع الطيب » وانه صحح أنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليلة السعدية ، ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا النقل ضعيف لان الشيخ المقرئ صرح في نفع الطيب بشرف هؤلاء السادة في غير موضع وهو من آخر ما ألف .

وممن طعن في نسبهم المولى محمد (فتحا) بن الشريف السجلماسي أول ملوك السادة العلويين ، صرح بذلك في بعض الرسائل التي كانت تدور بينه وبين الشيخ ابن زيدان منهم قال فيها : « وقد اعتمدنا في ذلك ، يعني في عدم شرفهم ، على ما نقله الثقات المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلمسان وفاس ، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم الا من بني سعد بن بكر » اهـ .

ويحكى شائعا عن الفقيه الورع المولى أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي - وكان من أهل الصلاح والدين - أنه كان ذات يوم جالسا مع المنصور السعدى في بعض قصوره من حضرة مراكش ، وهما مجتمعان على خوان طعام ، فقال المنصور للشيخ أبي محمد : « أين اجتماعنا يا فقيه؟ » يعني في النسب ، فقال أبو محمد : « على هذا الخوان » ويروى : « في هذا المشور » فأسرها المنصور في نفسه ولم يدها له الى أن احتال عليه بما كان السبب في اتلاف مهجته ، فكان المنصور بعد ذلك يدعو الشيخ أبا محمد فيجلسه على الرخام في زمان كلب البرد ويهيجانه من غير حائل ، وقد اتخذ المنصور ، فيما زعموا ، لبدة صوف داخل سراويله لا يحس معها بالبرد ، فاذا رآه أبو محمد

جالسا معه تجلد واستحيى أن يقوم عن السلطان ويتركه ، ويستمران على المذاكرة فى مسائل العلم ، فعل ذلك به أياما حتى سكنته علة البرد فلم يزل أبو محمد يشتكى من ذلك الى أن قضت عليه .

وأنكر هذا صاحب « نشر المثنى » ورده بتأخر وفاة ابن طاهر عن وفاة المنصور بأكثر من ثلاثين سنة .

وجواب أبى محمد هذا من النوع البائى المسمى : « بتلقى المخاطب بغير ما يترقب » على ما هو معروف فى كتب الفن ، وانما سأله المنصور لما مر من أن السعديين يزعمون أن جددهم قدم من ينبع أيضا كما قدم جد العلويين ، والعلويون ينكرون ذلك كل الانكار ويقولون: انهم لم يجتمعوا معهم فى قبيل ولا دبير .

قال اليفرنى: « لكن صحح لنا غير واحد من أسياننا أن الشيخ ابن طاهر رجع عن ذلك الانكار ، وان المنصور أطلعه بعد ذلك على ظهير فيه خط الإمام ابن عرفة وشيخه ابن عبد السلام بثبوت نسبهم فاطمأت نفس ابن طاهر لذلك فكان يصرح بصحة نسبهم بعد ذلك ويزجر من يطعن فيه اه .

قلت : وهذا هو الصواب اذ مستند من يطعن فى نسبهم عدم وضوحه ، ولا يلزم من عدم وضوحه عدم ثبوته فى نفس الامر ، والا فيبعد أن يكون هؤلاء المنكرون قد اطلعوا على احوال عمود نسبهم وما اشتمل عليه من الاتباء والاجداد من لدن مبدئه الى منتهاه مع طول المدة وتناسخ الاجيال ، فالتنكير عن ذلك عسير جدا ، ولذا وكل الشارع أمر الانساب الى أهلها ، وجعلهم مصدقين فيها ، اذ لا تعرف غالبا الا من قبلهم . فهؤلاء السادة الزيدانيون لو فرضنا أنهم ما كانوا ملوكا ولا بلغوا من الشهرة الى حيث بلغوا ثم ادعوا هذا النسب الكريم فلا سبيل لاحد أن يدفعهم عنه الا بقاطع ، ولا قاطع كما علمت . نعم الحكاية المسوقة فى سبب دخولهم الى المغرب يظهر عليها أثر الصنعة والله أعلم بحقائق الامور .

وأما تسميتهم بالسعديين فقد قال اليفرنى : « ان هذه النسبة لم تكن لهم فى القديم ، ولا وقعت بها تحليتهم فى ظواهرهم ولا فى سجلاتهم وصدور

رسائلهم بل كانوا لا يقبلون ذلك ولا يجترؤا أحد على مواجهتهم به ، لأنه
انما يصفهم بذلك من يقدح في نسبهم ويطعن في شرفهم ويزعم أنهم من بني
سعد بن بكر كما قلنا ، وكثير من العامة واخوانهم من الطلبة يعتقدون أنهم
انما سموا بذلك لان الناس سعدوا بهم ونحو ذلك مما لا معنى له ، اه .
قلت : وانما نصفهم نحن بذلك لانهم اشتهروا عند الخاصة والعامة به
فصار كالعلم الصرف المرتجل مع أنه لا محذور بعد تحقيق النسب وثبوت
الشرف ، والله تعالى يلهنا الصواب بمنه وفضله .

|||

الخبر عن دولة الامير ابي عبد الله محمد القائم بامر الله وبيعته والسبب فيها



قال ابن القاضى فى «درة السلوك» : « لم يزل أسلاف السعدين مقيمين
بدرعة الى أن نشأ منهم أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله فنشأ على عفاف
وصلاح ، وحج البيت الحرام ، وكان مجاب الدعوة ، ولقى جماعة من العلماء
الاعلام والصلحاء العظام فى وفادته على الحرمين الشريفين ، أخبرنى بعض
الفضلاء أنه لقى رجلا صالحا بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
فأثار له بما يكون منه ومن ولديه ، وكان قد رأى رؤيا وهى : أن أسدين
خرجا من احليله فتبعهما الناس الى أن دخلا صومعة ووقف هو بابهما ،
فعبزت له رؤياه بأنه سيكون نولديه شأن ، ولأنهما يملكان الناس . ثم رجع الى
المقرب وهو معلن بالدعوة ، فيقول فى كل محفل : ان ولديه سيملكان المغرب
وسيكون لهما شأن من غير تردد منه ، ثقة بخبر الرجل الصالح ورؤياه
المذكورة ، فما زال الى أن قام سنة خمس عشرة وتسعمائة ، اه .

وقال صاحب «زهرة الشمايخ» ما صورته : «ان سبب قيام أبى عبد الله القائم
أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر ونزل بجوانبهم من كل جهة حتى
أظلم الجو ، واستحكمت شوكة البرتقال ، وبقي المسلمون فى أمر مريشج

لعدم أميرتجتمع عليه كلمة الاسلام ، لان بنى وطاس فشلت ريحهم يومئذ فى بلاد السوس ، وانما كان لهم الملك فى حواضر المغرب ، ولهم يكن لهم منه بالسوس الا الاسم ، مع ما كانوا فيه من قتال العدو بطنجة وآصيلا وحجر بادس وغيرها من تغور بلاد الهبط ، فلما رأى قبائل السوس ما دهمهم من تفاقم الاحوال وكثرة الاهوال وطمع العدو فى بلادهم ذهبوا الى الشيخ الصالح أبى عبد الله محمد بن مبارك الاقاوى نسبة الى آفة من بلاد السوس ، فذكروا له ما هم فيه من افتراق الكلمة وانتشار الجماعة وكلب العدو على مباركتهم بالقتال ومراوحتهم ، وطلبوا منه أن يعقدوا له البيعة وتجتمع كلمتهم عايه فامتنع من ذلك، وقال: «ان رجلا من الاشراف بتاجمدرات(*) من درعة يقول: انه سيكون له ولولديه شأن، فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان أنسب بكم وأليق بمقصودكم ، فبعثوا اليه وكان من أمره ما كان .

وقال اليفرنى : « رأيت بخط الفقيه العلامة أبى زيد عبد الرحمن ابن شيخ الجماعة أبى محمد عبد القادر الفاسى ما صورته : ذكر لنا الوالد عن سيدى أحمد بن على السوسى البوسعيدى ان ابتداء دولة الشرفاء بالسوس ان بعض السادة وهو سيدى بركات توسط فى فداء بعض الاسارى، وأراد أن يكون مع النصارى اتفاق على أن لا يحبسوا أسيرا ، فكلهم فى ذلك ، فقالوا له حتى يكون لكم أمير ، فان ملككم قد ذهب واضمحل . قال : ثم ان بعض أهل السوس ساروا الى قبيلة جسيمة (*) يكتالون الطعام فأخذتهم جسيمة وأكلوا متاعهم وبضاعتهم ، فذهبوا الى شيخهم ، وكان ذا حزم وتدير ، فرد عليهم كل ما ضاع لهم حتى لم يبق لهم شىء فلما رجعوا الى بلادهم قالوا: ان هذا الشيخ الرئيس هو الذى يليق أن نبايعه ، فاجتمعوا وأتوه وطلبوا منه أن يرأسهم فامتنع ، واحتاط لدينه واعتذر بتشويش هذا الامر للدين ، ودلهم على رجل شريف كان مؤذنا بدرعة فقال لهم : ان كان ولا بد ، فاقصدوا الشريف

(*) تاكمدارت من أعمال فزواطة بوادى درعة قاعدتها الان هى أمزرو وتحتوى

على زاكورا وزاوية البركة وسرت وغيرها اه

(*) قبيلة من ناحية اكادير من جهة الجنوب على شاطئ البحر

الفلاحي فإنه يذكر أن ولديه يملكان المغرب ، فقصده ، وحملوه الى بلادهم وبايعوه وفرضوا له من المؤنة ما يكفيه بأولاده ، وبقي هنالك في نحر العدو وروى أنه لما بايعه أهل السوس ورأى قلة ما بيده مع أن الملك لا يقوم إلا بالليل ، احتال بأن أمر أهل السوس أن يأتوه ببضة لكل كانون ، فاجتمع له من ذلك آلاف من البيض لا تحصى ، لأن الناس اشتبهوا أمر البضة . فلما اجتمع عنده البيض أمر أن كل من أتى ببضة يأتي بدلها بدرهم ففعلوا ، فاجتمع له من ذلك مال وافر ، فأصلح به شأنه وقوى به جيشه ، وكانت تلك أول نائبة فرضت في دولة السعديين والله أعلم .

وقال ابن القاضي : « ان الأمير أبا عبد الله القائم لما اجتمع بالشيخ ابن مبارك ببلده آفة وذلك سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما مر ففاوضه في شأنه ، ثم عاد الى مقره من درعة ، ثم في سنة ست عشرة بعدها بعث اليه فقهاء المصامدة وشيوخ القبائل ، ودعوه الى توليته عليهم وتسليم الامر اليه ، فلبسوا دعوتهم ، وجاء الى قرية يقال لها تيدسي (*) قرب تارودانت . فبايعه الناس بها ، وأصبحوا معه بقلوب متفقة وأهواء على الجهاد مجتمعة » اهـ .

وقد ساق سنويل أولية هذه الدولة مساقا غريبا ، ولا يخلو عن فائدة ، فلنذكر منه ما يقرب الى الصحة ، ويكون كالشرح لما مضى أو يأتي من أخبار هذه الدولة ، قال :

لما كان السلطان أبو عبد الله الوطاسي ، يعني البرتغالي ، أميرا بفاس ظهر في درعة رجل شريف يعنى أبا عبد الله محمدا القائم بأمر الله ، قال : وكان هذا الشريف من قراء القرآن ، ومن أهل العلم والدين والفقر والخمول . . . (*) اسم لموضعين أخذهما بدرعة قرب تارودانت المتقدمة الذكر التي منها اصل السعديين ولعلها كانت مقرا لهم فيما سبق قبل الملك كما يفهم عن رسائله وجهها محمد الشيخ بن زيدان الى مولاي محمد بن الشريف السجلهاسي العلوي تضمنت ما نصه : « وانا من تيدسي احد القصور بوادي درعة الخ » وقربها من تارودانت يؤكد ذلك وتيدسي الاخرى توجد بالقطر السوسي قرب تارودانت ولا زال الموضعان يعرفان معا بهذا الاسم الى يومنا هذا وبالله التوفيق هـ

ولم يكن من بيت الرياسة ، وكان له اطلاع على توارىخ قطره وعوائد جيله وأخلاقهم وطبائعهم ، ورأى ما وصل إليه ملك المغرب من الانحطاط والضعف وتيقن أنه لا يصعب عليه تناوله ، فأعمل في ذلك فكره ومكره ، وصار يحض الناس على القيام بأمور دينهم والامتناع لها ، وكان قد بعث ثلاثة من أولاده ، وهم : عبد الكبير ، وأحمد ، ومحمد الى الحجاز بقصد الحج ، وكانت لهم فصاحة ورجاحة ومعرفة بادارة الكلام ، فظهر لهم ناموس في تلك البلاد ، وأحبهم الناس لا سيما أحمد ومحمد ، ولما رجعا من مكة أقاما بقاس ، وهى يومئذ دار الملك ، وترتب أحمد فى مجلس بالقرويين للتدريس العلم ، فاكسب بذلك مخابها ، وتقرب محمد الى السلطان حتى صار مؤدبا لأولاده ، وبقي على ذلك مدة ، وهما فى ذلك كله يتحيان الى الناس ويسعيان فى مذاهب الشهرة ، والبرتقال فى أثناء ذلك ملج على الثغور واستلابها من أهلها ، ولم تكن تقوم للمسلمين معه راية ، فدعا ذلك الاخوين أحمد ومحمدا الى أن ندبا السلطان ، وهو أبو عبد الله البرتقالى ، الى المناداة فى الناس بالجهاد اظهارا للنصح ، وهما يسران حسوا فى ارتقاء ، وقصدهما تفرقة الكلمة على السلطان لا غير فآغتر السلطان بنصحهما وقال لهما : « لا أحد أولى منكما بالقيام بهذه الوظيفة » فجاباه الى ذلك عن توفر داعية وكمال رغبة ، فأرسلهما يناديان ويستتفران الناس فى نواحي المغرب الى الجهاد ويحضان الناس عليه ، ويخطبان بذلك فى المحافل ، ويعظان وتبعا الجواضر والبوادي ، وتقريا الاحياء والمداسر والقرى ، الى أن وصلا الى درعة حيث أبوهما وأخوهما عبد الكبير فاجتمع بهما وذاكرهما فى أمرهما ، وانهما قد أشرفا على المراد ، وكادا يلجان الملك من بابه ، لان أهل تلك البلاد كانوا سامعين لهم من قبل اليوم فكيف بهم اليوم ، فحينئذ أخذ الاب وأولاده فى نشر معائب الدولة للعامة ، ويقررون ذلك بفصاحتهم ووجهتهم ، وما أوتوه من القبول ، وعضدهم على ذلك شيوخ البلد وتبعهم الناس ، واجتمعوا عليهم من كل جهة ، وصار حالهم ينمو شيئا فشيئا الى أن استبدوا على السلطان ولم يرجعوا اليه بعد .

وقال فى «نشر المائى» : «كان السبب فى قيام الشرفاء الزيدانيين واستدادهم

بملك المغرب أن الحرب نشبت بين النصارى وأهل السوس ، ودامت ، وكان بنو وطاس يمدون أهل السوس بالمال والعدد . فاتفق أن خرج الشريفان محمد الشيخ وأخوه أحمد الاعرج للجهاد مع أهل السوس فظهر مكانهما في الجهاد ، فلما وفدا على الوطاسى تلقاهما بالرحب ، وأقبل عليهما لاجل قيامهما بالجهاد، وأعطاهما عدة وخيولا كثيرة، فرجما الى جهادهما، ثم عادا اليه مرة أخرى فأعطاهما مثل ذلك وكانت لهما وقائع في النصارى ونكاية وظهور، وصارا يكتبان الى القبائل فيساعدونهما على ذلك حتى اجتمعت عليهم جموع عديدة ، فحينئذ خلعا طاعة الوطاسى ودعوا لانفسهما ، اه .

قال منويل : وكان أكثر شهرة أمرهم بالسوس الاقصى ودرعة وأعمالهما ، وصاروا يرفعون اليهم زكواتهم وأعشارهم ، ثم بايعوهم ونهض هؤلاء الاشراف الى تارودانت فاستولوا عليها وحصنوها ، ثم زحفوا الى أكادير لحرب البرتقال فقاتلوه مدة ولم يفتح لهم ، وكانوا يشيعون انهم لا قصد لهم الا في الجهاد ومحاربة عدو الدين ، ومن هو سلم له من المسلمين اذ لم يتأت لهم اذ ذاك التصريح بخلع السلطان .

وفى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة تجاوزوا جبل درن الى بلاد حاحة والسياطمة، ثم دخلوا بسيط عبدة ، وكان بأسفى رجل متنصر للإسمه يحيى ابن تافوت (*) ، احتفى بالبرتقال من السلطان ، وكان معروفا بالشجاعة واتصل خبره بطاغية البرتقال منويل فولاد على النصارى وعلى أتباعه ممن المسلمين تأليفا له .

ولما زحف الاشراف الى بلاد عبدة كان بينهم وبين يحيى المذكور ونصاراهم معركتان شديتان ، كان الظهور فيهما ليحيى، لكن أبو العباس أحمد الاعرج تنارك أمره فورا وجمع عسكرا آخر وخطبهم ووعظهم وزحف الى يحيى المذكور ففض وفض نصاراه الى أن انجسروا بأسفى وأغلقوه عليهم وأتيح لأحمد عليهم ما لم يتقدم لغيره فيهم فبذلك تآتى له أن يتناول ملك المغرب. ولما اتصل خبر هذا الظهور له بالسلطان الوطاسى لم يعجبه ذلك، وظهر

(*) صوابه تمففت كما رأيت مکتوبا فی إحدى رسائله المطبوعة، أصول التاريخ المغربى.

له ان ما كان أحمد وأخوه يخاولانه من أمر الجهاد لم يكن ظاهره كباطنه ،
وحقق الله ذلك ما فعلوه من تحصين تارودانت مع ما كان لا يهيم من نفوذ الكلمة
بالسوس .

وكان نفي هذا التاريخ بمراكش وأعمالها عامل اسمه ناصر يؤشتوف
وكان مستبدا على الوطاسي ويذل له شيئا تافها يتقيه به ، ولما مرت به هؤلاء
الاشراف في أول أمرهم نلّعين إلى الجهاد أحسن اليهم غاية ، ولما أوقعوا
وقعة آسفي أبرموا أمرهم مع ناصر أبي شتوف وأظهروا له المنجة والمؤالة ،
وطلبوا منه أن يظاهرهم على جهاد العدو وأن يكونوا يدا واحدة وجندا واحدا
عليه فأسعفهم ، وقدموا مراكش فدخلوها مرة ثانية وأحسن اليهم ، وبعد أيام
خرجوا به للصيد فسموه في خبز صغير يسفني : القزيشلات فهلك للخن ،
وصفا للاشراف مراكش وأعمالها اذ كان أهلها قد أحببهم وشرهوا اليهم ،
ولما تم لهم أمر درعة والسوس ومراكش تسمى أحمد باسم الامير واستخلف
أخاه محمدا الشيخ .

ولما اتصل الخير بالوطاسي وانهم استولوا على مراكش . ألقبه ذلك ،
ومن مكر أحمد انه بعث إليه يقول : ما أنا الا واحد من عمالك ، وما كان
يعطيه أهل هذه البلاد أبذله لك مضاعفا ، ومع ذلك لم يطمئن اليه . ثم هلك
الوطاسي وولى مكانه ابنه أبو العباس أحمد وانقسمت مملكة المغرب ، فصارت
فاس للوطاسي ومراكش وأعمالها لأبي العباس الاعرج ، وتارودانت والسوس
ودرعة لمحمد الشيخ ، وأما عبد الكبير فانه كان استشهد قبل هذا في حرب
البرتقال قرب آسفي .

ولما رأى أبو العباس الوطاسي استفحال أمر الاشراف وانهم أمسكوا
غنه ما وعدوا بأدائه لابيه عزم على حربهم ، فجمع عسكرا عظيما وزحف الى
مراكش فتحصن أحمد الاعرج بها وقدم عليه أخوه فظاهره على عدوه ،
وفي أثناء تحصار الوطاسي لمراكش اتصل به الخبر بان أهل فاس قد قاموا
عليه وبايعوا بعض اخوته فرجع الى فاس وقبض على أخيه اللائر عليه ثم كراى
مراكش بعسكر أعظم من الاول ، وفي هذه المرة برز اليه الاشراف خارج

البلد ، ثم تقدموا اليه فكان اللقاء على أبي عقبة من تادلا ، ووفعت بينهم حرب هائلة ، لأن اللوطاسيين كانوا يرون أن هذه الحرب هي الفصل بينهم وبين عدوهم والاشراف كذلك . وحضر هذا الحرب أبو عبد الله ابن الاحمر سلطان الاندلس المخلوع وأبلى بلاء حسنا حتى قتل ، وكان الظهور للاشراف يرجع اللوطاسي مفلولا الى فاس وترك مجلته بما فيها من مدافع وغيرها بيد عدوه ، وبعد هذه الواقعة استولى الاشراف على تافيلالت ، وملكوا آكاديير وآسفي وآزمور ، لأن اليرتقال كانوا قد تخلوا عنها ، ثم عن قريب حدث بين الإخوين للنفرة وحاول رجال دولتهما الوفاق بينهما فلم يتفقا ، وكانت الكرة على أحمد ، وفر ابنه زيدان الذي كان عضد أبيه في الحروب الى تافيلالت فاستولى عليها ، واقتطعها عن عمه محمد الشيخ . ثم زحف الشيخ الى فاس فحاصرها الى أن قبض على اللوطاسيين وغربهم الى درعة ، اه كلام منويل . ثم نرجع الى سياقة الخبر عن هذه الدولة حسبما عند اليفرنى وغيره .

اخبار الامير ابي عبد الله القائم في الجهاد وما هيا الله له من النصر فيه

لما استتب أمر الامير أبي عبد الله القائم واجتمعت كلمة القبائل السوسية عليه ندب الناس الى مقارعة البرتقال وجهاده ، ونفيه عن ثغور المغرب وبلاده ، وكانت معه يومئذ جموع حافلة من المسلمين فصدوا معه الى النصارى وناوشوهم الحرب ، فأتاح الله للامير أبي عبد الله الفتح والنصر ، ونثر أشلاء الكفار بمخالب الظفر ، وأخرج حية الغي من جحرها ، وأعاد كلمة الاسلام الى مقرها ، فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعه وتفاءلوا بطائرم الميمون ونقيته ، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيما في مكانته ، ولما فصل من جهاده عاد الى محله المذكور من تيدسى ، فوقع بينه وبين بعض الرؤساء هنالك منافرة أدت الى ارتحاله عنها وعوده الى درعة ، فلم يزل مقيما بها الى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فرجع الى مكانه من تيدسى ، واطمأنت به دارها

وأزال الله عنه ما كان أزعجه عنها ، والله غالب على أمره .

عقد الامير أبى عبد الله القائم ولاية العهد لابنه أبى العباس الاعرج رحمهم الله تعالى



فد تقدم لنا ما كان من أمر الرؤيا التى رآها الامير أبو عبد الله القائم فى شأن ولديه وانهما يملكان المغرب . وفى معنى ذلك أيضا ما يحكى شائعا أن ولدى أبى عبد الله المذكور ، وهما أبو العباس الاعرج وأبو عبد الله الشيخ كانا يقرآن فى مكتب ، وهما صبيان ، فدخل ديك فوثب على رأس كل منهما وصرخ ، فأول ذلك مؤدبهما بانهما سيكون لهما شأن . فمن أجل هذا ونحوه كان والدهما يعلن بان أمر المغرب صائر اليهما ، فلما قضى الله بيعته واجتماع الناس عليه واطمأنت به فى البلاد السوسية الدار ، وطاب له بها المقام والقرار ، ندب الناس الى بيعة أكبر ولديه وهو الامير أبو العباس أحمد المعروف بالاعرج فبايعوه ، وكان ذلك مبدأ ظهور أمره على ما نذكره ان شاء الله تعالى .



انتقال الامير ابى عبد الله القائم الى افعال من بلاد حاحة وفاته بها رحمه الله



ثم ان أبا عبد الله القائم وفد عليه أشياخ حاحة والشياطمة لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة لوائه فشكوا اليه أمر البرتقال ببلادهم وشدة شوكة واستطالته عليهم ، وطلبوا منه أن ينتقل اليهم هو وولده الى العهد المذكور ، فأجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه أبو العباس الى الموضع المعروف بأفعال من بلاد حاحة ، وترك ولده الاصغر أبا عبد الله الشيخ بالسوس يرتب الامور

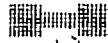
٤. مجيء السلطان أبي عبد الله الوطاسي (*) إلى مراكش وحصاره للسلطان الأعرج بها ثم إقلاعه عنها



لما استولى السلطان أبو العباس الأعرج على مراكش وصفا له أمرها اتصل خبره بصاحب فاس أبي عبد الله الوطاسي ، المعروف بالبرتقال ، فأقبل في جموع عديده مع وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر ، ويقال مع أخيه الناصر فلما رأى السلطان أبو العباس ما لا قبل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماة والمقاتلة ، وزحف الوطاسي إلى الحضرة فنصب الانفاض عليها ووالى الرمي عليها أياما ، واشتد الأمر على الناس فكان من ذهابهم إلى الشيخ الغزواني، وخروجه إلى باب الخميس وقوله عند إصابة الرصاصة له انها خاتمة حربهم ما قدمناه في أخبار الوطاسيين مستوفى . ثم كان اللقاء بعد ذلك بين الفريقين انما يكون في تادلا وأعمالها على ما مر . والله أعلم .



خبر آسفي والثغور



رأيت في تواريخ الفرنج أن البرتقال خرجوا من آسفي سنة ألف (*) وخمسمائة وثلاثين مسيحية ، وهذا التاريخ يوافق من سنن الهجرة سنة

(*) الذي حاصر مراكش هو أبو العباس الوطاسي لأن أباه أبا عبد الله مات قبل هذا التاريخ على ما عند المؤرخ كمور في تأليفه المعنون : « بتاريخ استيلاء الشرفاء على المغرب » .
(*) قرر البرتقال إخلاء آسفي في السنة التي ذكر المؤلف ووقع خلاف بينهم في ذلك وبقى الأمر موقوفا إلى سنة ١٥٤١ ميلادية الموافقة لعام ٩٤٨ هـ فتم إخلاؤها حينئذ نهائيا لما افشخ المسلمون حصن فونتي عنوة ولما اخلت أمر السلطان أبو العباس الأعرج بحراستها وتعصينها راجع صفحة ٢٧٩ وصفحة ٢٨١ من كتاب تاريخ المغرب تأليف...
كواساك دوشافريير HISTOIRE DU MAROC PAR COISSAC DE CHAVREBIERE

ثلاث وثلاثين وتسعمائة، وهى وسط دولة السلطان أبى العباس . وزعم هذا المؤرخ أنهم خرجوا منها من قبل أنفسهم ، ونقلوا جميع ما كان فيها من عدة وأثاث الى الجديدة بعد ما خربوها وأفسدوها وأوقدوا فيها النار ، قال: وبقيت اسنى عشرة سنة وهى مخربة الى أن أصاحبها السلطان محمد الشيخ يعنى السعدى الآتى ذكره .

وفى «النزهة» : ما يقرب من هذا فانه قال بعد ذكر ايقاع السلطان أبى العباس بنصارى السواحل ما نصه : ويقال ان انصارى لما رأوا ما فعل بمن كان منهم بالسوس من القتل والسبى أخلوا ثغر آزمور ورباط آسفى وأصيلا من غير قتال . ثم نقل هذا الخبر فى محل آخر عن ابن القاضى منسوباً الى أبى عبد الله الشيخ وسيأتى ذكره فى محله . وأظن أن الاخلاء كان متكررا والله أعلم . وعلى كل حال ، فذكر آصيلا هنا غير مناسب اذ هى يومئذ فى جهة الوطاسيين وتخومهم فما بال نصاراها يخرجون فرارامنها خوفا من السعديين وليسوا مجاورين لهم ولا متوقعين هجومهم عليهم ؟ ثم كان بعد هذا بين أبى العباس السعدى ، وأبى العباس الوطاسى من الحرب والسلام ما تقدم بيانه ، كوقعة أنماى ، ووقعة أبى عقبة وغيرهما مما لا فائدة فى اعادته .



حدوث النفرة بين الاخوين السلطان ابى العباس الاعرج

وزيره ابى عبد الله الشيخ ومانشا عن ذلك



كان السلطان أبو العباس رحمه الله من الشهامة والصرامة واستفحال الامر بالمحل الذى وصفناه قبل ، وكان أخوه أبو عبد الله الشيخ أصغر سنا منه وكان تحت طاعته وإلقا عند اشارته ، وكان السلطان أبو العباس يستشيرهم فى أموره ، وبفاوضه فى مهماته ، ويستعين بنجدته فى الزخوف والمعارك ، ويستضىء برأيه فى الحوادث الحوالك ، وكان الشيخ ثاقب الذهن نافذ البصيرة مصيب الرأى حازما شهما، فكانت كلمتهما واحدة ، وأمرهما جميعا، (الاستقصا . خامس - 2)

الى أن دخل الوشاة بينهما فافسدوا قلوبهما وأفضى الحال الى المصافة والمقاتلة، وانقسم الجند حزبين، وانصرفت كل طائفة الى متبوعها وصاحب أمرها، وتقاتلا مدة، وكانت جل القبائل السوسية صاغية الى الشيخ لما كان نشأ بين أظهرهم وسبروه من نجابته وكفايته منذ تركه أبوه عندهم عند انتقاله الى آفقال حسبما مر، فاستفحل أمره وغلب على أخيه أبى العباس فقبض عليه واستولى على ما بيده واجتمعت كلمة أهل السوس عليه، ثم أودع أخاه وأولاده السجن ووسع عليهم فى الجرايات والنفقات، وأصبح ملكا مستقلا بعد أن كان وزيرا، وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة.

وفى «نشر المئانى»: أن قبض الشيخ على أخيه أبى العباس الاعرج كان سنة احدى وخمسين وتسعمائة والاول أصح. ولم يزل السلطان أبو العباس وأولاده فى حكم الثقاف الى أن قتل (*) يوم مقتل أخيه الشيخ بعد ثمان عشرة سنة أو نحوها حسبما يأتى لان شاء الله. وكانت دولته من يوم بويج الى أن قبض عليه أخوه ثلاثا وعشرين سنة، وكان من حجابيه: محمد بن على الانكراطى اليملالى، ومحمد بن أبى زيد المنزارى، ومن كتابه: سعيد بن على الحامدى رحمهم الله.



امر زيدان ابن السلطان ابى العباس وما كان منه

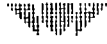


قال صاحب «درة الحجال»: اختلف الناس هل بويج لزيدان بن الاعرج بعد وفاة أبيه أم لا وقال شارح «زهرة الشماريخ»: كان زيدان بن أبى العباس بسجلماسة وبويج له بها فلم يتم امره وقى الى أن توفى سنة ستين وتسعمائة.



(*) بل بعد قتل أخيه بثلاثة ايام لما وصل الخبر بذلك لمراكش.

الحبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ
ابن الامير ابي عبد الله القائم بامر الله



كانت ولادة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ سنة ست وتسعين
وثمانمائة، ويلقب بالشيخ وبآمغار، وهو الشيخ بالبربرية، ويلقب من الالقاب
السلطانية: بالمهدي. لقبه به غير واحد من أئمة عصره، ونشأ في عفاف وصيانة،
وعنى بالعلم في صغره، وتعلق بأهله، فاخذ عن جماعة من الشيوخ، وبلغ
فيه الى درجة الرسوخ.



فتح حصن فونتي وآسفى وآزموور وما قيل فى ذلك



لما استقل السلطان أبو عبد الله الشيخ بأمر السوس واجتمعت كلمته
عليه صرف عزمه الى جهاد العدو الذى بثغوره وحصونه، وأرهف حده
لتنظيفها من بقايا شغبه وزبونه، فانتصر عليهم واستأصل شأفتهم وقطع من تلك
النواحي دابرهم وحسم آفتهم.

قال ابن القاضى : « كان الشيخ رحمه الله ماضى العزيمة قوى الشكيمة
عظيم الهبة، كثير الغزوات ذا همّة عالية وشهامة عالية، فعد قواعد الملك وأسس
مبانيه، وأحى مراسم الخلافة الدارسة ومعالمها الطامسة، وكان له سعد وبخت
عظيم فى الجهاد ويد بيضاء فى الاسلام، فتح حصن النصارى بالسوس يعنى :
حصن فونتي، بعد أن أقاموا فيه اثنتين وسبعين سنة، وكان منصورا بالرعب حتى
تركوا له آسفى وآزموور وآصيلا من غير قتال ولا ايجاف عليهم. اهـ . ونحوه
فى تاريخ البرتغاليين، زاد مؤرخهم أن ذلك كان باذن طاغيتهم صاحب أشبونة
وقد تقدم نحو هذا فى أخبار الاعرج والجواب عنه، وكان فتح فونتي سنة
سبع وأربعين وتسعمائة كما فى النزهة، وفتح آسفى سنة ثمان وأربعين

بعدها كما فى المرأة ، وعند البرتقالين أن ذلك كان سنة ألف وخمسمائة
واثنين وأربعين مسيحية وهو موافق لهذا التاريخ الهجرى .
وفى «الدوحة» (*) «لما أخلى النصارى آزموور تسارع اليها جماعة من
الفقراء منهم الشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من فاس ،
والشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسى دفين تانسيفت قرب مراكش ، فقعوا
بها يحرسونها حتى يأتى مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع
اليها العدو فإذا به قد رجع واقتحمها عليهم وأسروهم الى أن افكهم المسلمون .
قال منويل : « كان فداؤهما بالفى ريال ومائتى ريال بالثنية فيهما » ،
ولما اقتدى الشيخ الكوش وعزم على الخروج ، وكان أسيرا عند امرأة
نصرانية ، ناولته كتباً للمسلمين وقالت له : « هذه كتب كانت عندي ولا حاجة
لى بها فخذها اليك » ، فأخذها وخرج بها فى قفة على رأسه فكان من جعلتها .
كتاب «تنبيه الانام» الموضوع فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فكان ذلك
أول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور » اهـ .

بناء حصن آكادير

قال الشيخ أبو العباس ابن القاضى « فى كتابه : «المنتقى المقصور» : كانت
للأمير السلطان أبى عبد الله الشيخ مآثر حسنة منها أنه أول من اختط مرسى
آكادير بالسوس الاقصى سنة سبع وأربعين وتسعمائة لما أجلى النصارى من
الموضع المعروف بفوتى على مقربة من آكادير المذكور وكان له فى اختطاطه
رأى مصيب وفراصة تامة » اهـ .

استيلاء السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ على مراکش وتجديد البيعة له بها



كان السلطان أبو عبد الله الشيخ بعد القبض على أخيه واستقلاله بالامر قد أقام بالبلاد السوسية مثابرا على جهاد العدو الى أن قلع عروق مفسدته منها، وكانت مراکش في هذه المدة قد توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في دعوته ، اتقاء للوطاسيين وارتياء في أمره الى ماذا يأول ، واستمر الحال الى سنة احدى وخمسين وتسعمائة فانقادت له حينئذ وبايعه أهلها فقدمها واستولى عليها وخلص له جميع ما كان بيد أخيه المخلوع من تادلا الى وادي نول . والله غالب على أمره .



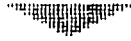
نهوض السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ لحرب بني وطاس واستيلاؤه على مكناسة وما اتفق له في ذلك



لما استولى السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مراکش وصفت له أعمالها طمحت نفسه للاستيلاء على بقية بلاد المغرب وأمصاره . وقطع جرنومة الوطاسيين من سائر أقطاره . فجمع الجموع وتقدم بها الى أعمال فاس فلم يزل يستفتحها بلدا بلدا ومصرا مصرا الى أن أتى عليها أجمع وكان أول ما ملك منها مكناسة الزيتون فانه افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار وقتال كبير .



حصار السلطان ابي عبد الله الشيخ حضرة فاس ومقتل الشيخ عبد الواحد الوائشري رحمه الله



كان السلطان أبو عبد الله الشيخ قد ألح على فاس بالقتال وحاصرها حصارا طويلا، ولما عسر عليه أمرها بحث عن ذلك فقبل له: لا سبيل لك اليها ولا يبايعك أهلها الا اذا بايعك ابن الوائشريسي يعنون: الشيخ الفقيه أبا محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي رحمه الله، فبعث اليه السلطان المذكور سرا ووعدته ومناه، فقال له الشيخ عبد الواحد: «بيعة هذا السلطان، يعني أبا العباس. الوطاسي، في رقتي ولا يحل لي خلعيها الا لموجب شرعي، وهو غير موجود» وزعم بعضهم أن السلطان المذكور كتب إلى أهل فاس يقول لهم: «اني ان دخلت فاسا صلحا ملائتها عدلا وان دخلتها عنوة ملائتها قتلا». فأجابه ابن الوائشريسي بابيات أغلظ له فيها منها قوله:

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا خصك المولى بفضل ولا أولى
كذا في «النزهة». قلت: وهذا البيت من أبيات قديمة والوائشريسي انما تمثّل به لا غير. فقد ذكر العلامة (*) ابن خلدون في أخبار بني صالح بن منصور الحميري أصحاب قلعة نكور لأول الفتح أن عبيد الله المهدي العبيدي صاحب إفريقية لما تغلب على المغرب خاطب سعيد بن صالح منهم يدعوهم إلى أمره وكتب له في أسفل كتابه:

فان تستقيموا أستقم لصلاحكم وان تعدلوا غني أرى قتلكم عدلا
وأعلوا بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عنوا وأملأها قتلا

فأجابه سعيد بن صالح بابيات من نظم شاعره الطليطلي نصها:

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصل
وما أنت الا جاهل ومنافق تمثّل للجهال في السنة المثلى

(*) اصل ما ذكره ابن خلدون في «مسالك البكري» فقد ذكر القصة والشعر عند

كلامه على قلعة نكور.

وسمنا العليا بدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى
فلعل الشيخ كتب لاهل فاس باليتين الاولين والوانشريسي كان مطلعا على
القضية فأجابه بجوابهما .

ولما بلغ ذلك السلطان الشيخ حقد على الوانشريسي ودس الى جماعة من
المتلصصة بان يأخذوه ويأتوا به الى محلته محبوسا من غير قتل ، وكان الشيخ
عبد الواحد يقرأ صحيح البخارى بجامع القرويين بين العشامين وينقل عليه
كلام ابن حجر فى «فتح البارى» ويستوفيه لانه شرط المحبس ، فقال له «ابنه» ياأبت
انى قد سمعت أن اللصوص أرادوا القتك بك فى هذه الليلة فلو تأخرت عن
القراءة . فقال له الشيخ: «أين وقفنا البارحة؟» قال «على كتاب القدر» قال «فكيف
نفر من القدر؟» اذا اذهب بنا الى المجلس ، فلما افترق المجلس خرج الشيخ عبد
الواحد من باب الشماعين ، أحد أبواب المسجد المذكور ، فثار به اللصوص
وأرادوا حمله فأخذ باحدى عضادتى الباب فضرب أحدهم يده فقطعها ، وأجهز
عليه الباقون فقتلوه باب المسجد المذكور فى السابع والعشرين من ذى الحجة
سنة خمس وخمسين وتسعمائة .

قال الشيخ المنجور فى فهرسته : واشتهر عن الفقيه الصالح أبى عبد الله محمد
ابن ابراهيم المدعو بأبى شامة أنه رأى الشيخ عبد الواحد فى المنام بعد مقتله فسأله
عن حاله فأنشأ يقول :

لقد عمى رضوان ربى وفضله	ولم أر الا الخير فى وحشة القبر
وانى أسأل الاله بفضله	ليحفظنى يوم الخروج الى الحشر
وما بعد ذاك من أمور عسيرة	كشكر الكتاب وللمرور على الجسر



استيلاء السلطان ابي عبد الله الشيخ على فاس وقبضه على الوطاسيين وتغريهم الى مراکش



ثم ان السلطان أبا عبد الله الشيخ جد في حصار فاس وألح عليها بالقتال الى أن ملكها واحتوى عليها .

قال في «الدوحة»: «لما ألح السلطان الشيخ بالحصار على فاس جاءه الشيخ أبو الرواين المحجوب وقال له : « اشتر مني فاسا بخمسمائة دينار » فقال له السلطان : « ما أنزل الله بهذا من سلطان هذا شيء لم تأت به الشريعة » فقال: « والله لا دخلتها هذه السنة » فبقى أشهراً والامر لا يزداد الا شدة ، فقال ابن السلطان ، وهو الامير أبو محمد عبد القادر ابن الشيخ لابييه : « يا أبت افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين ، فانه رجل مبارك من أولياء الله تعالى . » ولم يزل به حتى أذن له في الكلام معه ، فكلمه الامير عبد القادر ، فقال له : « ادفع للمال » فدفعه اليه ، فقال له : « عند تمام السنة يقضى الله الحاجة وأمرى بامر سبكانه . » ثم ان الشيخ أبا الرواين فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة ، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الظهور الى أن انقضت السنة فدخل فاسا كما قال « اه .

وقال صاحب «المتع»: والشيخ أبو الرواين هو كان أحد الاسباب في تمكن السلطان المذكور من الملك واخراج بنى وطاس عنه ، فانه لما رأى لاضطراب أمر الناس وهيجان النصارى على المسلمين جعل ينادى : « يا حيران جى . » فأنى قد أعطيتك الغرب! » وذلك قبل ظهور السعديين ، ولم يكن الناس يدرون ما يقول حتى ظهر الحيران . وهو : أحد أولاد السلطان أبي عبد الله الشيخ ، وهو الذى كان يتقدم للحرب ولم يفتح والده من البلاد الا ما فتح له على يده .

وكان دخول السلطان الشيخ الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، ولما دخلها قبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين الى مراکش عدا

أبا حسون منهم فانه فر الى الجزائر مستجيرا بتركها حسبما مر .
وقال اليفرنى : « لما دخل الشيخ حضرة فاس دخلها وعليه وعلى أصحابه
الدراعات الصفرة وسمة البداوة لاثحة عليهم ، فحملوا أنفسهم على التسأدب
بأداب الحاضرة والتخلق بأخلاقهم يعنى حتى رسخ فيهم ذلك ، والله أعلم .

~~~~~

### نهوض السلطان ابي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤها عليها



قد قدمنا ما كان من استيلاء حسن بن خير الدين التركى على تلمسان ،  
وانقراض دولة بنى زيان منها سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، فلما فتح أبو  
عبد الله الشيخ حضرة فاس فى التاريخ المتقدم تأقت نفسه الى الاستيلاء على  
المغرب الاوسط ، وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع انهم أجنب من هذا  
الاقليم ودخلاء فيه ، فيقبح بأهله وملوكه أن يتركوهم يغلبون على بلادهم ، لا  
سيما وفد فر اليهم عدو من أعدائه وعيى من أعياص أقتاله ، وهو أبو حسون  
الوطاسى ، فرأى الشيخ من الرأى واظهار القوة فى الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدأوه  
فنهض من فاس قاصدا تلمسان فى جموعه الى أن نزل عليها وحاصرها تسعة  
أشهر ، وقتل فى محاصرتها ولده الحران ، وكان نابا من أنيابه وسيفا من  
سيوفه ، ثم استولى الشيخ على تلمسان ودخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين  
من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، ونفى الترك عنها ، وانتشر  
حكمه فى أعمالها الى وادى شلف ، واتسعت خطة مملكته بالمغرب ، ودانت له  
البلاد ، ثم كرت عليه الاتراك وأخرجوه من تلمسان ، فعاد الى مقره من فاس ،  
ثم عاود غزو تلمسان حين بلغه قيام رعاياها على الترك وانحصار الترك بقصبتها ،  
فأقام مرابطا عليها أياما فامتنت عليه ، وأقلع عنها ولم يعاود غزوها بعد ذلك  
وخلص أمرها الى الترك على ما ذكره .

## امتحان السلطان ابي عبد الله الشيخ ارباب الزوايا والمنتسبين والسبب في ذلك

السلامة

لما كانت سنة ثمان وخمسين وتسعمائة أمر السلطان أبو عبد الله الشيخ بامتحان أرباب الزوايا والمتصدرين للمشايخ خوفا على ملكه منهم لما كان للعامة فيهم من الاعتقاد والمحبة والوقوف عند اشاراتهم، والتعبد بما يتأولونه من عباراتهم، ألا ترى أن بيعة والده أبي عبد الله القائم لم تنعقد الا بهم، ولا ولج بيت الملك الا من بابهم، فامتنح جماعة منهم كالشيخ أبي محمد الكوش، فاخلى زاويته بمراكش وأمر برحيله الى فاس .

وفى «الدوحة» : «لما امتحن السلطان أبو عبد الله الشيخ زوايا المغرب قيل لابي على الحسن بن عيسى المصباحي دفين الدعاع التي على وادي مضي . من عمل القصر : «ألا تخشى من هذا السلطان؟» ، فقال : «انما الخشية من الله ومع هذا فلما والقبلة لا يقدر أحد على نزعهما ، والباقي متروك لمن طلبه » . وكان السلطان المذكور يطالب أرباب الزوايا بoudائع أمراء بني مرين ويتهممهم بها . وبعث خديمه يوما الى الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي دفين مكناسة يطالبه بشيء من ذلك فوجده جالسا بناحية زاويته يظفر الدوم واذا بطائر، لعله اللقلاق سلح أمامه فما رفع أبو عثمان بصره حتى سقط الطائر ميتا متطاير الريش ، فلما رأى الخديم ذلك فزع وولى هاربا . قاله في «المتع» والله تعالى أعلم :



## وفادة الامام ابى عبد الله الخروبي من جانب دولة الترك في شأن قسم البلاد وتحديداتها



لما كان من السلطان أبى عبد الله الشيخ ما كان من غزوه تلمسان مرتين وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البلاد عينت دولة الترك من جانبها الفقيه الصالح أبى عبد الله محمد بن على الخروبي الطرابلسي نزىل الجزائر ودفنها للوفادة على السلطان المذكور فى شأن عقد المهادنة وتحديد البلاد ، فقدم عليه الفقيه المذكور وهو بمراكش سنة احدى (\*) وستين وتسعمائة فى هذا الغرض ، فأكرم السلطان أبو عبد الله وفادته ، الا أنه لم تظهر ثمرة لمقدمه .

وفى «المرآة» : «أن أبى عبد الله الخروبي قدم المغرب الاقصى مرتين فى سبيل السفارة بين ملوك المغرب الاوسط والمغرب الاقصى ، فاخذ عنه كثير من أهل المغرب الاقصى ، وأخذ هو عن الشيخ زروق رحمه الله ، وفى قدمة الخروبي هذه الى مراكش أنكر على الشيخ أبى عمرو القسطلى دفين رياض العروس من مراكش خلق شعراتائب الذى يريد الدخول فى طريق القوم ، وقال : «انه بدعة» (\*) فقالوا له : «ان الشيخ الجزولى كان يفعل» فقال لهم : «لعله باذن ، والاذن له لا يعمكم ، فان الاذن للنبي يعم أتباعه ، والاذن للولى لا يعم أتباعه» وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث اليه رسالة أقذع له فيها وقد وقفت عليها \* رحم الله الجميع بمنه . ' وتوفى الخروبي هذا سنة ثلاث وستين وتسعمائة ودفن خارج الجزائر والله أعلم .

(\*) الذى فى «الزهوة» سنة تسع وخمسين وهو الصواب .

(\*) انظر «ممتع الاسماع» فقد اشبع القول فى مسألة خلق شعر التائب .

\* راجع فهرسة المرغيشي تجدها هناك . قال فى «الممتع» وقد اجاب ابو محلى الثائر الشهير الخروبي عن رسالته منتصرا لشيخه القسطلى اه .

## قدوم ابي حسون الوطاسى بجيش الترك واستيلاؤه على فاس ونفيه الشيخ عنها



قد قدمنا ما كان من استيلاء السلطان أبى عبد الله الشيخ على فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبضه على بنى وطاس وفرار أبى حسون الى الجزائر فلم يزل أبو حسون عند تركها الى أن قدم بهم مع باشاهم صالح التركمانى ، فاستولى على فاس ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمائة ، ونفى أبى عبد الله الشيخ عنها حسبما مر الخبر عنه مستوفى .



## عود السلطان ابي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها

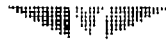


لما فر السلطان أبو عبد الله الشيخ من وقعة الترك بفاس ووصل الى مراكش صرف عزمه لقتال أبى حسون ، فاستنفر قبائل السوس ، وجمع الجموع ، وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها أبى حسون حروب شديدة كان فى آخرها الظفر للشيخ ، فقتل أبى حسون واستولى على فاس ، وصفا له أمر المغرب ، وقد تقدمت هذه الاخبار مستوفاة فى محلها ، وكان لاستيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمائة .

وفى «الدوحة» : أن دخول أبى حسون لفاس كان سنة ستين وتسعمائة ، وعود السلطان الشيخ اليها واستيلاؤه عليها كان فى ذى القعدة سنة ستين أيضا ، والله تعالى أعلم .



## مقتل الفقيهين ابى محمد الزقاق و ابى على حرزوز والسبب فى ذلك



لما استولى السلطان أبو عبد الله الشيخ على فاس فى هذه المرة أمر بقتل الفقيه الصالح قاضى الجماعة بفاس أبى محمد عبد الوهاب بن محمد بن على الزقاق لانه اتهمه بالميل الى أبى حسون .

ويحكى أنه لما مثل بين يديه قال له : « اختر بأى شىء تموت » فقال له الفقيه : « اختر أنت لنفسك » فان المرء مقتول بما قتل به « فقال لهم السلطان : « اقطعوا رأسه بشاقور » فكان من حكمة الله وعدله فى خلقه أن السلطان المذكور قتل به أيضا كما سيأتى .

وفى كتاب « خلاصة الاثر » : أن الشيخ الزقاق كان يقول : « من قتل سوسيا كان كمن قتل مجوسيا » فلما قبض عليه الشيخ قال له : « أنت زق الضلال » فقال له : « لا والله » بل أنا زق العلم والهداية » ثم قتله .

وأمر أيضا بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ أبى على حرزوز المكناسى لكلام بلغه عنه ، وانه كان يذكره فى خطبه ويحذر الناس من اتباعه والانقياد اليه ، ويقول فى خطبته : « جاءكم أهل السوس الاقصى البعاد » ثم يذكر الشيخ ويقول : « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتقى الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ، ولبس المهاد . فى كلام غير هذا . وكان مقتل الفقيهين المذكورين فى ذى القعدة سنة احدى وستين وتسعمائة .



## ترتيب السلطان ابي عبد الله الشيخ امر دولته وما قيل في ذلك



قال اليفرنى : « كان السلطان أبو عبد الله الشيخ مولعا بتدبير أمر الرعية مستيقظا في أموره حازما غير متوقف في سفك الدماء » قال : « ويحكى أنه لما دخل فاسا دخلها وعليه وعلى أصحابه سمة البداوة فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب أهل الحاضرة والتخلق باخلاقهم . » وذكر ان ملك السعديين انما تأنق على يد رجل وامرأة ، فأما الرجل : فقامم الزرهوني ، فانه رتب للسلطان أبا عبد الله الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم ، وكيفية متولهم بين أيديهم وأما المرأة : فالعريفة بنت خجوة فانها علمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فأكسى ملك الشيخ بذلك طلاوة ، وازداد في عيون العامة رونقا وحلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضريّة ، لان أهل البادية مسترذلون في عيون أهل الحاضرة ، قالوا : ولم يزل السلطان أبو عبد الله الشيخ يدور على مدن المغرب وأمصاره ويطيل الإقامة بفاس .

قال في «المنتقى» : ومن مآثره : أنه بنى جسر وادى سبوء وجسر وادى أم الربيع . وتقدم بناؤه حصن آكادير . والله تعالى أعلم .



## وضع الوظيف المسمى في لسان العامة بالنائبة



قد تقدم لنا في صدر هذا الكتاب اختلاف العلماء في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك ، وعلى القول بأنها فتحت عنوة فهي خراجية كما هو مقرر في كتب الفقه ، وتقدم لنا أيضا أن أول من وظف الخراج على أرض المغرب عبد المومن بن علي ، وتبعه بنوه على ذلك . وقفا نهجهم بنو مرين وفي الظهير الذي كتبه السلطان أبو زيان المريني لابن الخطيب أيام مقامه بسلا شاهد بذلك . ولما جاء السعديون من بعدهم سلكوا هذا السبيل أيضا .

وقول اليفرنى : ان أبا عبد الله الشيخ أول من أحدث النائبة بالمغرب يحمل على أنه أول من أحدثها على الوجه الآتى بيانه ، وذلك أنه لما صفا للسلطان أبى عبد الله الشيخ أمر المغرب واستأصل جرنومة بنى وطاس منه التفت الى ترتيب ملكه وتهذيب أعطافه وتأسيس أمور دولته كما قلنا ، فمن ذلك : أنه فرض على قبائل المغرب الضريبة المسماة فى لسان العامة بالنائبة ، ولم ينزه عنها شريفا ولا مشروفا ، حتى أرباب الزوايا و المتسبين ، ومنهم أولاد الشيخ أبى البقاء خالد المصمودى ، مع ما كان لابيهم من الشهرة بالولاية والصيت فى بلاده . وكان قدر هذه النائبة صحيفة من الشعر وعشرين مدا من القمح لكل نائبة . وصاعا من السمن وكبشا لكل أربع نواب ، وكانت تفرض فى زمان الشيخ على الكوانين ، وتوظف على حسب السكان ، وتدفع باعيانها ، وجرى على ذلك ولده الغالب بالله وأخوه المعتصم ، ولما جاء المنصور من بعدهم قوم تلك الاعيان بسعر الوقت وصارت تدفع دراهم ، ثم ازداد ذلك الى أن خرج الامر عن القياس واتسع الخرق على الراقع ، والله لا يظلم متقال ذرة .

مزايسة السلطان سليمان العثمانى للسلطان أبى عبد الله الشيخ

وما نشأ عن ذلك

قد قدمنا ما كان من غص السلطان أبى عبد الله الشيخ بمكان الترك من تلمسان والمغرب الاوسط ، وانه غزاها مرتين ، وقدم الامام أبو عبد الله الخروبى ساعيا فى الهدنة فلم يرجع بطائل . وكان السلطان الشيخ يقول فيما زعموا : «لابدى أن أغزو مصر وأخرج الترك من أجحارها» وكان يطلق لسانه فى السلطان سليمان العثمانى ويسميه بساطان الحواتة . يعنى لان الترك كانوا أصحاب أساطيل وسفر فى البحر ، فأنهى ذلك الى السلطان سليمان فبعث اليه رساله بهذا سبب المراسلة على ما فى «الترجمة» .

وأشبهه منه بالصواب ما حكاه بعضهم قال : لما بلغ خبر انقراض الدولة الوطاسية الى السلطان سليمان العثمانى واستيلاء السعديين على ملك المغرب

الاقصى كتب الى الشيخ يهنئه بالملك ، ويلتمس منه الدعاء له على منابر المغرب ، وبعث اليه بذلك رسولا في البحر ، فاتتهى الى الجزائر ومنها قدم الى مراکش في البر . ولما وصل الى السلطان أبى عبد الله الشيخ أنزله على كبير الاتراك في محله صالح باى المعروف بالكاهية ، وكان هؤلاء الاتراك قد انحاشوا الى الشيخ من بقايا القادمين مع أبى حسون ، فضمهم اليه وجعلهم جندا على حدة ، وسماهم اليكشارية بالياء ثم الكاف ثم الشين ، وهو لفظ تركى معناه العسكر الجديد . ولما قرأ السلطان أبو عبد الله الشيخ كتاب السلطان سليمان ووجد فيه أنه يدعو له على منابر المغرب ويكتب اسمه على سكه كما كان بنو وطاس حمى أنفه وابرق وأرعاد . وأحضر الرسول وأزعجه ، فطلب منه الجواب ، فقال : « لا جواب لك عندى حتى أكون بمصر ان شاء الله وحينئذ أكتب لسلطان القوارب » فخرج الرسول من عنده مذعورا يلفت وراءه الى أن وصل الى سلطانه وكان من أمره ما نذكره .



### قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثمانى

واغتيالهم للسلطان أبى عبد الله الشيخ رحمه الله



لما خرج رسول السلطان سليمان العثمانى من عند السلطان أبى عبد الله الشيخ ووصل الى الجزائر ركب البحر الى القسطنطينية فاتتهى اليها ، واجتمع بالوزير المعروف عندهم بالصدر الاعظم ، وأخبره بما لقي من سلطان المغرب ، فانهى الوزير ذلك الى السلطان سليمان فأمره أن يهى العمارة والعساكر لغزو المغرب فاجتمع أهل الديوان وكرهوا توجيهها ، واتفق رأيهم على أن عينوا اثنى عشر رجلا من فتاك الترك وبذلوا لهم اثنى عشر ألف دينار ، وكتبوا لهم كتابا الى صالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ، ووعدوه بالمال والمنصب ان هو نصح فى اغتيال الشيخ وتوجيه رأسه مع القادمين عليه .



وفى «الزهوة» : « أن صالحا هذا كان من ترك الجزائر جاء فى جملة الطائفة الموجهين لاغتيال الشيخ » والله أعلم . ثم دخل الوزير على السلطان سليمان واعتذر اليه عن توجيه العمارة ، وقال : « هذا أمر سهل لا يحتاج فيه الى تقويم عمارة ، وهذا المغربى الذى أساء الادب على السلطان يأتى رأسه الى بين يديك » فاستصوب رأيهم وشكر سعيهم وأمر بتوجيه الجماعة المعينة فى البحر الى الجزائر ، ومنها يتوجهون الى مراكش فى البر ؛ ففعلوا ، ولما وصلوا الى الجزائر هيأوا أسبابا واشتروا بغالا وساروا الى فاس فى هيئة التجار ، فباعوا بها أسبابهم ، وتوجهوا الى مراكش ، ولما اجتمعوا بصالح الكاهية أنزلهم عنده ودبر الحيلة فى أمرهم الى أن توجهت له .

وفى «الزهوة» : أن هؤلاء الاتراك خرجوا من الجزائر الى مراكش مظهرين أنهم فروا من سلطانهم ، ورغبوا فى خدمة الشيخ والاستيحاء به . ثم ان صالحا الكاهية دخل على السلطان أبى عبد الله الشيخ وقال يامولاي : « ان جماعة من أعيان جند الجزائر سمعوا بمقامنا عندك ومنزلتنا منك فرغبوا فى جوارك والتشرف بخدمتك وليس فوقهم من جند الجزائر أحد وهم ان شاء الله السبب فى تملكها » فامرهم بادخالهم عليه ولما مثلوا بين يديه رأى وجوها حسنا وأجساما عظاما فكبرهم ، ثم ترجم له صالح كلامهم ، فافرغه فى قلب المحبة والنصح والاجتهاد فى الطاعة والخدمة ، حتى خيل الى الشيخ أنه قد حصل على ملك الجزائر ، فامرهم باكرامهم وان يعطيهم الخيل والسلاح ، ويكونوا يدخلون عليه مع الكاهية كلما دخل ، فكانوا يدخلون عليه كل صباح لتقيل يده على عادة الترك فى ذلك .

وصار الشيخ يبعث بهم الى أشياخ السوس مناوبة فى الامور المهمة ليتصرفوا فى البلاد ويعرفوا الناس . وكان يوصى الاشياخ باكرام من قدم عليهم منهم ، واستمر الحال الى أن أمكنتهم فيه الفرصة ، وهو فى بعض حر كاته بجبل درن بموضع يقال له : آكلكال بظاهر تارودانت ، فولجوا عليه خباءه ليلا على حين غفلة من العسس ، فضربوا عنقه بشاقور ضربة أبانوا بها رأسه ، واحتملوه فى مخلاة ملأوها نخالة وملحا وخاضوا به أحشاء الظلماء وسلكوا طريق درعة

وسجلماسة كأنهم ارسل تلمسان لثلا يظن بهم أحد من أهل تلك البلاد ،  
ثم أدركوا بعض الطريق فقاتلت طائفة منهم حتى قتلوا ونجا الباقون بالرأس ،  
وقتل مع الشيخ تلك الليلة الفقيه مفتى مراکش أبو الحسن على بن أبي بكر  
السكتاني . والكاتب أبو عمران الوجاني .

ولما شاع الخبر بان الترك قتلوا السلطان واستراب الناس بجميع من  
بقى منهم بالمغرب أغلق اخوانهم الذين كانوا بتارودانت أبوابها واقتسموا  
الاموال واستعدوا للحصار ، ولما بويح لابنه الغالب بالله وقدم من فاس نهض  
فى العساكر الى تارودانت للاخذ بنار أبيه من الترك الذين بها فحاصروهم مدة ،  
ولما لم يقدر منهم على شىء أعمل الحيلة بان أظهر الرحلة عنهم وأشاع أنه  
راجع الى فاس لثائر قام بها . ولما أبعد عنهم مسيرة يوم خرجوا فى اتباعه ليلا  
والعيون موضوعة عليهم بكل جهة الى ان شارفوا محلة السلطان الغالب بالله  
فعطف عليهم ، ولما لم يمكنهم الرجوع الى تارودانت تحيزوا الى الجبل وبنوا  
به قياظهم ، وجعلوا عليها المرازات من الاحجار وتحصنوا بها وأحاطت بهم  
العساكر من كل جهة ، فقاتلوا الى أن فنوا عن آخرهم ولم يؤخذ منهم أسير ،  
وقتلوا من محلة الغالب بالله ألفا ومائتين . وأما الذين نجوا بالرأس فانتهبوا  
الى الجزائر وركبوا البحر منها الى القسطنطينية ، فاوصلوا الرأس الى الصدر  
الاعظم ، وأدخله على السلطان سليمان فامر به أن يجعل فى شبكة نحاس ،  
ويعلق على باب القلعة فبقى هنالك الى أن شفع فى انزاله ودفنه ابنه عبد الملك  
المعتصم ، وأحمد المنصور حين قدما القسطنطينية على السلطان سليم بن سليمان  
مستعدين له على ابن أخيهما المسلوخ كما يأتى . وكان مقتل الشيخ رحمه  
لله يوم الاربعاء التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة أربع وستين وتسعمائة .  
ولما بلغ خبر مقتله الى خليفته بمراكش القائد أبى الحسن على بن أبى بكر آرنالك  
بادر بقتل أبى العباس الاعرج المخلوع وأولاده ذكورا واناثا كبارا وصغارا  
خشية أن يخرجهم أهل مراکش فيباعوه . ولما قتلوا لم يتجراً أحد على دفنهم  
فبقوا مصرعين حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلى الولى الشهير بمقرية من  
ضريح الشيخ الجزولى وهى القبة التى قرب الضريح المذكور تسمى قبور

الاشراف ، وأما السلطان أبو عبد الله الشيخ فإنهم حملوا جثته الى مراكش  
فدفنت بها قبلى جامع المنصور بروضة السعديين وقبره شهير بها الى الآن  
ومما نقش على رخامة قبره هذه الايات :

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| وطللت لحدّه منها غمامات       | حتى ضريحا تغمدته رحمات       |
| هبت من الخلد لى منها نسيّات   | واستشقن نفحة التقديس منه فقد |
| من أجلها السبعة الارضين ظلمات | بحر به كورت شمس الهدى فكست   |
| وأثبتت سهمها فيها المنيّات    | يا مهجة غالها غول الردى فنصا |
| وارتج من بعدك السبع السموات   | دكت لموتك أطواد العلا صعقا   |
| من الملائك ألحان وأصوات       | وشيعت نعشك المزجى الى عدن    |
| تدور منها عليه الدهر كاسات    | يا رحمة الله عاطيه سلاف رضا  |
| دار امام الهدى المهدي جنات    | قضى فوافق فى التاريخ منه حلى |

|||

### بقية أخبار السلطان أبى عبد الله الشيخ وسيرته

|||

كان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ يلقب من الالقاب السلطانية  
بالمهدى ونشأ فى عفاف وصيانة وعنى بالعلم فى صغره وتعلق باهل بيته ، فأخذ  
عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ فيه درجة الرسوخ ، حتى كان يخالف القضاة  
فى الاحكام ، ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه ، وقع ذلك منه مرارا ،  
وله حواش على التفسير وذلك مما يدل على غزارة علمه .

وقال فى «المنتقى» : « كان السلطان أبو عبد الله الشيخ رحمه الله أديبا  
متفنا حافظا حدثنى شيخنا أبو راشد أنه كان ممتع المجالسة والمذاكرة نقى  
الشبهة عظيم الهبة ما رأيت بعد شيخى أبى الحسن على بن هرون أحفظ منه  
للمقطعات الشعرية وكثيرا ما ينشد :

الناس كالناس والايام واحدة      والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وكان حافظا للقرآن فهما جدا ، حافظا لصحيح البخارى ، ويستحضر ما للناس عليه ، ويقول فى شرح ابن حجر : « ما صنف فى الاسلام مثله » عارفا بالتفسير وغيره ، وكان يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب ، وكان يحض على المشاورة ويقول : « لا سيما فى حق الملوك » وينشد قول المتنبي :  
ومن جهلت نفسه قدره  
رأى غيره منه ما لا يرى  
وكان يقول : « ينبغي للملك أن يكون طويل الامل فان طول الامل وان كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح لان الرعية تصلح بطول أمله ، وكان يقول : « من طول أمله أخذ تلمسان وسبته وغيرهما » انتهى .  
وقوله انه كان يحفظ ديوان المتنبي ، سببه ما ذكره فى الدوحة قال :  
أخبرنى الوزير المعظم أبو عبد الله محمد بن الامير أبى محمد عبد القادر بن السلطان أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف قال : « لما غدرت قبيلة المنابهة بجد السلطان المذكور وأنجاه الله من غدرتهم عرف الشيخ أبامحمد عبد الله ابن عمر بذلك فكتب اليه يقول : « أين أنت من قول أبى الطيب المتنبي :  
غاض الوفاء فما تلقاه فى عدة  
وأعوز الصدق فى الاخبار والقسم »  
قال : « فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنبي حتى حفظه كله ولم يعزب عنه بيت واحد » اه . وابن عمر المذكور هو أحد أشياخ السلطان المذكور وهو أبو محمد عبد الله بن عمر المضفرى الفقيه الفرضى الحاسب ، فقيه درعة وعالمها ، وكان قد وفد على السلطان المذكور أيام كونه بالسوس ، ولما عاد الى درعة سألته فقهاؤها كيف وجدت أهل السوس ؟ فقال : « وجدت فقهاءهم على ضعيف للفتاوى ، وفقراءهم على عظيم الدعاوى ، وعامتهم على كثير المساوى » .

ومن أشياخ السلطان المذكور : الامام الشهير شيخ الجماعة بالصقع السوسى أبو الحسن (\*) على بن عثمان الثاملى ذكره فى «المنتقى» وأثنى عليه ، ومن أشياخه : علامة فاس ومحققها أبو عبد الله محمد بن أحمد اليستى ، أخذ عنه علوما منها التفسير . قال المنجور : « وكنت أنا قارئه بين يدي أمير

المؤمنين أبى عبد الله الشيخ المذكور وكان شديد المحبة له ، قال : « ولما توفى  
الفقيه المذكور وذهبت مع ولده صبيحة تلك الليلة التي توفى بها لنخبس  
السلطان بوفاته وجدناه يقرأ ورده بحمام المرىني ، فخرج السلطان إلينا وهو  
يبكى بصوت عال يفزع من سمعه ، حتى رأينا منه العجب وما سكت إلا بعد  
مدة ، لما كان يعلم منه من صحة الدين والنصح لخاصة المسلمين وعامتهم ،  
وحضر جنازته ، ، وكانت وفاته رحمه الله سنة تسع وخمسين وتسعمائة ،  
وللسلطان المذكور عدة أشياخ غير هؤلاء .

ومن وزرائه : الرئيس أبو الحسن علي بن أبى بكر آصناك الحاحي ،  
وأبو عمران موسى بن أبى جمدى العمرى وغيرهم .

ومن قضاته بفاس : أبو الحسن علي بن أحمد الخصاصي ، وبمراكش :  
أبو الحسن علي بن أبى بكر السكتاني رحم الله الجميع .

وكان للسلطان أبى عبد الله الشيخ عدة أولاد نجباء ، ومن أنجبهم أبو  
عبد الله محمد المعروف بالحران القليل على تلمسان ، ومنهم أبو محمد عبد  
الله الغالب بالله ، وأبو مروان عبد الملك الغازي ، وأبو العباس أحمد المنصور  
وهؤلاء الثلاثة ولوا الأمر بعد أبيهم ، ومنهم : الوزير أبو محمد عبد القادر  
وتوفى في حياة أبيه سنة تسع وخمسين وتسعمائة .

وفي «نشر المثاني» : أنه قتل مخنوقاً بأمر أخيه ، عبد الله الغالب بالله سنة خمس  
وسبعين وتسعمائة فالله أعلم . ومنهم عثمان وعبد المومن ، وعمر وغيرهم .

قال المنجور في فهرسته : « حضرت يوماً مجلس أمير المؤمنين أبى عبد  
الله الشيخ ، وقد حضر عنده أولاده الصناديد الأمراء : المولى محمد الحران ،  
والمولى عبد القادر ، والمولى عبد الله ، فدخل شيخنا الامام أبو عبد الله الیستنی  
فلما نظر إليهم حول أبيهم أنشد بيت تلخيص المفتاح :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بنى حوالى الاسود الحوارد

فأعجب ذلك السلطان وأولاده رحمة الله عليهم .

## الخبر عن دولة السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله



كانت ولادة السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله كما رأيته مرقوما على الرخامة التى على قبره فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، وكسان رحمه الله أدعج العينين ، مستدير الوجه عريضه ، أسيل الخدين ، مشرف الوجنتين ، ربة للقصير ، ونشأ فى عفاف وصيانة ، وحفظ القرآن ، وأخذ بطرف صالح من العلم ، وكان ولى عهد أبيه ، وكان يلقب من الالقب السلطانية: بالغالب بالله لقبه به غير واحد من الائمة . ولما وافته الانباء بمقتل أبيه وهو بفاس بايعه أهلها ولم يتخلف عن بيعته منهم أحد .

وذكر صاحب «زهرة الشماريخ» : أن الفقيه الميقاتى المعدل بمنار القرويين أبى عبد الله المزوار ، وكان بصيرا بعلم الاحكام والحدثان ، بينما هو ذات ليلة يرقب الطالع والغارب ، وقد ابهار الليل واسود ديجوره ، رأى طالع السلطان الشيخ قد سقط ، وكانت بينه وبين ابنه أبى محمد عبد الله وصلة ، فأسرع فى الذهاب اليه ليخبره بما رأى فلما بلغ باب فاس الجديد وجده مغلقا فاستأذن الموكلين به فى فتحه فأبوا ، فقال لهم : « انى جئت الى الخليفة ، يعنى خليفة السلطان ، فى أمر مهم عنده ، وان لم تعلموه بمكانى الساعة لحقكم منه غدا ما تكرهون ، فاندروا الخليفة المذكور به فحمل اليه ، وسأله عن قضيتيه ، فأخبره بما رأى ونعى اليه أباه ، فلم يكذب فى ذلك وتهايا واستعد ، فلم تمض الا أيام قلائل حتى وافته الانباء بمقتل أبيه فى تلك الساعة التى قال له المعدل المذكور ، فصادفه الحال على أهبة واستعداد ولما بلغ أهل مراکش مبايعة أهل فاس له وافقوا عليها ، فلستوسق له الامر وتمهد له ملك أبيه . وكان ذلك كله فى المحرم سنة خمس وستين وتسعمائة .

مجيء حسن بن خير الدين التركي الى فاس ورجوعه منهزما عنها

قال ابن القاضي : لما ولي السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله الخلافة اشتغل بتأسيس ما بيده وتحصينه بالعدد والعدة ولم تطمح نفسه الى الزيادة على ما ملك أبوه من قبله .

وفي سنة خمس وستين وتسعمائة ، في جمدي الاولى منها ، غزاه حسن بن خير الدين باشا التركي صاحب تلمسان في جيش كثيف من الاتراك ، وخرج اليه السلطان الغالب بالله فالتقيا بمقربة من وادي اللبن من عمالة فاس ، فكانت الدبرة على حسن ، فرجع منهزما يطلب صياصي النجبال الى أن بلغ الى باديس ، وكانت يومئذ للترك ، ورجع الغالب بالله الى فاس لكنه لم يدخلها لوباء كان بها يومئذ ، ولما رجع من حركه هذه أمر بقتل أخيه عثمان لامر نقمه عليه فقتل في السنة المذكورة . والله تعالى أعلم .

بناء جامع المواسين بحضرة مراكش والبركة المتصلة به والمارستان

وغير ذلك

قال اليفرنى : « وفي عشرة السبعين وتسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الاشراف بحومة المواسين من مراكش ، والسقاية المتصلة به التي عليها مدار المدينة المذكور ، والمارستان الذي ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة ، قلت : وهذا المارستان هو الذي بحومة الطالعة قرب السجن ، وقد اتخذ اليوم سجنا للنساء ، قال : وهذا السلطان هو الذي جدد أيضا بناء المدرسة التي بجوار جامع ابن يوسف اللمتوني ، وليس هو الذي أنشأها كما يعتقد كثير من الناس بل الذي أنشأها أولا هو السلطان أبو الحسن المريني رحمه الله حسبما ذكره ابن بطوطة في رحلته ، وشاع على اللسان أن السلطان الغالب بالله توصل الى بنائها بصناعة الكيمياء ، وان الشيخ أبا العباس أحمد بن موسى السملالي علمه

اياها حين تلمذله كما سيأتى .

قال اليفرى : « وهو كذب ، فان المنقول عن الشيخ المذكور انكارها وما كان ليفتح على مسلم بابا عظيما من أبواب الفتنة وسببا بليغا من أسباسب المحنة ، لان هذه الحرفة من أعظم أبواب الفتن ، وقد أجمع أرباب البصاء على التحذير من تعاطيها لوجوه ثلاثة ؛ أولها : انها من المستحيلات كما ذكر ابن سينا مستدلا عليه بقوله تعالى : « لا تبدل الخلق الله » وكما انه ليس في قدرة المخلوق أن يحول القرد انسانا والذئب غزالا كذلك ليس في قدرته أن يصير الرصاص فضة ، والنحاس ذهباً يعنى ، لان ذلك من باب قلب الحقائق وهو محال . ولقد تناظر رجلان فيها فقال مجوزها : « أنتكر ما تشاهده في الصب وتصير الجسد الاحمر أصفر والابيض أسوداً فقال مانعها : « لأنكر ذلك لان الصبغ ليس تغيير أصل ، وانما أنكر أن ثوب الصوف الابيض ترده صناع الصبغ قطنا أو حريرا أحمر أو أخضر ، وأما الصبغ فلا شك أن النحاس يصير أبيض ولا يخرج ذلك عن أصله ولا يسلب عنه اسم النحاس بل يقال في نحاس أبيض كما لا يسلب صبغ الصوف عنه اسم الصوف . ثانيها : سلمنا أنه جائزة الوجود لكنها معدومة في الخارج كما ذهب اليه أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله اذ قال : « ثلاث متفق على وجودها في الغالب ، وقد اتفق على عدم رؤيتها أهل المشارق والمغارب : الكيمياء ، والعنقاء ، والغول . وأخبارها كله على وجه السماع والاسنادات وحكايتها كالموضوعات عن العجماءات والجماادات . ثالثها : سلمنا أنها موجودة في الخارج لكنه يحرم تناولها والبيع والشراء بها .

وقد سئل عنها الشيخ أبو اسحق التونسي رحمه الله فقيل له : « أحلال هي اذا كانت خالصة؟ » فقال : « لو دبر النحاس أو غيره من الاجساد حتى صار ذهباً خالصا لاشك فيه فمتى لم يقل بائعه لمبتاعه هذا كان نحاسا أو جسدا من الاجساد فدبرته حتى صار ذهباً كما ترى لكان غاشا مدلسا . » قال : « ومتى ذكره لم يشتر أحد منه ذلك بفلس ، ويقول : فكما دبرته حتى صار ذهباً فكذلك يدبره غيرك حتى يرجع الى أصله . فمن لم يبين فيها فهو داخل في قوله عليه



الصلاة والسلام : « من غشنا فليس منا » فتكون صناعتها حراما ، وقيل لبعض الفضلاء : « لم لم تعمل بهذه الصناعة فانها تسلي خاطر ؟ » فقال : « قيل للحمار « لم لم تجتر ؟ » فقال : « أكره مضغ الباطل » وانشد :

فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها قريب ولكن في تناولها بعد  
 اه ما نقله اليفرنى ملخصا مذهباً ، وهو الحق الذى لا عوج فيه ولا  
 أمت . ثم قال : وبالجمل فماشاع عن السلطان الغالب بالله من ذلك لأصل له ،  
 ولقد كان أهل الورع يجتنبون الصلاة فى جامع الاشراف بعد ما بنى مدة  
 ويقال : ان موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود والله تعالى أعلم .

|||||

### فتح مدينة شفشاون وانقراض أمر بني راشد منها

|||||

تقدم أن مدينة شفشاون حرسها الله بناها بنو راشد من شرفاء العلم ،  
 وكانوا أهل جهاد ومراطة على العدو بلاد غمارة والهبط ، ولما توفى مختطها  
 الامير أبو الحسن على بن موسى بن راشد بقيت بيد أولاده يتولون رباستها .  
 قال فى «المرآة» : ولم يزلوا فيها بين سلم وحرب الى أن حاصرهم بها الوزير  
 أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ السعدى بجيوش  
 عمه السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله ، وصاحب شفشاون يومئذ  
 الامير الفاضل أبو عبد الله محمد بن الامير أبى الحسن على بن موسى بن  
 راشد ، فلما اشتد عليه الحصار خرج فيمن اليه من أهله وولده وقرابته  
 وصعدوا الجبل المطل على شفشاون فى مسلك وعر صحبتهم فيه السلامة وذلك  
 ليلة الجمعة الثانى من صفر سنة تسع وستين وتسعمائة ، وساروا الى ترغسة  
 . فركبوا منها البحر يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور . واستقر الامير أبو عبد  
 الله بالمدينة المنورة الى أن مات بها رحمه الله .

~~~~~

حصار البريجة المسماة اليوم بالجديدة



قد قدمنا ما كان من بناء البرتقال لمدينة الجديدة وتحصينهم لها بما فيه كفاية ، وكانت غارات المسلمين المجاورين لهم لا تنقطع عنهم وكذلك هم سائر مقامهم بها ولما كانت سنة تسع وستين وتسعمائة جهز اليها السلطان الغالب بالله جيشا كثيفا ، واستنفر لها قبائل الحوز ، وعقد عليهم لابنه محمد المعروف بالسلوخ قتل وادى المخازن ، وكان يومئذ ابن عشرين سنة على ما قيل ، واستوزر له القائد المجاهد الشاعر الفاضل أبا زيد عبد الرحمن بن تسودة العمراني ، وجعل اليه أمر الحرب ، وابن السلطان صورة ، فزحف اليها وحاصرها أربعة وستين يوما وملك بعض أسوارها ولم يقض الله بفتحها . وفى «النزهة» : « ذكر أن القائد ابن تودة دخل البريجة التى فرب آزمور وأخذ أسوارها وعزم على أن يستأصل فى الغد بقيتها ولا يبقى للكفر بها أنرا فكتب اليه السلطان الغالب بالله ينهاء عنها ، فراجع النصارى اليها بعد أن ركبوا البحر عازمين على الجلاء عنها » ١٥١ .

وقد وقفت فى التاريخ البرتقالى الموضوع فى أخبار الجديدة ، واسم مؤلفه لويز مارية ، على أخبار هذا الحصار وقد استوعبها وبسطها ، وتتبع الوقائع فصلا فصلا ويوما يوما ، وأتى من ذلك بما يزيد على الكراسة ، فكان من جملة ما قال : « انه لما عزم السلطان الغالب بالله على غزوهم وأخذ فى تجهيز الجيوش اليهم أتاهم بعض المنتصرة » قال : « وهو عبد أسود فأخبرهم بأن السلطان مستعد لحربهم ، وكانوا عازمين على التوثق من هذا الجاسوس فافلت منهم فعلموا ان اظهاره للتصريح كان مكيدة ، ثم أخذوا فى الاستعداد واشتروا من عند قائد آزمور ألفى سيف هكذا زعم » قال : « وفى اليوم الرابع من مارس سنة ألف وخمسائة واثنين وستين مسيحية وصلت جموع المسلمين الى حوز الجديدة » وهذا التاريخ موافق للتاريخ العربى الذى قدمناه قال : « فكانت خيل المسلمين نحو ثلاثين ألفا والرماة ضعف ذلك وكان فيهم عسكر الترك المعروف

بالبلدروس وكانوا يومئذ جندا للسعديين ، وكان معهم عشرون مدفعا عشرة كبيرة ، وعشرة صغيرة ، وفيها واحد أعظم من الجميع يسمى ميمونا ، وكان معهم العلم الكبير الابيض ورايات أخر ملونة ، وتقدموا الى الجديدة فحاصروها حصارا شديدا وحاربوها حربا هائلة ، وصف هذا المؤرخ ذلك كله وصفا كاشفا . وكانت الجديدة يومئذ فى غاية الحصانة والمناعة فلم يتمكن المسلمون من التصارى على ما ينبغى وأرسل الترك عليهم أنواع الحراقيات ، وملكوا التارازات التى كانت حول السور بعد أن هلكت عليها نفوس من الفريقين ، ثم صنع النصارى للمسلمين عندها مينا البارود مرتين ، ففسى الاولى كانت المينا تسعة براميل نبط منهن سبعة فأهلكت خلقا من المسلمين والنصارى وفى الثانية كانت تسعة عشر برميلا أمام السور ففطت بالمسلمين وأتلفت منهم عددا فبعضهم طار فى الهواء وبعضهم ارتطم تحت التراب .

وكان رماة المسلمين ينالون منهم نبلا عظيما واعترف النصارى لهم بجودة الرمى بحيث كانوا كلما ظهر منهم عسكرى على السور اختطفته رصاصة فى أخير موضع من بدنه من الرأس أو الصدر .

قال لويژ المؤرخ : « ولقد قدم فى بعض الايام من أشونة كبير من كبراء جندهم فقال لهم : أرونى كيف قتالكم لهؤلاء المسلمين وكيف مصافتكم لهم ، قال : فما ظهر برأسه على السور ليرى محلة المسلمين حتى أصابته رصاصة نثرت دماغه كأن صاحبها كان ينتظره ، وكان ذلك بنفس نزوله من البحر قبل أن يذهب الى منزله ، فعوضه منه المسلمون القبر » قال : « فما كان النصارى بعدها يقدرون أن يظهروا على السور الا فى النادر ، ولما طال عليهم الحصار ندب كبيرهم جماعة منهم للخروج الى السواحل البعيدة عن محلة المسلمين لعلمهم يظفرون بأسير منهم يستكشفونه عن خبر الجيش المحاصر لهم هل هو مرتحل أو مقيم وما مدة الاقامة » قال : « فخرجوا فى فلك لهم ليلا وساروا حتى بلغوا ساحل طيط ، وهى يومئذ خالية ، وكان بقربها محلة لقائد آسفى فلما طلع الفجر تقدموا الى البر وأرسلوا فلكهم الى جانب بعض الاحجار هنالك بحيث يخفى على المارين بالساحل ثم كمنوا هنالك فلما كان وقت الاسفار اذا برجل

من محلة آسفى أتى على فرسه الى شاطئ البحر لبعض حاجاته فلم يرعه الا
النصارى قد أحدقوا به وأخذوا بلباس فرسه ، وجعل بعضهم فم مكحلته فى
صدوه ، فلم يملك المسلم من نفسه شيئا ، ثم أنزلوه عن الفرس وساقوه الى القلک
أسيرا ، ولججوا به فى البحر ، ولا بعدوا عن البر شيئا ما رمى أحدهم الفرس
برصاصة فقتله ، ثم أسرعوا الى الجديدة فدخلوها واجتمع النصارى على المسلم
وهو كالمهوت بينهم ثم سألوه عن خبر الجيش المحاصر لهم فأخبرهم بانهم
يناجزونهم بعد هذا مرة أخرى أو مرتين فان لم يظفروا بهم ارتحلوا عنهم فكان
كذلك . قال : « وكان ارتحال المسلمين من الجديدة فى سابع ما به العجمى من
السنة المذكورة فعمل النصارى لذلك عيدا وأحدثوا فى كنائسهم صلوات لم
تكن قبل وذلك بإشارة باباهم صاحب رومة » .

ومما حكاه هذا البرتقالى فيما كان يجرى بين أهل آزمور وبينهم من
الحرب ، وذلك بعد هذا الحصار بمدة يسيرة : أنه كان بآزمور امرأة حسناء
وخطبها رجل من أهل البلد سماء لوز الا أنه لم يحسن النطق به لعجمته
وأظنه اسمه الميلودى(*) لان الحروف التى ذكر تقرب منه ، قال : فامتعت عليه
فراودها أياما واشتد كلفه بها فلم تزد عليه الا تمنعا فبعث اليها ذات يوم يرغبها
فى نفسه ، ويدلى عليها بما أثره التى من جملة الشجاعة . حتى قال لها :
« وان شئت أن آتيك برأس أعظم نصرانى بالجديدة وأشجعه فعلت » ولعلها كانت
موتورة لهم فقالت له : « ان أتيته به تزوجتك » فذهب الرجل المذكور الى قائد
آزمور ولم يسمه لوز وعرض عليه أن يكتب الى كبير نصارى الجديدة
وصاحب رأيهم بان يعين من جانبه رجلا من شجعانهم ليأزره ان شاء ، فاجابه

(*) الذى فى الترجمة الافرنسية مولاي حدو ولعل المترجم هنا رأى كلمتى مولاي ،
وحدو متصلتين خطأ فظنهما كلمة واحدة مستقلة وتوهم ان المؤرخ البرتقالى لم يحسن
النطق بها وأن أصل الكلمة الحقيقى ميلودى والعذر له فى ذلك لان الحروف التى فى
مجموع مولاي وحدو قريبة من لفظة ميلودى مع انها كلمتان مستقلتان فى الحقيقة احدهما
مولاي والثانية حدو هـ .

القائد الى مراده ، وذهب الرسول بالكتاب حتى وقف على نحو غلوة من المدينة، وهذا الموضع هو الذى كانت تقف فيه رسل آرمور اذا قدمت لغرض ، فخرج اليه البريد من عند صاحب الجديدة وحاز الكتاب ورجع به الى صاحبه ، فلما قرأه أحضر جماعة من وجوه جنده وعرض عليهم ما فيه فقام رجل منهم وقال: «أنا صاحبه» وهذا الرجل سماه لوزير ، وقال « كان ابن ثلاثين سنة كامل القامة معتلى الاعضاء أسمر اللون كثير شعر البدن أسود اللحية وكان برأسه جرح لم يندمل من وقعة كانت بينهم وبين أهل آرمور قبل ذلك فكتب صاحب الجديدة الى قائد آرمور انا قد أجبناك الى ما دعوت ، وقد أعجبنا ذلك ،وها نحن قد عينا لصاحبك قرنه فلتعينوا لنا اليوم والساعة التى تكون فيها الملاقاة ، فاتفقا على يوم معلوم ، وفى ذلك اليوم سار قائد آرمور فى أصحابه ووجوه أهل بلده ومعهم الرجل المذكور الى الجديدة ، فانتهوا الى الموضع الذى جرى العادة أن يقف فيه المسلمون ، وخرج قائد النصارى فى جماعته ، وشرطوا للمبارزة وكيفتها شروطا منها : أن تبعد كل جماعة من صاحبا بخمسين خطوة ولا يلتقى الا المتبارزان وحدهما بمرأى من الفريقين ، ومنها أن مساحة الموضع الذى يكون فيه مجالهما خمسون شبرا وسطا من الفريقين ، وان من خرج عن هذا المحل منهما ولو قيد شبر كان رقا للآخر ، وأعطوا خطوطهم بذلك . ولما حان وقت البراز خرج عدلان من جانب المسلمين حتى انتهيا الى النصرانى ففتشاه لينظرا ماعليه من السلاح وما معه ، لان من جملة الشروط أن لا يتبارزا الا بالسيف والرمح فقط فلم يجدا مع النصرانى سواهما « قال لوزير : « وكان صاحبهم المذكور يحسن الضرب بكتلتا يديه فشرط عليه العدلان أن لا يقاتل الا باليمين فرضى ، ثم خرج شاهدان من جانب النصارى حتى انتهيا الى المسلم ففتشاه فلم يجدا عنده سوى السيف والرمح أيضا غير أنه قد علق على ذراعه تماائم كثيرة مخروزة فى الجلد فقال له الشاهدان : « لا بد أن تنزع هذه التماائم لان صاحبنا ليس عنده شىء من هذا ، وأيضا فيمكن أن تتيك هذه التماائم بعض الوقاية » فقال لهم: « لا أنزعها لان مثل هذا لا يتقى به فى الحرب ، ولا يغنى فى الظاهر من السيف والرمح شيئا وانما فيها أسماء الله ولا يحسن بسى أن

أطرحها في هذه الحالة التي أنا مشرف فيها على الموت فيكون ذلك سوء أدب مني مع اسم الله تعالى وربما يكون سببا في خذلاني « فرجع النصرانيان الى قائدهما وأخبراه بالقضية فقال: «لا بد من نزعها» فعادا اليه، وزعم لويز أن المسلمين وافقوا على نزعها وقال له العدلان: « ان الحق مع النصارى لانا كشفنا صاحبهم .كشفا تاما، وراوده القائد أيضا، فاصر على الامتناع معتذرا بما سلف، ولما لم يحصلوا على طائل رجع المسلمون الى بلدهم ولم يكن براز « قال لويز: « وعد النصارى ذلك غلبا وجعلوا يصيحون ويخرجون البارود « قال: « وكان سور الجديدة مكسوا بالنساء والصبيان واغتاز قائد آرمور فسجن المسلم المذكور لكونه جر هذه المذلة على المسلمين . »

قلت: من تأمل وأنصف علم أن الفشل انما هو من جانب النصارى لان تلك التعمائم من حيث الظاهر لا تغني شيئا، وكون بركتها تقيه من ضربات السيف وطعنات الرمح فهذا لا يعتقده النصارى، بل ولا يسلمونه، فلم يبق الا الفشل والتعلل بما لا اعتبار به عند العقلاء. ثم قال لويز: « وقد كانت بين المسلمين والنصارى بعد ذلك وقائع فأبلى فيها ذلك المسلم البلاء الحسن وعرف محاله من الشجاعة اه، « والحق ما شهدت به الاعداء » وانما أثبت هذه الحكاية بطولها لغرابتها، ولما اشتملت عليه من خلال الفتوة ومنازع النخوة الايمانية فنسأله سبحانه وتعالى أن يعلى منار الدين ويكبت كيد الجاحدين والمعتدين آمين .

وفي سنة سبعين وتسعمائة ولى السلطان الغالب بالله الفقيه أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدى قضاء فاس فطالت مدته .



وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ أبى العباس احمد بن موسى السملالى رضى عنه الله



حكى صاحب «المتع» : « أن السلطان أبا محمد عبد الله الغالب بالله قال للاستاذ أبى عبد الله الترغى(*) : « انى أجد فى نفسى ارادة وطلباً للشيخ فامض فاطلب لى شيخاه فذهب بطوف على مشايخ المغرب ، وكانوا اذ ذاك متوافرين ، حتى أتى على الشيخ أبى العباس أحمد بن موسى الجزولى ، ثم السملالى ، فوجده شيخاً جليلاً سنيا متواضعاً زاهداً نازهاً الورع ، حسن الاخلاق ، باهر الكرامات ، واضح الطريقة ، جامعاً لمحاسن الخلال والادب ، فرجع اليه وجعل يصف له كل من رأى من المشايخ بما ظهر له فيه ، حتى أتى على الشيخ المذكور ، فقال : « وهو ولى ، ثم ولى ، ثم ولى ، ثم ولى ، سبعا فقال له : « كأنك تدلنى عليه ، وانه مطلوبى ، وأنه المقدم على غيره » فقال له : « لا أدلك عليه ولا عندى ما أعرف به تقديمه ، غير أن هذا الذى ظهر لى » فازمع السلطان الغالب بالله الرحلة اليه ، فلما بلغ الشيخ المذكور مجيئ السلطان اليه خرج يتلقاه ، وقد هيا له النزل وما يصلحه ، وأعد له ما يناسبه من الاطعمة الرفيعة النفيسة ، وقدم اليه الثمر الجيد واللبن الحليب ، ولما خرج للقائه أتاه بعضهم بفرس ، وكان من عادته أن لا يركب ، واذا أتاه أحد بمركوب لا يردده عليه ، بل يستصحبه معه ويعلفه له حتى يرجع ، ففعل ذلك . ولقى السلطان ورجع به معه وأنزله عنده فمكث فى ضيافته ثلاثة أيام ، ثم طلب منه أن يتخذ وسيلة الى الله تعالى ، وسأله مع ذلك تمهيد الملك ، واعتذر اليه بانه لا يمكنه العيش بدونه ، ولا يأمن على نفسه ولا تؤويه أرض اذا هو تخلى عنه ، فقال الشيخ : « يا عرب ، يا بربر ، يا سهل ، يا جبل ، أطيعوا السلطان مولاي عبد الله ، ولا تختلفوا عليه » . ثم بعد الثلاث انصرف السلطان الى محله ، فبقى مدة وهو مسكن ممهد الملك فى عافية .

(*) الترغى بالتاء المثناة ثم الراء والغين نسبة الى ترغمة مرسى قديمة على نحو اربعين كيلومترا من تطوان. انظر ترجمته فى « المتع » صفحة ١٣٠

ثم أتى الترك الى بوغاز طنجة وسبته فخافهم وتشوش منهم كثيرا ، ولم يهنا له عيش ، فجعلت حاشيته يهونون عليه أمرهم . فقال : « دعونى منكم حتى أستقى من رأس العين » ثم ابرد بريدا الى الشيخ . فلما انتهى اليه سمعه يقول : « ياترك ارجعوا الى بلادكم ، ويامولاي عبد الله هناك الله فى بلادك بالعافية » فتقدم الرسول وسلم على الشيخ ، وبلغه سلام السلطان ، ثم انقلب من فوره بعد ما ورخ وقت سماع مقالته . فلما بلغ الى السلطان أخبره بما كان من الشيخ من تلك المقالة وما كان منه من التاريخ وأقاموا ينتظرون ما يكون فاذا الخبر قد ورد على السلطان بان الترك قد ارتحلوا وانصرفوا الى بلادهم ، واذا ارتحلهم كان وقت مقالة الشيخ المذكورة .

ثم ان الشيخ قدم مراكش فى بعض الايام زائرا من كان بها من أهل الله تعالى فرغب اليه السلطان الغالب بالله أن يدخل داره هو وأصحابه ، ويصنع لهما طعاما وشرط على نفسه أن لا يطعمهم الا لحلال ، ولا يطعمهم ما فيه شبهة ، وحلف للشيخ على ذلك فأسعفه ، ولما حضر الطعام وضع الشيخ يده عليه ولم يصب منه ، فلما خرج قيل له : « ما لك لا تتناول من طعام السلطان وقد حلف ان لا يطعمكم الا الحلال ؟ » فقال له : « من أكل طعام السلطان وهو حلال أظلم قلبه أربعين يوما ، ومن أكله وفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة » اه .

ومما ينخرط فى هذا السلك : أن السلطان المذكور كان له اعتقاد فى الشيخ أبى عمرو القسطلی ، وكان يعظمه غاية ، وكانت عنده مظلة له من سعف النخل يتقى بها الحر تبركا بها ، ولما توفى الشيخ أبو عمرو المذكور ، وذلك يوم الجمعة منتصف شوال سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، حضر السلطان المذكور جنازته وحنا التراب على قبره بيده .

ومن أخبار السلطان المذكور : أن الشيخ أبى محمد عبد الله بن حسين المغارى كان ظهر بمراكش وكثرت الجموع عليه وقصده الناس من كل جهة فارسل اليه السلطان المذكور : « اما أن تخرج عنى أو أخرج عنك » فقال للشيخ ابن حسين : « بل أنا أخرج » وخرج من فوره الى تامصلوحت فكان من أمره ما كان .

استيلاء النصارى على حجر باديس والسبب في ذلك



قد تقدم لنا فى أخبار الوطاسيين أن النصارى بنوا حجر باديس واستولوا على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة ، واستمروا بهما إلى أن انتزعهما الترك من أيديهم . ولما كانت دولة السلطان الغالب بالله وطمع الترك فى الاستيلاء على المغرب الأقصى أغرى السلطان المذكور النصارى بالاستيلاء على الثغور الهبطية وسد أنقابها دونه .

قال فى «الترجمة» : ذكر بعضهم أن السلطان الغالب بالله لما رأى عمارة ترك الجزائر وأساطيلهم لا ينقطع ترددها عن حجر باديس ومرسى طنجة ، يعنى البوغاز ، وتخوف منهم اتفاق مع الطاغية أن يعطيه حجر باديس ، ويخليها لهم من المسلمين ، فتقطع بذلك مادة الترك عن المغرب ، ولا يجدوا سبيلا إليه ، فنزل النصارى على حجر باديس وأخرجوا المسلمين منها ، ونبشوا قبور الاموات وحرقوها ، وأهانوا المسلمين كل الإهانة ، ولما بلغ خبر نزولهم عليها لولده محمد ، وكان خليفته على فاس خرج بجيوشه لاغاثة المسلمين ، فلما كان بوادى اللبن بلغه استيلاؤهم عليها فرجع وتركها لهم ، اه .

وذكر اليفرنى انه وجد هذه الاخبار فى أوراق مجهولة والله تعالى أعلم .



فتنة الفقيه أبى عبد الله الاندلسى ومقتله



كان الفقيه أبو عبد الله محمد الاندلسى ، نزىل مراكش ، متظاهرا بالزهد والصلاح حتى استهوى كثيرا من العامة فتبعوه ، وكانت تصدر عنه مقالات قبيحة من الطعن على أئمة المذاهب رضى الله عنهم ينحو فيها منحى ابن حزم الظاهرى ، ويتفوه بمقالات شنيعة فى الدين ، فأمر السلطان الغالب بالله بقتله : فاستغاث بالعامة من أتباعه واعصوصوا عليه ، ووقعت فتنة عظيمة بمراكش بسببه الى أن قتل وصلب على باب داره برياض الزيتون من المدينة المذكورة . وكان ذلك أواسط ذى الحجة من سنة ثمانين وتسعمائة (*) .



ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية وما قيل فيهم



قال فى «الدوحة» : « كان الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى نزىل مليانة تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات فبعد صيته وكثرت أتباعه فغلوا فى محبته وأفرطوا فيها حتى نُسب بعضهم الى النبوة ، قال : « وفشا ذلك الغلو على يد رجل ممن صحب أصحابه يقال له : ابن عبد الله فأنسه تزندق وذهب مذهب الاباضية على ما حكى عنه ، واعتقد هذا المذهب للخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب وأهل الاهواء من الحواضر ، وتعرف هذه الطائفة باليوسفية » قال : « ولم يكن اليوم بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة ، وسمعت بعض الفضلاء يقول : انه قد ظهر ذلك فى حياة الشيخ

(*) الصواب ان ذلك وقع سنة ٩٨٤ انظر «درة الحجال» فى ترجمة أبى عبد الله الاندلسى ص ١٦٧ وفى «الدوحة» ص ٨١ : وكان قتله بأمر من السلطان محمد المتوكل بن الغالب لا من الغالب كما عند المؤلف.

أبى العباس المذكور فلما بلغه ذلك قال : « من قال عنا ما لم نقله يبتليه الله بالعلة والقلة ، والموت على غير ملة » .

قال صاحب «الدوحة» : «ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة فسجن جماعة منهم وقتل آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ فى شيء، وإنما فعلوا كفعل الروافض والشيعة فى أئمتهم ، وإنما أصحاب الشيخ كابى محمد الخياط ، والشيخ الشطيبى ، وأبى الحسن على بن عبد الله دفين تافلات وأنظارهم من أهل الفضل والدين ، والا فالائمة المقتدى بهم كلهم يعظم الشيخ ويعترف له بالولاية والعلم والمعرفة » اهـ .

وقال فى «المرآة» ما نصه : والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى المليانى من كبار المشايخ أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية ، وكان كثير التلقين ، فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبى : «أهنت الحكمة فى تلقينك الاسماء للعامة حتى النساء» فقال له : « قد دعونا الخلق الى الله فأبوا فقتلنا منهم بان نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر» قال الشيخ الخروبى : «فوجدته أوسع منى دائرة» . .

قال صاحب «المرآة» : « وانتسبت اليه الطائفة المعروفة بالشرافة بتشديد الراء وهو برىء من بدعتهم فما كان الا امام سنة وهدى مقتدى به فى العلم والدين قد نزهه الله وطهر جانبه ، وقد أظهروا شيئاً من ذلك فى حياته فتبرأ منهم ، وقتلهم وبلغ المجهود فى تشريدهم » قال : « وحدثنى شيخنا أبو عبد الله النيجى أن الشيخ أبا البقاء عبد الوارث الياصوتى لما ظهرت بدعة الشراقة وانتسابهم اليه وقع فى نفسه من ذلك شيء قليل له : «ان الشيخ أبا محمد الخياط من أصحابه» فقال : «أنا تائب الى الله ، كفى فى طهارة جانبه أن يكون الخياط من أصحابه» وكانت وفاة الشيخ المليانى سنة سبع وعشرين وتسعمائة لكن ما كان عنفوان تلك البدعة المدسوسة عليه الا فى دولة السلطان الغالب بالله كما مر ، والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء .

احتفال النصارى بمكيدة البارود بجامع المنصور من مراكش وما وفقى الله تعالى من شرها



كان بقصبة مراكش جماعة من أسارى النصارى من لدن أيام أبى العباس الاعرج وأخيه أبى عبد الله الشيخ فرأوا الجم للغير من أعيان المسلمين وأهل الدولة يحضرون كل جمعة للصلاة مع السلطان بجامع المنصور من القصبة المذكورة ، فحدثتهم أنفسهم الشيطانية بأن يصنعوا مكيدة يهلكون بها السلطان ومن معه ، فحفروا فى خفية تحت الجامع المذكور حفرة ملاؤها من البارود ووضعوا فيها فتيلة تسرى فيه النار على مهل كى ينقلب الجامع باهله وقت الصلاة . فنفطت المينا وانهدت بها القبة للواسعة من الجامع المذكور ، وانشق مناره شقا كبيرا ولازال ماثلا به الى الآن ، وكان ذلك مبلغ ضررهم ، وكفى الله المسلمين شر تلك المكيدة ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوا . وكان ذلك سنة احدى وثمانين وتسعمائة .



وفاة السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله



قال الشيخ أبو العباس ابن القاضى فى شرح «درة السلوك» : «توفى السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان سنة احدى وثمانين وتسعمائة بسبب غم كان يعتريه ، اه . وهذا الغم هو الداء المسمى عند العامة بالضيقة ، أعاذنا الله منه ، وذكر غيره أنه توفى فى شوال بسبب تكلفه للصيام فعدت عليه العلة المذكورة . وشاع على السنة الناس أنه بات يصلى ليلة سبع وعشرين من رمضان فوافته ميتته وهو ساجد ، وذلك كذب ، ودفن رحمه الله عند ضريح أبيه بقبور الاشراف وقبره معروف . ومما كتب بالنقش على رخامة قبره هذه الايات :

أيا زائري هب لي الدعاء ترحمنا
وقد كان أمر المؤمنين وملكهم
فها أنا ذا قد صرت ملقى بحفرة
ترودت حسن الظن بالله راحمي
ومن كان مثلي عالما بخائنسه
وقد جاء ان الله قال ترحمنا
فاني الى فضل الدعاء ففيسر
الى وصيتي في البلاد شهيسر
ولم يغن عنى قائد ووزير
وزادى بحسن الظن فيه كثير
فهو بئيل العفو منه جديسر
اني ما يظن العبد بي سيصير
وحكى أن ابنه ابا عبد الله المعروف بالسلوخ لما قرأ هذه الايات عاقب
ناظمها وقال له: «ان في قولك : ملقى بحفرة دسيسة وتلوياحا الى الحديث: «القبر
دروضة من رباض الجنة أو حفرة من حفر النار» فهلا قلت ببلقع أو نحوه » .



بقية اخبار السلطان الغالب بالله وسيرته



كان السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ذا ساسة وخبرة بأحوال
الملك وتأن في الامور ، ولما ولي الخلافة ألان الجانب وخفيض الجناح وسار
بسيرة حسنة حتى صلحت الرعية وازدانت الدنيا ، وانتعش الناس حتى كان
يقال: ثلاث عينات هم عيون الزمان: السلطان المولى عبد الله ، والشيخ أبو محمد عبد
الله بن حسين المغاري ، والشيخ أبو السرور عباد السنوسي .
قال اليفرنى: ورأيت من جملة سؤال كتب به الفقيه الصالح خطيب
الجامع الاعظم بتارودانت أبو زيد عبد الرحمن التلمساني الى قاضي الجماعة
أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني يقول فيه : « ولا شك أن مولاي
عبد الله مجتم على عدالته وبيعته » وقد أخبرني الثقة من أصحاب الشيخ
الجامع أبي العباس أحمد بن موسى السملالي أنه قال : « مولاي عبد الله
ياقوتة الاشراف هو صالح لا سلطان » وقد اشتهر بين الانام وعلى السنة الخاص
والعام أن السلطان الغالب بالله كان عدلا صالحا ووقع في الرسالة التي كتب بها

ابن أخيه السلطان أبو المعالي زيدان بن منصور إلى الفقيه أبي زكرياء يحيى ابن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ما ظاهره يخالف ذلك ، ويؤذن بأنه كان كثيره من الملوك ، ونص المحتاج إليه من تلك الرسالة مخاطبا للفقيه المذكور يقول : « وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد بن موسى السملالي كادت تكون قطعية واشتهر أمره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولانا عبد الله برد الله ضريحه ، وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برج الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء وبظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل ، وكان شرده منه إلى زاوية المراتب الاندلسي وولد آصناك وأمثالهم ، وكان الشيخ يقدم المشفاعة فيشفع ولا يتعقب ، ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته . وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى أمره ، ولا استعظم أحد ذلك ولا أكثر فيه ولا جعله سببا لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل وزيره ابن شقراء ، وعبد الكريم بن الشيخ ، وعبد الكريم بن مؤمن العليج ، والهبلي ، والزهرهوني ، وعبد الصادق بن ملوك ، وغيرهم ممن لا يحضرني ذكرهم لبعد عصرهم قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب ، وكان في عصره أحمد بن موسى المذكور وابن حسين ، والشرقي ، وأبو عمرو القسطلي ، وأبو محمد ابن إبراهيم التمارتي ، والشيظمي ، وغير هؤلاء من المشايخ وأهل الدين الذين لا يسع من يدعى هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم ، فأحسنوا السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ، ولا سمع منهم ما يقدر في ولاية الأمر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع اليهم في تدبيره » اه القدر المحتاج إليه من الرسالة المذكورة .

قال اليفرنى : « ومثل هذا ما ذكر بعضهم : أن السلطان الغالب بالله أعطى حجر باديس للطاغية لتقطع بذلك مادة الترك عنه ، ومثله ما ذكر عنه ايضا : أن قائده ابن تودة أخذ بعض أسوار الجديدة وعزم على فتحها من الغد فكتب إليه السلطان المذكور ينهيه عن ذلك ، ونظيره أيضا قضيه مع أهل غرناطة

وأطال فيها هذا البعض المنقول عنه بما استكتفت من ذكره هنا ، قال : « وهذه أمور شنيعة إن صح أنه فعلها ولست أدخل في عهدها لأنى انما رأيتهام فى أوراق مجهولة المؤلف اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية وظنى انها من وضع بعض أعدائهم لحطه من قدرهم واخراجهم من النسب الشريف ، ووصفه دولتهم بالدولة الخيئة ، فلذا تجنبت منها كثيرا من الاخبار التى لاتنظن بأولئك السادة رحمهم الله ، فقد قال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله فى طبقاته : « ان المؤرخين على شفا جرف هار لانهم يتسلطون على أعراض الناس وربما وضعوا من الناس تعصبا أو جهلا أو اعتمادا على نقل من لا يوثق به » قال : « فعلى المؤرخ أن يتقى الله تعالى » . اه الا أن الملوك لا يستغرب فى حقهم أن يهدموا أساس الشريعة لينبوا منار رياستهم ، ويستهنوا عظام الامور لتطيعهم الرعية ساعة ، كيف لا وشراع أفدتهم تلعب به رياح الشهوات فتلقى سفينة قلوبهم على ساحل بحر القنوط من رحمة الله تعالى ، والله يسامح الجميع ويتجاوز عن كافة عصاة هذه الامة بمنه وفضله » . اه كلام اليفرنى رحمه الله .

ومن وزراء السلطان الغالب بالله : ابن أخيه الامير الاجل الاديب الاحفل أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ كان من أنبل الوزراء وألطفهم مسلكا وأخفهم روحا . وله عارضة فى النظم والثر . ذكر الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد الفاسى فى كتابه : « الاعلام بمن مضى وغبر ، من أهل القرن الحادى عشر » ما صورته : « قدم الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر السعدى من مراكش الى فاس ، ومعه الفقيه قاضى الجماعة أبو مالك عبد اللواحد بن أحمد الحميدى ، والفقيه الامام أبو العباس أحمد المنجور ، فلما تبدت لهم معالم فاس الجديد ، « وتلظى للشوق فى جوانحهم أوار » ، « وأبرح ما يكون الشوق يوما ، اذا ذنت الديار من الديار » وأنشد الوزير المذكور لنفسه ارتجالا :

أخلأنى هذا المستقى وربوعه وهذى نواير البلاد تسووح
وذاك المصلى مطرح الشوق والاسى وتلك منازل الديار تلووح

فقال القاضي الحميدى ارتجالا :

وتلك القباب الخضراء شبه زبرجد بهن غوان طرفهن جموح
يمسكن كأملود من الروض يأنس شذاهن من حول الديار يفوح
فقال الفقيه أبو العباس المنجور ارتجالا أيضا :

ويرفلن في الحلات يختلن في الحلى وفيهن أنواع الجمال وضوح
يبدرن ترفع الكوى بمحاجر لاقبال حب طال منه نزوح
ولما بلغت الايات الى الاستاذ أبى العباس أحمد الزمورى قال مديلا :

تأمل سبب الحسنة تحت قبابها كشمس غدت تحت السحاب تلوح
تحلت ربوع المستقى بجمالها وأنت الى تلك القباب تسروح
وبعضهم جعل البيتين الاولين للمولى الاديب أبى محمد عبد الواحد بن
أحمد الشريف السجلماسى ، وكان كاتباً للوزير المذكور ، ويجعل موضع
أخلائى أمولاي ، والبيتين بعدهما للوزير والله تعالى أعلم ، والمستقى بصيغة اسم
المفعول اسم بستان معروف :

ونظير هذا ما ذكره الاديب المذكور في اعلامه المذكور . قال : كان الوزير
المذكور مع كاتبه المولى عبد الواحد الشريف في بعض الاسفار ، وأرسلت
السماء بغيشها المدرار ، فقال الوزير المذكور :

لله أشكو غداة السفح اذ ركضت أيدي المطايا وحادي الريح يحدونا
فأجابه الكاتب المذكور :

والقيم في الأفق قد أرخت ذوائبه بأسهم الودق لا ينفك يرمينا
فقال الوزير :

حتى استوى الماء والآكام واستترت معالم الرشد لاخرت يهدينا
فطلت الخيل في الامواج سابعة سبح السلاحف نحو الدار يهويها
فقال الكاتب :

والنفس في قلق ليلين مألها والشوق يحدونا والحال يقصينا
فقال الوزير :

كأننا لم نبت والوضيل ثالثنا حتى غدا الطير فوق السرح يفشينا.

وأخبار هذا الوزير ونوادره كثيرة ، وهو الذى أخرج بنى راشد من مدينة شفشاون حسبما مر ، وكانت وفاته فى العشرين من جمادى الثانية سنة خمس وسبعين وتسعمائة .

ومن وزراء السلطان الغالب بالله أيضا : القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العليج الجنوى ، وعبد الرحمن بن تودة ، وقاسم الزرهونى ، وأحمد الهبطى . ومن ولاية مظالمه : أبو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسى ، وهو إلى الشرطة وكان فقيها مشاركا .

وذكر بعضهم : أن الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن موسى السملالى كان فى بعض قدماته على السلطان الغالب بالله (*) قد انحسر الناس لزيارته بزيارته ، فوقف أبو عمران المذكور يذود الناس عنه ويقول : « رحمكم الله من زار خرج » فسمعه الشيخ فقال له : « لا تقل ذلك وقل : من جاز خرج » ومن كتاب السلطان المذكور : محمد بن عبد الرحمن السجلماسى . ومحمد بن أحمد بن عيسى وغيرهما . ومن قضاته بمراكش : الفقيه قاضى الجماعة أبو القاسم بن على الشاطبى ، وبفاس أبو عبد الله العوفى ، وأبو مالك عبد الواحد الحميدى رحمهم الله .



الخبر عن دولة السلطان أبى عبد الله محمد المتوكل على الله

ابن السلطان عبد الله الغالب بالله رحمه الله



لما توفى السلطان الغالب بالله بحضرة مراكش كان ابنه محمد هذا بفاس ، وكان ولى عهد أبيه فاجتمع أهل العقد والحل بمراكش ، واستأنفوا له البيعة ،

(*) الذى فى « الفوائد ان الموفود عليه هو السلطان محمد الشيخ بتارودانت والذى كان يذود الناس هو صاحب شرطته الامير ابو زكرياء ابن الغازى انظر ذلك فى النصيحة التى وجهها المؤلف ابو زيد التامرتى لآبى حسون المعروف بابى دميعة لما قام بالسوس اهـ .

وكتبوا بها اليه ، فوصلت اليه وهو بفاس أوائل شوال سنة إحدى وثمانين وتسعمائة فبايعه أهل فاس وتم أمره .

قال ابن القاضى : أمه : أم ولد ، وكنته : أبو عبد الله ، ولقبه المتوكل على الله ويعرف عند العامة : بالسلوخ لانه سلخ جلده وحشى ثنا كمتا سياتى .

وكان مما وقع فى أيامه أنه كانت بين المسلمين وبين نصارى طنجة وقعة بالرملة المسماة بأبى غاص من فحصى طنجة قرب قنطرة عصماء ، وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ، وفى هذه الوقعة اسشهد الشيخ أبو مهدى عيسى بن الحسن المصباحى دفين الدعاى على وادى مضى من عمل القصر ، فانه حمل بعد استشهاده الى الموضع المذكور فدفن بازاء قبر أبيه فى الروضة التى هنالك .

واستمر أمر أبى عبد الله المتوكل منتظما الى أواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة ، فقدم عليه عمه عبد الملك بن الشيخ بجيش الترك فشر سلكه وبدد ملكه على ما نذكره . ويقال : انه كان أضمر الفتك بعميه أحمد وعبد الملك ففرا منه الى ناحية الترك على ما سياتى . قالوا : وكان السلطان المذكور فقيها أديبامشاركا مجيدا قوى المعارضة فى النظم والنثر ، وكان مع ذلك متكبرا تياها غير مبال بأحد ، ولا متوقفا فى الدماء عسوفاً على الرعية ، ومن شعره قوله :

فقم بنا نصطبى صباء صافية فى وجهها عسجدي وجهه نقط

وانهض اليها على رعى العدا قلعا فان تأخير أوقات الصبا غلط

ومن شعره أيضا قوله :

ساروا وسار فؤادى اثر ظعنهم وخلفونى نحيل الجسم حيرانا

لا افتر ثغر الثرى من بعد بينهم ولا سقى هاطل وردا وريحانا

وكان خليفته بمراكش : القائد ابن شقراء ، وحاجبه : أحمد بن حمو

الدرعى ، وكتابه : يونس بن سليمان الثاملى ، وعلى بن أبى بكر ، وغيرهما ، رحمهم الله تعالى .

الخبر عن دولة السلطان أبى مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ وأولية أمره وماله

كان أبو مروان عبد الملك بن أبى عبد الله الشيخ السعدى ، وأخوه أبو العباس أحمد المدعو بعد : بالمنصور مقيمين بسجلماسة سائر أيام أبيهما ، فلما توفى وولى الأمر بعده ابنه الغالب بالله فر عبد الملك وأحمد الى تلمسان خوفا على أنفسهما منه ، فاقاما عند صاحبها حسن بن خير الدين مدة ، ولحق بهما أخوهما عبد المومن فصار ثلاثة الاثافي. ثم انتقلوا بعد ذلك الى الجزائر ، ومنها ركب عبد الملك البحر الى القسطنطينية متطارحا على صاحبها السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله ، فامده بالجند حتى ملك المغرب كما سيأتى .

ولنذكر هنا كيفية استيلاء العساكر العثمانية على تونس وانقراض أمر الحفصيين منها ثم نرجع الى بقية أخبار السلطان أبى مروان المعتصم بالله لانها تنبنى على ذلك فنقول : اعلم أن أمر بنى أبى حفص أصحاب تونس كان قد مرج فى هذه المدة وتداعى الى الاختلال ، وكان خير الدين باشا التركى المقدم ذكره فى أخبار تلمسان قد استولى على تونس فى حدود الاربعين وتسعمائة وغلب عليها صاحبها الحسن ابن محمد الحفصى ، ففر الحسن المذكور الى طاغية الاصبنيول صاحب قشتالة فأعطاه العساكر وجاء بها الى تونس ، فنزل عسكر النصرى بـرج العيون قرب حلق الوادى ، وتقدموا الى تونس فملكوها ، وانهزم خير الدين الى الجزائر ، وشارك النصرى الحسن بن محمد فى امرة تونس ، واستباحوا أهلها قتلا وأسرا ونهباً ، يقال : لانهم قتلوا من أهل تونس الثلث ، وأسروا الثلث ، وأبقوا الثلث ، وكل ثلث ستون ألفا هكذا عند صاحب « الخلاصة النقية » . ثم ملكوا الموضع المسمى : بحلق الوادى وليس هناك واد عذب وانما هو جون دخل من البحر فى البر وعليه مرسى تونس ، ثم بنى النصرى فى الحلق المذكور حصنا عاديا أقاموا فى بنائه نحو ثلاث وأربعين سنة ، بحيث عجز الترك عن هدمه لما ملكوه بعد .

ثم ثار على الحسن ابنه أحمد المدعو : حميدة . وملك الحضرة مدة وقاتل

نصارى حلق الوادى فامتنعوا عليه ، ثم عزاه على باشا صاحب الجزائر واستولى على تونس سنة سبع وسبعين وتسعمائة وطرده أحمد عنها ، فذهب أحمد الى طاعية قنستالة مستغيثا به شأن أبيه من قبله ، هذا كله ونصارى الحلق لازالوا متمكنين منه أى تمكن ، فأمد الطاعية أحمد المذكور بأسطول عظيم واشترط عليه أداء مال فالتزمه .

ولما وصل الاسطول الى ظاهر تونس اطلع قائده السلطان أحمد على كتاب من الطاعية مضمنه المشاركة فى الحكم ، فأنكر أحمد ذلك وأنفى منه ، وذهب الى صقلية فبقى بها الى أن مات وحيل الى تونس . وكان هنالك أخوه محمد بن الحسن فرضى بالمقايمة ودخل بالنصارى الى تونس فاستولى عليها وملك قصبتهما وجالسه شريكه النصرانى بها ، وانتهبت المدينة وأهين الدين وعم الخراب وتكدر المشرب وتفرق الجمع ، وارتبطت خيل العدا بالجامع الاعظم والقيت مافيه من نفائس الكتب بالطرق ونشئ قبر الشيخ أبى محفوظ يحرز بن خلف فلم يوجد فيه الا الرمل حماية من الله له ، وحاشا أن تعدوا الارض على جسد مثله ، وأرسل محمد بن الحسن الى الناس بالامان وإستمالهم النصرانى بعد بكاذب الرفق ، فأقاموا بدار مذلة وهوان .

واتصل ذلك كله بالسلطان سليم بن سليمان العثمانى فأعظمه ، وجهر العبارة للحين مع الوزير سنان باشا يقال : كانت أربعمائة وخمسين قطعة فخرج بها الوزير المذكور من القسطنطينية ، وهى اصطنبول ، غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، ووصلوا الى حلق الوادى فى الرابع والعشرين منه ، وكان حيدر باشا صاحب القيروان ، ومصطفى باشا صاحب طرابلس محاصرين لتونس قبل ذلك حتى فتر عزمهم ، فلما قدم عليهم سنان باشا قويت نفوسهم واعصوا صوا عليه ، وتقدموا الى الحصن الذى بحلق الوادى فحاصروه حتى اقتحموه عنوة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة ، أعنى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، واستلحموا من به وغنموا مافيه ، والتجأ محمد بن الحسن الحفصى وأنصاره من النصارى الى البستيون ، وهو حصن آخر كانوا قد بنوه خارج باب تونس ، فحاصروهم سنان باشا به حتى اقتحمه عنوة . وقتلوا من به ، وامتلأت

أيديهم من المغانم ، وطهر الله بهم البلاد ، وكانت إحدى الوقائع الجليلة القدر ،
الباقية الذكر ، وظفر الوزير بمحمد بن الحسن فاحتمله معه إلى السلطان سليم
فاعتقله في يد قاة أحد حصونه حتى هلك ، ولانقرضت بمهلكه دولة بني أبي
حفص التي هي بقية الموحدين .

إذا علمت هذا ، فاعلم أن استيلاء العساكر العثمانية على تونس كان قبل وفاة
السلطان الغالب بالله بنحو خمسة أشهر ، لأن وفاته كانت في آخر رمضان سنة
أحدى وثمانين وتسعمائة كما مر ، وفتح تونس كان في جمادى الأولى من
السنة المذكورة . ووقع في «النزهة» : أن فتح تونس كان سنة اثنين وثمانين
وتسعمائة ، وهو غير صواب ، والله تعالى أعلم .

❦

مجيء السلطان أبي مروان عبد الملك بن الشيخ السعدي بعسكر الترك
واستيلاؤا على المغرب



اعلم انه وقع في «النزهة» وغيرها أن عبد الملك بن الشيخ وأخاه أحمد
كانا في ابتداء أمرهما بسجلماسة فلما توفي أبوهما وولى أخوهما الغالب بالله
لحقا بتلمسان فأقاما بها مدة ثم انتقلا إلى الجزائر ، فلما اتصل بهما خبر وفاة
أخيها الغالب وولاية ابنه محمد المتوكل من بعده ركب عبد الملك البحر إلى
القسنطينية وتطارح على ملكها العثماني في أن يمدد بجيش لملك المغرب ، فتأقلم عنه
العثماني إلى أن بعث بالعمارة لفتح تونس فشهد عبد الملك الفتح ، وعاد إليه
بالبشارة فأسعفه ، وهذا غير صواب من جهة أن فتح تونس كان مقدما على
وفاة الغالب بالله كما مر ، اللهم إلا إذا كان عبد الملك وفد على العثماني مستعديا
على أخيه الغالب بالله ، وفي أثناء ذلك توفي وولى ابنه المتوكل فيكون الكلام
صحيحا ، وأما ما في «النزهة» مما يقتضي تأخر فتح تونس عن وفاة الغالب بالله
فغير صواب كما مر .

ولنذكر ما حكوه من ذلك فنقول : لما بويع السلطان أبو عبد الله محمد

المتوكل على الله كان عبد الملك بن الشيخ وأخوه أحمد المدعو بعد بالمنصور بالجزائر ، فركبا البحر الى القسطنطينية العظمى قاصدين السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله ، ومع عبد الملك أمه سحابة الرحمانية ، وزعم بعضهم أن التي كانت معهما مسعودة الوزكيتية ، وهى أم أحمد منهما ، فانتھيا الى القسطنطينية وتعلقا بكبراء الدولة حتى أدخلوهما على السلطان سليم ، ودخلت أمهما داره ، وطلبوا منه أن يبعث معهم العساكر لتملك المغرب ، ويقوموا فيه بدعوته ، فتناقل عنهم مدة الى أن كان الغزو الى تونس فكسب السلطان سليم الى أهل الجزائر وأهل طرابلس أن يوجهوا قراصينهم لحصار تونس مع العمارة الموجهة من قبله ، فطلب عبد الملك وأخوه أحمد من الدولتين ، وهو صاحب الجزائر ، أن يجعل لهما رئاسة قرصان منها يتوجهان فيه للجهاد معه ، فأعطاهما غليوطة فيها ستة وثلاثون رجلا فركباها ولحقا بعمارة السلطان سليم فى جملة مراكب الجزائر . هكذا وقع فى سياقة هذا الخبر ، وهو يقتضى أنهما كانا يومئذ بالجزائر لا بالقسطنطينية ، فلعلهما عادا اليها من عند السلطان سليم الى أن سافرا فى جملة عسكر الجزائر والله تعالى أعلم ، ولما فتخوا تونس واستأصلوا من بها من الكفار حسبما مر عين رئيس العمارة العثمانية مركبين يتوجهان بكتاب الفتح الى السلطان سليم ، فطلب منه عبد الملك وأحمد أن يأذن لهما فى الذهاب معهما بالغليوطة ليأتيا بأمهاتى تركاها هنالك ، فلم يزلوا بالرئيس المذكور حتى أسعفهما . فكان من قدر الله تعالى ان هاج البحر عليهم ذات ليلة ففرق مراكبهم ، ولما أصبح عبد الملك وأحمد لم يجدا للمركبين أثرا فوافقهم السعد وساعدتهم الريح فوصلوا الى القسطنطينية قبل المركبين بثلاث .

واتصل خبرهما بالصدر الاعظم فأحضرهما وسألهما عن العمارة وهما كان منها فأخبراه بفتح تونس ، وقصا عليه الحديث من البدء الى التمام ، فأعلم السلطان سليمان بهما فأدخلهما عليه وسألهما كذلك فأخبراه ، وسألهما عن كتاب الفتح فقالا : ان امير العمارة قد بعث به مع مركبين صحبناهما الى أن فرق بيننا البحر ولم ندر ما كان منهما بعد ذلك .

ولما رأيا من السلطان سليم تنزلا واهتزازا لكلامهما طلبا منه فى بشارتهما أن يبعث معهم العساكر الى الغرب، وشفعا فى انزال رأس والدهما ودفنه فقبل شفاعتهما ، ثم أمر بهما الى بعض المنازل فأنزلهما به وأكرمهما ، وبعث اليهما بالام التى كانت هنالك وأرجأ أمرهما الى قدوم الخبر اليقين ، وبعد ثلاث قدم الركبان ومعهما كتاب الفتح ، وظهر صدق عبد الملك وأحمد ، فحينئذ أقبل عليهما السلطان سليم وأعطاهما مالا وسلاحا وزادا وكتب لهما فرمانا للدولاتى صاحب الجزائر ليعث معهما خمسة آلاف من عسكر الترك تطأ معهما أرض المغرب الأقصى .

ولما قدما على الدولاتى بالفرمان وقرأه على أهل الديوان قالوا علينا الرجال وعليهما المال ، وهذه عادتنا مع السلطان، ولما لم يكن عندهما مال يومئذ تطارحا على الخزنदार وعلى الاغا والوكيل وأهديا اليهم ورغا منهم أن يسلفوهما ما ينفقانه فى وجهتهما تلك الى أن يعبأ به اليهم من المغرب ، فسئلوا لهما وقوموا العسكر بما يحتاج اليه وفرضوا له المؤنة كل يوم بيومه الى أن يرجع، وأشهدوا عليهما بذلك فى دفتر ققبلا وأعطوا خطوطهما به ، ثم نهض عبد الملك وأخوه الى المغرب يجران عساكر الترك خلفهما ، وكتب عبد الملك الى شيعته بالمغرب يعرفهم قدومه ويعددهم ويمنيهم الى أن كان من أمره ما كان . وساق اليفرنى هذا الخبر وفيه بعض مخالفة لما تقدم قال : « لما فتحت تونس كان عبد الملك أول من أرسل البشارة مع أصحابه الى السلطان العثمانى فبلغت الرسالة أمه سحابة الرحمانية فاعطتها السلطان المذكور والتمست منه أن يعطيها فى بشارتها أمر أهل الجزائر بالذهاب معها الى المغرب ، فأعطاها ذلك، فجاء عبد الملك مع أمه بكتاب السلطان الى أهل الجزائر يأمرهم بالمسير معه لتملك ما كان بيد آبائه فطالبه أهل الجزائر بالراتب ، فقال لهم : أسلفونسى وعلى القضاء فانفق معهم أن يعطيهم عشرة آلاف لكل مرحلة ، وكان عدد جيش الترك أربعة آلاف . »

وقال فى شرح «الدرة» : «ان عبد الملك طلب من رئيس الترك أن يعينه بحصنة منهم توصله الى تخم بلاده ليدخلها اذ الجند كله جند أبيه لا يمكن

أن يقاتلوه ويضربوا في وجهه لتعظيمهم إياه فأسعفه على مراده ، وأرسل معه عصابة وحصة قليلة ، فأقبل بهم حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالركن من أحواز فاس ، فلما سمع بذلك ابن أخيه محمد المتوكل خرج للقائه بنفسه ، ولما التقى الجمعان نزع رئيس جند الاندلس سعيد الرغالي إلى عبد الملك ، وكان عبد الملك يكتب حاشية المتوكل وبطانته ورؤوس أجناده ويعد طائعتهم ، ويوعد عاصيتهم ، فلما سمع المتوكل بما فعله جند الاندلس فت ذلك في عضده وفشلت ربحه وأيقن بالنكبة ظنًا منه أن جنده كله سيفعل فعل الرغالي ، فكان ذلك سبب جزعه وفراذه من المعركة وسبب خراب ملكه وإقامة ملك عمه ، ويقال: ان بعض الجند لما سمع بان القائد جرمون وأولاد عمران نزعوا إلى عبد الملك أيضا جاء إلى المتوكل وقال له : « ان القائد ابن شقراء قد غدر وفر إلى عبد الملك » وكان ابن شقراء هذا من أكبر قواده وأصدقهم لديه ، فارتاع المتوكل لذلك وانقلب منهزما ، وانهبت خزائنه ، وأوقد فيها النار ، ونفط ما كان بها من البارود حتى رأى من رؤوس الجبال .

ولما انهزم المتوكل بالركن عطف على فاس الجديد فاخذ منها ما يعز عليه من الذخيرة ثم خرج على وجهه إلى مراكش لا يلوى على شيء فلحق به القائد ابن شقراء بوادي النجاة على مقربة من فاس وأغلظ له في القول ولألمه على عدم التأنى والتثبت ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .



استيلاء السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم بالله على حضرة فاس وما يتبع ذلك



لما انهزم المتوكل بالركن وأجفل إلى مراكش تقدم عمه أبو مروان إلى فاس فدخلها واستولى عليها يوم الاحد سابع ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة من باب الفتوح ، وبعد أن دخلها وبايعه أهلها أقام بها أياما ثم طمحت نفسه إلى اتباع ابن أخيه إلى مراكش ، ولما عزم على النهوض إليه طالبه الترك بان

يردهم الى بلادهم وأن يعطيهم المال الذى اتفق معهم عليه وهم يسمونه بلقتهم :
البقشيش فبذل لكل واحد منهم أربعمائة أوقية ، واستسلف المال
من تجار أهل فاس حتى يتسع حاله ، فكان جملة ما أعطى الترك خمسمائة
ألف وأعطاهم عشرة من الانفاض ، منها النفض الكبير الذى له عشرة أفواه ،
وزادهم من تحف المغرب وطرفه ما سلى به نفوسهم ، وركب لوداعهم بنفسه
الى نهر سبو ، ثم رجع الى فاس .

وفى هذه المدة قبض على قاضيا الفقيه أبى مالك عبد الواحد بن أحمد
الحميدى لأمر نقمه عليه وأودعه السجن ، فبعث الفقيه المذكور أولاده الى
الشيخ الصالح أبى النعيم رضوان بن عبد الله الجنوى يطلب منه أن يشفع له عند
السلطان المعتزم بالله ، فكتب اليه الشيخ أبو النعيم يحضه على الاستشفاع
بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستمسك بحبله لانه باب الله الاعظم قبل القاضى
اشارته ، وتوجه الى ربه بكليته ، فاتاه الفرج من حينه ، رحم الله الجميع بمنه .



نهوض السلطان أبى مروان الى مراکش واستيلاؤه عليها

وفار ابن أخيه الى السوس وما نشأ عن ذلك .



ثم ان السلطان أبى مروان نهض من فاس فى جنده الذى أقامه وكان غرس
يده وفيما انضاف اليه من جند ابن أخيه وتقدم الى البلاد المراكشية قاصدا
حربه وتشريده عنها ، ولما سمع ابن أخيه بخروجه اليه وقصده إياه تهيأ لملاقاته
وسار الى منازلته فالتقى لجمعان بموضع يسمى خندق الريحان على مقربة من
وادي شراط من أحواز سلا فكانت الهزيمة أيضا على المتوكل ، وفر برأس
طمرة ولجام ، وأجفل كماداته اجفال النعام ، وتبعه أحمد المنصور خليفة أخيه
أبى مروان يومئذ ، فلما سمع المتوكل باتباعه بعد بلوغه الى مراكش فر عنها
الى جبل درن وأسلم له مراكش فدخلها أحمد نائبا عن أخيه ، وأخذ له
البيعة على أهلها ثم لحق به السلطان أبو مروان فدخلها يوم الاثنين تاسع

(الاستقما - خامس - 5)

عشر ربيع الثاني سنة أربع وثمانين وتسعمائة وأقام بها أياما ، ثم خرج في طلب ابن أخيه فعميت عليه أنبأؤه وسقط بين سمع الأرض وبصرها ، فعاد أبو مروان إلى مراکش فأقام بها إلى أن كان من أمره ما نذكره .

■ ■ ■

استخلاف السلطان أبي مروان لأخيه أبي العباس أحمد على فاس وأعمالها



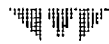
لما استقر السلطان أبو مروان بمراكش وانقطع خبر المتوكل عنه بالسوس تقدم إليه أخوه أحمد وسأله أن يستخلفه على فاس ليكفيه أمرا ، فاجابه إلى ذلك وولاه عليها ظنا منه أن أمر المغرب قد صفا له ، وإن المتوكل لا يعود إليه ، وكان الوزير أبو فارس عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي حاضرا للطلبة والعطية ، فانكر ذلك ولم يره صوابا ، وقال : « لا ينبغي لكما أن تقعدا حتى يحكم الله بينكما وبين ابن أخيكما ، ففاظ ذلك أحمد وظن انه من سوء رأى عبد العزيز فيه وبغضه لجانبه ، فأعرض عن مقالة الوزير المذكور ، وذهب إلى فاس خليفة عليها ، وبقي السلطان أبو مروان بمراكش .

وفى هذه المدة كتب السلطان أبو مروان لأخيه أحمد برسالة يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، من عبد الله المعتصم بالله ، المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين أبي مروان عبد الملك ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيده الله وأعز نصره وأسعد زمانه المبارك وعصره وأبقى بمنه فخره من أملائه أيده الله ونصره ، إلى أخينا الأعز الاحظى بابا أحمد حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فاعلم أنني لا أحب أحدا بعد نفسي كمحبتى لك ، ورغبتى في انتقال هذا الامر بعدى إليك لا لغيرك ، غير أنني أعتاد منك التراخي في الأمور حتى أنك لا تبالي بعظيم الامر ولا تعتبره ، إلى أن يتطرق إلى ما لا يتلافى جبره ، من الأمور السيئة تكاد لولا لطف الله تذهب بهذا الملك وتهد أركانه ، ويبلغ العدو معها مناه

ومراده، من ذلك التراخي اهمالك أمر الجند الذي بالعرائش ، واغفالك له مع ما يترادف عليك في كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة اليه من المثونة والبارود والرصاص الذي لا يستقيم لهم أمر في مقاومة العدو دون ذلك ، وجعلت تقابل خطابهم بالاهمال وعدم المبالاة ، والآن ساعة يرد عليك كتابنا هذا قبل وضعه من يدك ابعث اليهم مؤنة عشرة أيام بينما نصل ان شاء الله فيقع التدبير فيما يحتاجون اليه زائدا على ذلك مع ما عندكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطلة ولا تراخ بحيث لا نقبل منك عذرا في هذه المسألة التي لا تحتاج الى الاهمال ، ولا بد ولا بد ، فقد بلغنا أن صاحب النصارى يقرب أصيلا في خمس عشرة مائة من النصارى ، وتمنيت أن لوحركك الهممة للافتحام عليه في مكانه بجيش يكسوه أردية الصغار ، ويرجع ساعة رؤيته الى عادته من الذل والفرار ، فانتبه من الغفلة وافتح عين الانتباه واليقظة ، فان الساعة لا تقضى الا الحزم ، والتشمير عن ساعد الاجتهاد والعزم ، والسلام ، اه .

ظهور ابى عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه الى مراکش

واستيلاؤا عليها



كان أبو عبد الله المتوكل بعد فراره عن مراکش يجول في جبال السوس ويتنقل في قبائلها وأحيائها الى أن اجتمعت عليه طائفة من الصعاليك وتأنسب عليه ما يشبه ان يكون جيشا فاستهوتهم منه الاضاليل وقادهم قود الملك الضليل وجاء بهم الى مراکش . فسمع به السلطان ابومروان فخرج للقائه فخالفه المتوكل وسلك طريقا غير طريقه ، وفجا غير فججه ، وقصد مراکش فدخلها* باتفاق أهلها ونصروه وكتبوا له البيعة الا أنه لم يتمكن من القصة لان السلطان

(*) سنة ٨٤ وفي هذا السنة كانت فتنة أبى عبد الله الاندلسى ومقتله كما ذكره

المؤلف فيما سبق . انظر الدوحة صفحة ٨١ .

أبا مروان كان قد ترك بها أخته الست مريم فى نحو ثلاثة آلاف من الرماة فتحصنوا بها وبلغ الخبر أبا مروان باستيلاء المتوكل على مراكش فرجع عوده على بدئه الى أن وافى الحضرة ، فحاصره بها وكتب الى أخيه أحمد الخليفة على فاس أن يأتيه بجيش منها ، فأتاه به أحمد مسرعا .

ولما انتهى الى مراكش اجتمع بالوزير أبى فارس الوزكىتى فقال له : « أوقفت على رأى ؟ أول الفكرة آخر العمل ! » فبانت لاحمد نصيحته وزال ما كان يختلج بصدرة عليه .

ولما جاء أحمد بجيش فاس أسلم المتوكل شيعته من أهل مراكش وفر الى السوس فبقى أهل مراكش متمادين على الحصار الى أن اتفق السلطان أبو مروان مع أعيان جراوة فادخلوه من بعض الاسوار والانقاب ، ولما فر المتوكل الى السوس تبعه أحمد المنصور فكانت بينهما هنالك حروب عظيمة أتاح الله فيها النصر للمنصور ، منها : وقعة تينزرت التى أشده فيها وزيره الكاتب أبو الحسن على بن منصور الشيطمى البيتين اللذين قالهما فيه الكاتب أبو عبد الله بن عيسى وهما :

هو الغيث والبحر الغظمم فى الندى وليث اذا جد الطعان هصور
يفوق السهام عزمه وانبعائه يوقصر عنه فى الثبات ثبير
فأجابه أحمد المنصور بيتى أبى فراس الحمدانى وهما :

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن خطب الحساء لم يغله المهر
ومنها الوقعة التى بعدها باساطين المنصور وهو فى نحو ثلاثة آلاف ، والمتوكل فى نحو ستين الفا ومع ذلك هزمه المنصور

قلت : كان أحمد المنصور هذا مجدودا ، محظوظا مسعودا ، بحيث أربت سعادته على شجاعته ، وما كان أخوه عبد الملك يسرى الا فى ضوء طلعه ويمن نقيته ، فلذا كان يقدمه فى الحروب ويستكفى به فى نوازل الخطوب ، ومن سعادته ما اتفق له فى ذهابه الى العثمانى بخبر الفتح وتقدمه قبل الكتاب بثلاث حتى تسنى له من جانب السلطان المذكور ما كان سببا فى استيلائهما على المغرب ،

وستسمع فى أخبار دولته من أنباء سعاداته ما تقف به على حقيقة الحال ان شاء الله . وأما أمر المتوكل فانه بعد توالى الهزائم عليه فر الى جبل درن وتوغل فى قننه ثم فر منه الى باديس فأقام بها مدة ثم ذهب الى سبتة ثم دخل طنجة مستصرخا بعظيم البرتقال ، والله تعالى لا يهمل من حقوق عباده وزن المثقال .



الغزوة الكبرى بوادى المخارن من بلاد الهبط والسبب فيها



كان من خبر هذه الغزوة أن السلطان المخلوع أبا عبد الله محمد بن عبد الله السعدى لما دخل طنجة قصد طاغية البرتقال ، واسمه سبستيان ، بكسر السين وفتح الباء والسين وسكون التاء القريبة من الطاء ، وهو طاغيتهم الاعظم ، وليس قائد الجيش فقط على ما هو المحقق فى تواريخهم ، وتطارح عليه وشكا اليه ما ناله من عمة أبى مروان المعتصم بالله وطلب منه الاعانة عليه كى يسترجع ملكه . وينتزع منه حقه ، فاشكاه الطاغية ولبى دعوته وصادف منه شرها الى تملك سواحل المغرب وأمصاره ، فشرط عليه أن يكون للنصارى سائر السواحل وله هو ما وراء ذلك فقبل أبو عبد الله ذلك والتزمه ، وللحين جمع الطاغية جموعه واستوعب كبراء جيشه ووجوه دولته وعزم على الخروج الى بلاد الاسلام .

ومن المتواتر فى تواريخ الافرنج : ان كبار دولته حذروه عاقبة هذا الخروج ونهوه عن التفرير ببيضة البرتقال وتوريطها فى بلاد المغرب وقبائله ، فصم عن سماع قولهم ولج فى رأيه ، وملك الطمع قلبه ، وأبى الا الخروج فأسعفوه وخرج من طنجة فى جيش ، قال ابن القاضى فى «المنتقى المقصور» : « عدده مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا » ، وقال أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى مرآة المحاسن ، يقال : ان مجموعهم كان مائة ألف وعشرين ألفا وأقل ما قيل فى عددهم ثمانون ألف مقاتل . وكان مع محمد بن عبد الله نحو الثلاثمائة من أصحابه ، قال بعضهم : وكان عدد الانفاض التى يجرونها مائتين ،

وقصدوا هلاك المغرب وحصد المسلمين ، وادارة رحى الهوان على الدين ، فغظم ذلك على الناس وامتلاّت صدورهم رعبا وقلوبهم كربا ، وبلغت القلوب الحناجر ، واتقدت بها نيران الهواجر ، وكان محمد بن عبد الله المذكور قد كتب عند خروجه بجيش البرتقال الى بلاد الاسلام رسالة بعث بها الى أعيان المغرب من علمائه وأشرافه وذوى رأيه يغمض عليهم بها فى نكت بيعته ونقضها ، ومبايعة عمه من غير موجب شرعى ، وقال لهم : « ما استصرخت بالنصارى حتى عدت النصر من المسلمين » وقد قال العلماء : انه يجوز للانسان أن يستعين على من غصبه حقه بكل ما أمكنه . وتهدهم فيها وأبرق وأرعد . وقال : « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » وسمى النصارى : أهل العدو واستكف من تسميتهم نصارى ، فأجابه علماء الاسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك برسالة دامغة لجيش أباطيله وفاضحة لركيك تأويله ، وهذا نص جواب تلك الرسالة حرفا حرفا : « الحمد لله كما يجب لجلاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وارساله ، والرضى عن آله وأصحابه ، انذين هجروا دين الكفر فما نصروه ولا استنصروا به ، حتى أسس الله دين الاسلام بشروط صحته وكماله .

وبعد ، فهذا جواب من كافة للشرفاء والعلماء والصلحاء والاجناد من أهل المغرب وفقهم الله لمولانا محمد ابن مولانا عبد الله السعدى عن كتابه الذى استدعاهم فيه لحكم الكتاب والسنة ، واستدل بحججه الواهية المنكبة عن الصواب ، قائلين له عن أول حجة صدر بها الخطاب ، لو رجعت على نفسك اللوم والعتاب لعلمت أنك المحجوج والمصاب ، فقولك : خلعنا بيعتك التسمى التزمنها ، وطوقناها أعناقنا وعقدناها ، فلا والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع ، ولا على سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع ، وانما ذلك منا على منهج الشرع وطريقه ، وعلى سبيل الحق وتحقيقه ، وسنشرح لك ذلك ونبينه ، ونسطره لك بالادلة الشرعية التى ترقيه وتزينه ، نعم كنت سلطانا بما عقد لك والدك من البيعة ، وترك لك من الاموال والعدد والحصون مما لم يتهيا مثله لاحد من أسلافكم الكرام رضوان الله عليهم ، فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك فى

، حق جهاده ، حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون
ده ، وأسسوا لدين الله قواعد وأركاناً ، وملكوا من المغرب بلاداً معتبرة
وطناً ، فلما وصل ذلك إليك ألفت إليك العباد أعنتها ، وملكك أزمته ،
مبدلين ولا مغيرين ، ولا باغين ولا منكرين ، الى أن قام عليك عمك بحجته
لا يمكنك جحدها ، حسبما ثبت كما يجب عقدها ، فخرجت مبادراً له
لعمها ، ولقيته بها وأنت واسطة عقدها ، وحامل راية عهدها ، وعمك في فئة
يخطر على بال عاقل أن يقابل جنداً من جنودك ، أو يدافع ما تحت لواء من
يتك وبندوك ، فما هو إلا أن جرى القتال ، وحضر النزال ، رجعت على عقبك
بأهروب مطرود بقصاص ، وجنودك تناديك ولات حين مناص ، فتركت
دك ومحلكت بكل ما فيها ، وخلفتها لعدوك ينهاها ويسبها ، وهربت عن
بنة فاس المحروسة وسكانها ينادونك : لمن تركتنا والى من تركنا ؟ فلم تلتفت
هم وأسلمت بلادهم على ما فيها من خزائن الأموال والعدد الوفيرة والرجال
أسوار المرتفعة للمانة ، والمدينة المشهورة الجامعة ، فأصبح أهلها واليد
دية من المفسدين تريد أن تمتد الى الحريم والأولاد ، والطارف والتلاد ،
'دافع عن الضعفاء والمساكين الا الله تعالى الذي قال في مثلهم : «من أصدق من
مقيلاً ،» لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فما أمكنهم بعد هروبك عنهم
سلامك لهم فوضى مهملين الا النظر في أمرهم ، واعمال الفكر في التدبير على
سهم ، فبينما هم على ذلك اذا بعك بجنوده على باب مدينتهم قائماً بحجته ،
لكا في ذلك سبيل أبيه رحمه الله ومجته ، حسبما تقرر ذلك عندكم
لهم ، ولم يخف عنكم منه عين ولا أثر ، اذ كان مولانا محمد الجد الأكبر
د لأولاده مولانا أحمد ، ومولانا محمد الشيخ واخوانهم ، لايتولى الخلافة
هم ولا من أولادهم الا الأكبر فالأكبر ، فالتزموا ذلك الى أن كبر أولادهم
لب جدك من عمك الوفاء بذلك فامتنع ، فقاتله على ذلك حتى تم له الامر
تنظم ، فعهد لوالدك الذي كان أكبر أولاده ، فلم ينازعه أحد في ذلك الى أن
ي والدك رحمه الله ذلك ، وعهد اليك فلم ينازعكم أحد ، فأبى الله الا
حق فاعطى ملكه لعمك الذي هو أكبركم بعد أبيك ، فان سلمت هذا فأبى

حجة تدلى بها وأى طريق تعتمد عليها؟ وان أنكرت هذا فلا أثر لخلافة أبيك من قبلك ولا لجذك من قبله لثبوتها لعمكم مولانا أحمد ، اذ لا حجة حينئذ لجذك فى القيام على عمك ، فخلافته صحيحة لبيعة جذك له ، فلم يبق الا التغلب الذى تدلى به فى مسألة عمك وفى قيامه عليك ، فان كنت تريد أن تسقط حجته بالتغلب عليك فحجيتك أبين فى السقوط لعدم ثبوت الخلافة لمن عقدها لك ، اذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا ، فلم يبق بينكم الا : « والملك بعد أبى لى لمن غلبا ، فيلزملك على هذا أن تثبت ما عقده مولانا الجد رحمه الله ، وعليه فالخلافة لعمك القائم عليك اذ هو أكبركم فى هذا التاريخ .

فان قلت : ان ما عقده الجد غير صحيح ، قلنا : فقد ذكر الامام الماوردى رحمه الله ورضى عنه فى كتاب الاحكام السلطانية له فى باب عقد الخلافة أن عبد الملك بن مروان رتبها فى الأكبر فلاكبر من بنيه فلم ينازعه أحد فى ذلك .

فان قلت : فعل عبد الملك ليس بحجة ، قلنا : سكوت العلماء على ذلك وهم ما هم فى زمانه هو الحجة ، اذ لا يمكن أن يسكتوا على باطل ، وأقرار أهل العصر الواحد على مسألة من المسائل واتفاقهم عليها يقوم مقام الاجماع الذى هو حجة الله فى أرضه ، وكان أيضا من محفوظات علماء فاس المحروسة ما خرجه مسلم رضى الله عنه فى صحيحه فى كتاب الامارة ما نصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند رأسه يقال هذه غدره فلان بن فلان ، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة » قال القاضى : أبو الفضل عياض رحمه الله فى كتاب « اكمال المعلم على شرح فوائد مسلم » : « يعنى لم يحطهم ولم ينصح لهم ولم يف بالعقد الذى تقلده من أمرهم ، وفى الباب نفسه عنه عليه الصلاة والسلام ما نصه : « مامن أمير استرعاه الله رعية ثم لم ينصح لهم الا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » . وفى « الاكمال » نفسه قال القاضى : « والذى عليه الناس أن القوم اذا بقوا فوضى مهملين لا امام لهم فلم أن يتفقوا على امام يابعونه ، ويستخلفونه عليهم ينصف بعضهم من بعض . وقيم لهم الحدود » . فلما أسلمتهم وأضحوا

بغير امام وعمك يدلى بحجته التى ذكرنا لك مع ما حفظوه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وكلام السلف الصالح ، وأيسوا من رجوعك اليهم ، ويقوا فوضى مهملين لم يسمعهم الا الرجوع الى ما عليه الناس رضوان الله عليهم فاتفقوا على أن يبايعوا عمك لما ذكرنا لك من الحجج التى لا يسمك جحدها الا على وجه المكابرة ، فاطمان الناس وسكنوا وانفتحت السبل وأقيمت الحدود وارتفعت اليد العادية .

فان قلت : كان يجب على أهل فاس أن يقاتلوا على البيعة التى التزموها لك قلنا : انما يلزمهم القتال أن لو أقمت بين أظهرهم فيكون قتالهم على وجه شرعى لان القتال على الحدود الشرعية انما يكون بعد نصب امام يصدر الناس عن رأيه ولا يمكنك أيضا جحدها ايه . ثم وصلت الى مراكش الغراء التى تجبى اليها الاموال من البوادي والامصار ، وتشد اليها الرحال من سائر الاقطار ، فلقيت أهلها بالترحاب والسرور ، وأنواع الفرح والحبور ، فوجدت خزائنها تتدرج ملئا من كل شىء ، فأما أسوارها ورحابها فهى كما قيل : تربة الولى ، ومدرج الحلى ، وحضرة الملك الاولى ، والبرج النيرالجلى ، فحللتها وتمكنت من اموالها وخزائنها ، ووافقت أهلها فما نكسوا ولا غدروا ، ولا خرجوا عليك فى سلطانك ولا أنكروا ، فطلبت أيضا قتال عمك وجندت جنودا لايجمعها ديوان حافظ ، ولا يمهدها لسان لافظ ، فخرجت اليه تجر أعنة الخيل وراءك كالسيول ، والرماة قد ملأت الهضاب والتلول ، فما كان من حديثك الا أن وقع القتال وحضر النزال ، بادرت هاربا محكما للعادة ، تاركا للرؤساء من أجنادك والقادة ، فحلت بهم الخطوب والرزايا ، واختطفتهم أيدي المنايا ، فتركت أيضا محللك بما فيها من حريمك وأموالك وعدتك ، ثم أسرعت هاربا الى مراكش فما صدك عنها أحد من أهلها ، ولا قال لك أحد لست بعملها فعملوا على القتال معك والتمنع بأسوارها الحصينة ، والحصار داخل المدينة ، فلما كان الليل غدرتهم وغادرت بناتك وأخواتك وعماتك ونساءك ، وخرجت عنهم من القصبه وتركتهم لا بواب عليهم ولا حارس ، ولا راجل ولا فارس ، فيالها من مصيبة ما أعظمها ، ومن داهية ما أعظمها . ولولا فضل الله ولطفه

ووعده بتطهير أهل البيت لامتدت اليهم أيدي السفلة من الفسقة فإى حجة تبقى لك بعد هذا؟ وأى كلام لك بين الرجال يا هذا؟ ثم جاءك عمك أيضا بما سلف من الحجج فوجد أهلها فى لطف الله سبحانه وهم يحرسون أولادهم وديارهم من اليد العادية، فأنقذهم الله به أيضا فبايعوا عمك بما سلف من الحجج، واطمأنوا وسكنوا، ثم هربت للجبل عند صاحبه (*) فصرتما فى نهب أموال الرعية وسفك دمائهم، وأكثر ما صفا لك من ذلك أهل الذمة المصفرون بحكم القرآن، الداخلون تحت عهد سيد الثقلين فى الأمان والأمان فانت وهم فى استيلائك عليهم وظلمك إياهم كما قيل .

ان هو مستوليا على أحد الا على أضعف المجانين

ولم تبال بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا خصيم من ظلم ذميا يوم القيامة » ثم خربت العامر، وأفسدت ما شيدت الاسلاف للإسلام من المآثر، فلما رأى أهل السوس الأقصى ذلك أيقنوا انك انما قصدت خراب الاسلام وأهله فكذب عنك أهل الدين والعلم منهم وبقيت، كما قيل : « فى خلف كيجلد الاجرب » .

فان قلت : ان أولئك الخلف لم يبايعوا عمك فتتقض بهم ما قررناه ، قلنا : لم يطمعن فى خلافة أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه من تخلف عنها من أهل الشام ، وفيهم من قد علمت من الناس ، والإجماع على صحة بيعته: وسمى من تخلف عنها: باغيا لقول النبى صلى الله عليه وسلم لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فقتله أصحاب معاوية رضى الله عنه ، والحديث من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، والقاعدة أن ما اجتمع عليه من يعتبر من أهل العصر الواحد هو المعول عليه ، ولا يمد خلاف من خالفه خلافاً وهذا كله بالنظر الى ما كان من حديثك قبل التحزب مع عدو الدين ، والاخذ

(*) المقصود به هو الشيخ ابو عبد الله بن محمد واسعدون الذى التجأ اليه المتوكل بعد فراره انظر «الدوحة» صفحة ٨٤ «وطبقات الحضيكي» فى حرف الميم «والممتع» «والصفوة» وقد ذكرت ترجمته فى هذا المؤلف الاخير استطرادافى ترجمة تلميذ سيدى احمد المعروف بالشيخ وكانت وفاة ابن واسعدون هذا عام ٩٨٧ بعد غزوة وادى المخازن بسنة .

فى التخليط العظيم على المسلمين ، فانك اتفقت معهم على دخول آصيلا ، وأعطيتهم بلاد الاسلام ، فيالله وبإلرسوله لهذه المصيبة التى أحدثتها ، وعلى المسلمين فتقتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد ثم لم تتمالك أن ألقىت بنفسك اليهم ورضيت بجوارهم وموالاتهم كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فانه منهم » . قال أبو حيان رحمه الله : أى لا تنصروهم ولا تستصروا بهم وفى كتاب القضاء من نوازل الامام البرزلى رحمه الله : أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتونى رحمه الله استفتى علماء زمانه رضى الله عنهم ، وهم ماهم ، فواستنصار ابن عباد الاندلسى بالكتابة الى الافرنج على أن يعينوه على المسلمين فأجابه جلهم رضى الله عنهم برده وكفره ، فأمل هذا مع قضيتك تجدها أحروية مناسبة لقضية ابن عباد فى عقدها ابتداء ، وانه متى طرأ للكفر وجب الغزل ، وناهيك بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسمع والطاعة » وبما أفتى العلماء رضوان الله عليهم بردة من استنصر بالنصارى على المسلمين فهو نص جلى فى وجوب خلعه ، وسقوط بيعته ، فلم يبق لك الا منازعة الحق سبحانه فى حكمه ، « ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » :

وأما قولك : فى النصارى فانك رجعت الى أهل العدو واستعظمت أن تسميهم بالنصارى ، فيه المقت الذى لا يخفى . وقولك : رجعت اليهم حين عادت النصر من المسلمين ففيه محظوران يحضر عندهما غضب الرب جل جلاله أحدهما : كونك اعتقدت أن المسلمين كلهم على ضلال ، وان الحق لم يبق من يقوم به الا النصارى والعياذ بالله والثانى : انك استعنت بالكفار على المسلمين . وفى الحديث : أن رجلا من المشركين ممن عرف بالنجدة والشجاعة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم . فوجده بحرة الوبرة « موضع على نحو اربعة اميال من المدينة » فقال له : « يا محمد ، جئت لانصررك » فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ان كنت تؤمن بالله ورسوله » فقال : « لا أفعل » فقال له عليه الصلاة والسلام : « انسى لا

أستمع بمشرك ، وما سمعته من قول العلماء رضى الله عنهم فى الاستعانة بهم
انما هو على المشركين بان نجعلهم خدمة لا زبال الدواب لا مقاتلة ، فامسا
الاستعانة بهم على المسلمين فلا يخطر الا على بال من قلبه وراء لسانه ، وقد
قيل قديما : « لسان العاقل من وراء قلبه » وفى قولك : يجوز للانسان ان يستعين
على من غصبه حقه بكل ما أمكنه وجعلت قولك هذا قضية أنتجت لك دليلا على
جواز الاستعانة بالكفار على المسلمين ، وفى ذلك مصادمة للقرآن والحديث
وهو عين الكفر أيضا والعياذ بالله

وقولك : فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، ايه أنت مع الله
ورسوله أو مع حزبه فتأمل ما قلت ففى الحديث : « يتكلم أحدكم بالكلمة تهوى
به فى النار سبعين خريفا

ولما سمعت جنود الله وأنصاره وحماة دينه من العرب والعجم قولك
هذه حملتهم الغيرة الاسلامية والحمية اليمانية ، وتجدد لهم نور الايمان .
وأشرق عليهم شعاع الايقان ، فمن قائل يقول : « لا دين الا دين محمد صلى الله
عليه وسلم » ومن قائل يقول : « سترون ما أصنع عند اللقاء » ، ومن قائل يقول :
« وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » ، ومن قائل يقول : « انما قصد
التشفى بالمسلمين اذ لو كان يطلب الصلاح لما صدرت منه هذه الافعال
الفبيحة » الى غير ذلك فجزاهم الله عن الاسلام خيرا . ورضى عنهم وبارك
فيهم ، فله درهم من رجال وفرسان وأبطال وشجعان ، فلو لم يكن منهم الا ما
غير قلوبهم على الدين لكان كافيا فى صحة ايمانهم وعظيم ايقانهم فقد بلغ نور
غضبهم لله سبحانه ساق العرش والحب فى الله والبلغض فى الله من قواعد
الايمان .

وقولك أيضا : متبرئا من حول الله وقوته ، فان لم تفعلوا فالسيف . فهو
كلام هذيان يدل على حماقة قائله فقط . أنبا سيفك هذا . وأنت مع المسلمين
فى أربع وعشرين معركة لم تثبت لك فيها راية ، ثم زال نبوه الان بالكفار
فهذه أضحوكة فتأملها .

وأما ما نسبته لامام دار الهجرة فكفاك عجزا ان لم تعين لنا نصاجليا

نعمد عليه فيما تحتج به الا أنك كثرت به سواد القرطاس مغربا بذكره لامعربا بنصه .

وما نسبته للخفية من أكل الميتة عند الضرورة وتسويغ القصة بخمر ، فهو مما نص عليه المالكية في مختصراتهم التي ألفوها للصبيان ، فعدوك عن ذلك الى الخفية اما قصور ، واما الغاء لمذهب مالك رضى الله عنه ، وهو النجم الثاقب .

وأما قولك : أنتم أهل بنى وعناد فلا نسلم لك ذلك الا لو أقمت بين أظهرنا وقالت معنا حتى ترى أنسلمك أم لا . فأما اذ هربت عنا وتركتنا فالحجة عليك لا علينا ، على أنك في كتابك تفسق الكل بذلك وتكفره ، وقد قال العلماء رضى الله عنهم : « من يقول بتكفير العامة فهو أولى بالتكفير » وذلك معزول زعيم العلماء القاضى أبى الوليد ابن رشد ، والقاضى أبى الفضل عياض ، وكيف لا تنتظر لقضايا تلمسان وتونس وغيرهما من سائر البلدان ، وكيف وقع لامرائهم المستنصرين بالكفار على المسلمين ، هل حصلوا على شيء مما قصدوه ، أو بلغوا شيئا مما أملوه ؟ على أن أكثر العلماء حكموا بردتهم فقاتهم الدنيا والاخرة والعياذ بالله .

وقد افتخرت في كتابك بجموع الروم وقيامهم معك ، وعولت على بلوغ : الملك بحشودهم ، وأننى لك هذا مع قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينه » وبأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، وفي الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لن تغلب هذه الامة ولو اجتمع عليها من الكفار ما بين لابات الدنيا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيقا تل آخر هذه الامة الدجال » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سألت ربى ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سأله الا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها ، وسأله الا يغلبهم عدوهم الكافر فأعطانيها ، وسأله الا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » . والكل عليك واياك نعى .

وما ذكرته عن عمك : فاعلم أنه لما بلغه خبرك واستنصارك بالكفار عقد ألويته المنصورة بالله فى وسط جامع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله من

حملة القرآن مائة ختمة، وصحيح البخارى، وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير،
والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء له وللإسلام بالنصر والتمكين،
والفتح الشامخ المبين، فلو سمعت ذلك لعلمت وتحققت أن أبواب السماء
انفتحت لذلك، وقضى ما هنالك، وبلغه كتابك الذى كان هذا جوابا عنه وهو
بوسط تامسنا معه من جنود الله وأنصاره وحماة دينه ما يجعل الله فيه البركة،
ولولا أن الشرع العزيز أمر بتعظيم جنود الإسلام والمباهاة بها، والافتخار
بكثرتها لما قررنا لكم أمرها، إذ لا اعتماد له أيده الله عليها، وكذلك هم لا
اعتماد لهم الا على حول الله وقوته ونصره وتأنيده، والناس على دين الملك،
وقد قاتلك وأنت فى وسط المسلمين فى بضع عشرة معركة لم تنصر لك فيها
راية، فأى نحس وشؤم حلا بديار الروم، فإن جلبتهم فالله لك ولهم بالمرصاد،
ارجع الى الله أيها المسكين، وتب اليه فانه يقبل التوبة عن عباده فى كل وقت
وحين، ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله،
وهذه نصيحة ان قبلتها، وموعظة ان وفقت اليها، والله يهدى من يشاء الى
صراط مستقيم، وهو نعم للمولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل،
والسلام، انتهت الرسالة.

وكان خروج محمد بن عبد الله بجيش البرتقال وفصوله به من طنجة
فى ربيع الثانى سنة ست وثمانين وتسعمائة، قال فى «المرآة»: «انهم لما
خرجوا الى بلاد الاسلام ضربوا محلاتهم بالفحص، على أقل من مسيرة يوم من
مدينة القصر، وكانت آصيلا قد تصيرت اليهم قبل ذلك بأشهر، يعنى بعد
فراهم عنها أيام للسلطان محمد الشيخ كما تقدم، فعان أهل القصر الهلكة
لقرب العدو منهم وقوته التى لا طاقة لهم بها، وفشا النفاق لاجل السلطان
محمد بن عبد الله الذى معهم ولاجل بعد صريخ المسلمين، فان السلطان أبا
مروان المعتصم بالله كان اذ ذاك بمراكش، فاستبظأوا وصول الخبر اليه،
ثم مجيئه بعد ذلك، فلم يبق لهم تدبير الا الفرار، والتحصن بالجبال وغيرها،
فقال الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسى رحمه الله، وكان اذ ذاك بالقصر،
لرجل من أصحابه: «ناد فى الناس أن الزموا بلادكم ودوركم، فان عظيم النصارى

مسجون حيث هو ، حتى يجيء السلطان من مراكش ، وإن النصراني غنيمة للمسلمين ، ومن شاء فليعط خمسين اوقية فى النصراني ، يشير الى مبلغ قيمة النصراني فى الغنيمة ، فما انتقل النصراني من مكانهم ذلك اكثر من شهر حتى قدم السلطان أبو مروان وكان مريضا ، اه .

وقال فى «الزهوة» : « ان النصراني لما برزوا من طنجة شنوا الغارة على السواحل ، فأعلم أهلها السلطان أبا مروان ، وكان بمراكش ، وشكوا اليه كلب العدو عليهم ، فكتب السلطان أبو مروان من مراكش الى الطاغية : « ان سطوتك قد ظهرت فى خروجك من أرضك ، وجوازك العدو فان ثبت الى أن تقدم عليك فانت نصراني حقيقى شجاع . والا فانت كلب ابن كلب » فلما بلغه الكتاب غضب ، واستشار اصحابه هل تقيم حتى يلحق بنا من خلفنا من أصحابنا ، فقال له محمد بن عبد الله : « رأى أن تتقدم وتملك تطاوين والعرايش والقصر ونجمع ما فيها من العدة ونتقوى بما فيها من الذخائر ، فأعجب ذلك رأى أهل الديوان ولم يعجب الطاغية . وكتب السلطان ابو مروان لاخته أبى العباس أحمد ، وكان نائبه على فاس وأعمالها ، أن يخرج بجيوش فاس واحوازا ويتهيا للقتال ، ثم كتب لاليه ايضا فى شأن مئونة الجيش كتابا يقول فيه : « من عبد الله المعتصم بالله المجاهد فى سبيل الله أمير المؤمنين أبى مروان عبد الملك بن امير المؤمنين أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله أمره وأعز نصره الى أخينا الاعز الانجب بابا أحمد بن مولانا الوالد حرس الله كريم اخائه سلام كريم ورحمة الله وبركاته أما بعد فانا كتبناه اليكم من محلتنا السعيدة بتامسنا ولا زائد بحمد الله الا الخير والعافية والنعم الزافية ، هذا وانه ساعة وصوله اليكم تخرجون من الخدام لعمالة مكناسة وقبيلة زمور وأولاد جللول من يفرض عليهم علف محلتنا المنصورة ومؤنتها ويأمرهم برفعه وإبلاغه الى مدينة سلا ، وقد ذلك صحيفة شعير ، وعشرون مدا من القمح لكل نائبة وصاع من سمن وكبش لكل أربع نولب ، ووكد عليهم رعاك الله أن يعتنوا بذلك ، وبايصاله الى المكان المذكور من غير عطلة وهذا ما وجب به الاعلام اليكم والله يراكم بمنه

والسلام « اه .

ثم كتب السلطان أبو مروان للطاغية ثانية ، وذلك بعد ما وصل الى القصر : انى رحلت اليك ست عشرة مرحلة أما ترحل الى واحدة ، فرحل الطاغية من موضع يقال له : تاهدات ، ونزل على وادى المخازن بمقربة من قصر كنامة ، وكان ذلك من السلطان أبى مروان مكيدة ، ثم ان الطاغية تقدم بجيوشه ، وعبر جسر الوادى ونزل من هذه العدو فامر السلطان بالقنطرة أن تهدم ، ووجه اليها كتيبة من الخيل فهدموها ، وكان الوادى لا مشرع له سوى القنطرة ، ثم زحف السلطان أبو مروان الى العدو بجيوش المسلمين ، وخيل الله السمومة ، وانضاف اليه من المتطوعة كل من رغب فى الاجر وطمع فى الشهادة ، وأقبل الناس سراعا من الآفاق ، وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل ، فكان ممن حضره من الاعيان الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسى وغيره .
إقال فى «المرآة» : « كان الشيخ أبو المحاسن فى ذلك اليوم فى أحد الجناحين ، وأظنه الميسرة ، من عسكر المسلمين فى مقابلة النصارى دمرهم الله ، قال : فوق فى ذلك الجناح انكسار تزحزح به المسلمون عن مصافهم ، وحملت عليهم النصارى دمرهم الله فثبت الشيخ وثبت من كان معه الى أن منح الله المسلمين النصر ، وركبوا أكثاف العدو يقتلون ويأسرون ، والشيخ لم يتزلزل ، ولم يلتفت منذ توجه الى قتالهم حتى فتح الله عليهم ، اه .

ولما التقت الفئتان وزحف الناس بعضهم الى بعض وحمى الوطيس واسود الجو بنقع الجياد ودخان المدافع وقامت الحرب على ساق توفى السلطان أبو مروان رحمه الله عند الصدمة الاولى ، وكان مريضا يقاديه فى محفة فكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته أحد الا حاجبه مولاه رضوان العليج ، فانه كتم موته ، وصار يختلف الى الاجناد ويقول : «السلطان يأمر فلانا أن يذهب الى موضع كذا ، وفلانا أن يلزم الراية ، وفلانا يتقدم ، وفلانا يتأخر » .

وقال شارح «الزهرة» : لما توفى السلطان أبو مروان لم يظهر الذى كان سائس المحفة موته ، فصار يقدم دواب المحفة نحو العدو ، ويقول للجند :

« السلطان يأمركم بالتقدم اليهم » . وعلم أيضا بموته أخوه ، وخليفته أبو العباس أحمد بن الشيخ فكتمها ، ولم يزل الحال على ذلك ، والناس فى المناضلة والمقاتلة ومعانقة القواضب ، والاصطلاء بنار الطعان ، واحتساء كؤس الحمام الى أن هبت على المسلمين ريح النصر ، وساعدهم القدر ، وأثمرت أغصان رماحهم زهر الظفر ، فولى المشركون الادبار . ودارت عليهم دائرة البوار ، وحكمت السيوف فى رقاب الكفار ففروا ولات حين فراو ، وقتل الطاغية سبستان عظيم البرقال غريقا فى الوادى ، وقصد النصارى القنطرة فلم يجدوا الا آثارها فخشعت نفوسهم ، وتهافتوا فى النهر تهافت الفراش على النار ، فكان ذلك من أكبر الاسباب فى استئصالهم ، وأعظم الجبائل فى اقتناصهم ولم ينبج منهم الا عدد نزر . وشرذمة قليلة .

« وقال فى «المنتقى المقصور» : « كانت هذه الغزوة من الغزوات العظيمة المواقم الشهيرة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى انها أشبه شىء بغزوة بدر . حدثنا شيخنا أبو راشد يعقوب اليدري عمن يثق به أن الرجل من حاضرى ذلك المعترك كان يستبق الى النصرانى لينتهز فيه الفرصة فما يصله حتى يجده ميتا » اهـ .

وبحث فى القتل عن محمد بن عبد الله المستصرخ بهم والقائد لهم الى مصارعهم فوجد غريقا فى وادى المخازن ، وذلك انه لما رأى الهزيمة فر ناجيا بنفسه واضطر الى عبور النهر فتورط فى غدير منه وغرق فمات ، فاستخرجه الغواصون وسلخ وحشى جلده تبنا وطيف به فى مراكش وغيرها من البلاد .

وممن وجد صريعا فى القتل يومئذ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عسكر السريفي الشفشاونى صاحب « الدوحة » ، فانه كان هرب مع المسلوخ ، وكان من بطاته ، فدخل معه بلاد العدو ، فوجد بين جيف النصارى قتلا ، وتكلم الناس فى أمره ، حتى قيل : انه وجد على شماله مستدير القبلة ، وفيه يقول الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد ابن الامام الشهير أبى محمد عبد الله الهبطى رحمه الله فى منظومته التى نظم فيها أصحاب أبيه معذرا عن ابن عسكر

(الاستقصا - خامس - 8)

المذكور ومشيرا الى توهين ما قيل فيه :

ومنهم الشيخ الذى لا ينكر محمد أخو الدهاء عسكر
وان يكن أتى بذنب ظاهر فعرضه من الشكوك طاهر
رأيت في النوم ذا بشاره وهيئة حسنة وشارة
وكان التقاء الجمعين يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى سنة ست وثمانين
وتسعمائة ، ويوافقه من التاريخ المسيحى اليوم الرابع من أغسطس سنة ثمان
وسبعين وخمس عشرة مائة .

قال في «المنتقى» وكان مقدار زمان المقاتلة خمسا وأربعين درجة وقيل اثنتين
وخمسين على ما حدثنى به بعض المقاتلين .

وقال في «المرآة» : وحصل المسلمون على غنيمة لم يكن قط مثلها بالمغرب اذ
لم يتقدم للنصارى خروج به على هذه الصورة الا أن الغنيمة لم تقسم ، وانما انتهبها
الناس كما اتفق لهم بحسب القوة والبخت الدنيوى . وكان الناس يتوقعون مغبتها
لاختلاط الاموال بالحرام فظهر ذلك من غلاء وغيره . وكنا نسمع أن البركة
رفعت من الاموال من يومئذ .

وقد حضر الشيخ ابوالمحاسن هذه الغزوة وابلى فيها بلاء حسنا وتورع عن
الغنيمة فلم يلبس منها بشيء وبلغت قيمة النصرانى ما ذكره الشيخ ، وكان سبب
عدم ضبط الغنيمة وقسمها على الوجه المشروع موت السلطان أبى مروان قبل
هزيمة النصارى ، وكان مريضا ، فاشتغل أخوه أبو العباس أحمد بجمع الكلمة
ولم يهتبل بأمر الغنيمة فتم له ما قصد .

وقد ساق منويل فى تاريخه خبر هذه الوقعة مساقا حسنا فقال : لما استولى
عبد الملك السعدى المدعو عند أهل المغرب بمولاي ملوك على ملك المغرب ، وطرد
ابن أخيه مولاي محمد المعروف بالاكحل يعنى : المسلوخ ، ذهب أولا الى اصبانيا ،
وتطارح على طاغية الاصنيول فيليب الثانى فى أن يعينه على استرجاع ملكه فامتنع
ثم دخل اشبونة وتطارح على طاغية البرتقال سبستيان فاجابه ، وذهب الى خاله طاغية
الاصنيول فيليب المذكور آنفا وطلب منه الاعانة على ما هو بصدده ، فوعده بان يعطيه من
المراكب والعساكر ما يملك به العرائش ، لانه كان يرى انها تعدل سائر مراسى

المغرب ، ثم أمدّه بعشرين ألفاً من عسكر الاصبيول ، وكان سبستيان قد ساق معه اثني عشر ألفاً من البرتغال وثلاثة آلاف من الطليان ، ومثلها من الالمان ، ومن متطوعة الاصبيول وغيرهم عدداً كثيراً ، وبعث إليه البابا صاحب رومة بأربعة آلاف أخرى ، وبالف وخمسمائة من الحيل واثني عشر مدفعاً وجمع سبستيان نحو ألف مراكب وجاء إلى قادس .

ولما عزم على اقتحام بلاد المغرب تشفعت إليه جدته وأرباب دولته وشيوخ دينه في الرجوع فصم عنهم وكذلك خاله فيليب حذره عاقبة التوغل فسى أرض المغرب فصم على ذلك كله ، وجاء إلى قادس ومنها خرج إلى طنجة .

وكان محمد بن عبد الله المسلموخ ينتظره هناك فاجتمع به وزحفوا إلى بلاد المغرب ، وزحف إليهم السلطان عبد الملك في عساكر المسلمين وكانوا أربعين ألفاً وزيادة ، ومدافعهم أربعة وثلاثين مدفعاً ، وقواد الجيش : أبو على القورى ، والحسين العليج الجنوى ، ومحمد أبو طيبة ، وعلى بن موسى ، وأخوه أحمد بن موسى ، الذي كان عاملاً على العرائش ، فجاء في جمعه إلى السلطان عبد الملك وانضم إليه ، ولما تقارب الجيشان جمع السلطان عبد الملك الناس وخطبهم ، ثم استدعى النصارى إلى القتال ، ونصب لهم علامته ، فاحجموا وكان قصدهم المطاولة ، وقصد السلطان عبد الملك المناجزة ، وذلك لأن محمد المسلموخ قد دس إليه من سمه .

قال منويل : ولما أحس عبد الملك بذلك ، وأنه لا محالة هالك ، بذل نفسه للقتال ليموت في الجهاد ، وكان المسلموخ يترصد كي يهلك عمه قبل اللقاء فتقع الفتنة في عسكر المسلمين ، لكن جيش النصارى لم تكن لهم مؤنة يطاولون بها فالتجأهم ذلك إلى المناجزة ، ولما انتشبت الحرب هلك عبد الملك للحين .

قال منويل : وكان امر هذا الرجل عجيباً في الحزم والشجاعة حتى أنه لما مات مات وهو واضع سبافته على فمه ، كأنه يشير إلى جيشه أن يسكتوا عن الخوض في وفاته حتى يتم أمرهم ، ولا يضطربوا ، وكذلك كان ، فانهم كتموا موته فانتصروا وظفروا بالنصارى ظفراً لا كفاء له ، فكانوا يذبحونهم مثل الكباش

ودعش النصارى وتكبكت جموعهم ، وتراكت أمتعتهم وصناديقهم وخيلهم
وسلاحهم بلا ترتيب ، وزادهم دهشا أن بعض طوايرهم كان ينادى صاحب
صفارته وراءكم وراءكم قطعكم العدو، ووقدت النار فى بارود النصارى فنفظ،
وانهزموا الى وادى المخازن فتهافت جلهم فيه فهلكوا والباقي أسره المسلمون .
وزعم أن سبستان هلك تحته فى ذلك اليوم أربعة أفراس ، وكان شابا
حدثه ، وقال لاصحابه: « ان ترونى ترونى أمامكم وان لم ترونى فانافى وسط العدو
أقاتل عنكم، قال : وأبدأ وأعاد فى ذلك اليوم الى أن خر قتيلًا ، وبقي مذكورا
عند البرتقال يسمرون بأخباره ، وذكره شعراء الاوربا فى أشعارهم ، ولا
زالوا يذكرونه الى الآن .

وخلفه فى ملكه الطاغية الريكى البرتقالى فهو الذى ولى بعده وافندى
جنازته من المسلمين ونقلها الى سبتة فبقيت هنالك الى أن هلك الطاغية الريكى،
وتولى على البرتقال طاغية الاصبنيول فيليب الثانى ، فصار ملك الدولتين معا ،
وهو خال سبستان أخو أمه فنقل جنازته من سبتة الى أشبونة ، ثم أرخ
منويل الوقعة بالتاريخ العربى والعجمى موافقا لما مر فهذا ما ذكره فى هذه
الوقعة .

قال فى «النزهة» : توفى السلطان أبو مروان عبد الملك بن الشيخ فى
زوال اليوم المذكور ، وباع الناس أخاه أبا العباس أحمد المنصور بالله كما
سيأتى إن شاء الله .

قال فى «درة الحجال» : « فانظر لحكمة الله الواحد القهار أهلك ثلاثة
ملوك يوم واحد ، وهم : أبو مروان بن الشيخ ، وولد أخيه محمد بن عبد الله
المسلوخ ، والطاغية سبستان ، وأقام واحدا وهو أبو العباس المنصور ، اه .
قلت : وفى اهلاك الثلاثة وإقامة الولحد اشارة واضحة لاهلاك ديسن
التثليث ونصر دين التوحيد فى ذلك اليوم والله تعالى اعلم .

ولما بلغت الهزيمة الى الطاغية الاعظم ، أعنى القائم بالامر بعد سبستان
لان التحقيق انه كان الاعظم يومئذ لما مر ، بعث الى المنصور بعد استقلاله
بالمملك وعوده الى فاس كما سيأتى يلتبس منه الفداء فيمن بقى بيده مسن

الاسارى ، فأجابه الى ذلك وحصل له بسببه أموال طائلة . وذكر بعضهم أن الاسارى لما ذهبوا الى بلادهم قال الطاغية : « لم لم تأخذوا تطاوين والعرائش والقصر قبل ان يصل ملكهم ؟ » فقالوا له : « امتنع من ذلك الامير الذى كان علينا » . فامر بهم فاحرقوا جميعا .

مضحكة : قال فى « النزهة » : « ذكر بعضهم أن النصارى لما وقعت عليهم الكائنة المذكورة وفنى من فنى منهم ورأى أساقفتهم قلة عددهم وخلاء بلادهم لكثرة من مات منهم أباحوا للعامة فاحشة الزنا ليكثر التناسل ويخلف ما هلك منهم ورأوا ذلك من نصرة دينهم وتقويم أود ملتهم أخزاهم الله » اهـ .

وقد وقفت على تاريخ لبعض مؤرخى الفرنج النجلزيين من أهل جزيرة مالطة فرأيت قد ألم بخبر هذه الواقعة وصرح بانها كانت سبب هلاك البرتقال وتلاشى دولتهم وبطلان كرسى سلطنتهم حتى استغافهم اليه طاغية الاصبينول بعد نحو سنتين وصيرهم من جملة رعيته ، ومن فصول كلامه بعد أن ذكر أن أكر البرتقال قتلوا فى ذلك اليوم ما نصه : « وكانت معنى الواقعة المذكورة وقعة هائلة ويوما مشؤما . وبالجمله فقد قتل فى ذلك اليوم سائر أشسراف البرتكيسيين ولم يتخلف منهم أحد فلما بطل كرسى سلطنتهم قام وقتئذ فيليس الثانى ملك اصبايا وتزوج ملكتهم وحكم على البلاد كلها » اهـ كلامه . الا أنه ذكر أن السبب فى استغاثة السلطان محمد بن عبد الله بالبرتقال هو تغلب الاصبينولين على مملكته وانتزاعها من يده وهو كذب أو غلط ، ولعله تصحف عليه لفظ الاصبينولين بالاصبنيولين ، اذ قد تقدم أن السلطان أبا مروان انما استولى على المغرب بجيش الترك المنفذ من قبل للسلطان سليمان العثمانى والله أعلم .

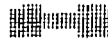
وقد ألم بهذه الواقعة أيضا لويز مارية فى كتابه الموضوع فى أخبار الجديدة لكنه لم يسطها على عادته فى السكوت عن ما يكون من الظهور فى جانب المسلمين واشاعة ما يكون من ذلك فى جانب النصارى بل والزيادة فيه ومع ذلك فقد قال فى وصفها كلاما هذه ترجمته : « وقد كان مخبوا لنا فى مستقبل الاعصار العصر الذى لو وصفته كما وصفه غيرى من المؤرخين لقلت

هو العصر النحس البالغ فى النحوسة الذى انتهت فيه مدة الصولة والظفر والنجاح ، وانقضت فيه أيام العناية من البرتقال وانطفأ مصباحهم بين الاجناس وزال رونقهم وذهبت النخوة والقوة منهم وخلفها الفشل وانقطع الرجاء واضمحل ابان الغنى والريخ وذلك هو العصر الذى هلك فيه سبستان فى القصر الكبير من بلاد المغرب ، اه. فهذا كلام هذا البرتقالى قد تحفظت عليه وأدبت ترجمته كما هى ليعتبر به من يقف عليه «والحق ما شهدت به الاعداء» ولما تمت للسلطان أبى العباس المنصور البيعة بوادى المخازن طالبه به الجيش بأرزاقهم واستنجزوا اعطياتهم حسبما جرت به عادة من قبله معهم فطالبهم هو بخمس الغنيمة لانهم جعلوها نهبى ولم يتقسموها على الوجوه الشرعى كما سبق فصعب استخراجها منهم لعدم التعيين وجرأة الناس على الغلول فسامحهم فيها وسامحوه فى عطائهم .

ثم أمر المنصور بتوجيه كتب البشارات الى الافاق بهذا الفتح الميسر فكتب الى صاحب القسطنطينية العظمى والى سائر ممالك الاسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك عبدة الصليب واستئصال شوكتهم ورد كيدهم فى نحرهم فوردت عليه الارسال من سائر الاقطار مهنئين له بما فتح الله على يده حسبما نذكره بعد ان شاء الله .

■

بقية اخبار السلطان أبى مروان وسيرته



قال ابن القاضى : « كان سبب وفاة السلطان أبى مروان رحمه الله أنه سقى سما ، وذلك أن قائد الترك الذين كانوا معه ، واسمه رمضان العليج ، بعث الى بعض قواده أن يتلقاه بكعك مسموم هدية للسلطان المذكور وقت مرورهم عليه ، وقصد بذلك قتله ، وذلك بعد أخذه به مدينة فاس ليثبت لهم الملك بها فلم يكمل الله مرادهم لما شهدوه من عظيم جيش المغرب فهذا كان سبب موته رحمه الله » اه . ولما توفى حمل الى مراکش فقبّر بها ، وكانت مدة خلافته

أربع سنين ، ومن حجابيه : القائد رضوان العليج . وكتابه : محمد بن عيسى ،
ومحمد بن عمر الشاوي ، وقضاته : قضاة ولداخيه .

وكان يتزيا بزى الترك ويجرى مجراهم في كثير من شؤونهم . وكان يتهم
بالميل الى الاحداث وربما كان يظهر ذلك ، وكان أخوه أبو العباس المنصور
خليفته على فاس كما مر ، وكانت له فيه محبة تامة ، وكان يظهر أنه ولي
عهده ويرشحه لذلك كثيرا حسبما أفصحت عنه رسائله التي كان يعيشت
بها اليه .

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث :

ففي سنة ثمان وعشرين وتسعمائة كان الوباء بالمغرب كما قدمنا .
وفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة نزل مطر غزير بمراكش حتى امتلات
منه الآبار وتهدمت الدور وصار الناس يؤرخون بعام الآبار .
وفى سنة احدى وستين وتسعمائة توفي الشيخ أبو محمد عبد الله بن
ساسى من أولاد أبي السباع ودفن بزوايته على ضفة وادي تانسيفت من أعمال
مراكش ، وقبره مزاردة مشهورة وعليه بناء حفييل .

وفى سنة ثلاث وستين وتسعمائة توفي الشيخ الامام أبو محمد عبد الله
ابن محمد الصنهاجي الطنجي المعروف بالهبطي ، وكانت وفاته في ذى القعدة
من السنة المذكورة ، وكان رحمه الله من أهل الورع والدين والاتباع للسنة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن فوائده ما حكاه عنه في « الدوحة » ،
قال : « سألت شيخنا الامام أبا محمد عبد الله الهبطي عن الشيخ أبي محمد
الغزواني ، وكان من أصحابه ، فقلت له : ياسيدي ما لسائر المشايخ من أصحاب
الشيخ الغزواني كآبي الحجاج التليدي وأبي البقاء الياصوتي وأبي الحسن
علي بن عثمان وغيرهم يصرحون بقبطانية الشيخ وينسبونك أنت الى التقصير في
حقه حيث لم تقل بما يقولونه ؟ » ، فقال لي رضى الله عنه : « قد علمت معنى
الشهادة في الشرع ما هي » ، فقلت : « نعم » ، فقال لي : « كيف لي أن أشهد
لاحد بمقام معين وأنا لم أسلكه ولم أتحققه ولم يكشف لي عنه فان فملت فقد
شهدت شهادة الزور فقلت له : « وأي شهادة تشهد في الشيخ ؟ » ، فقال لي : « أشهد

أنه من العارفين بالله تعالى ولأنه كان يجيب بالحال أكثر مما يجيب بالمقال، انتهى قلت : وهذا شأن أهل الدين والورع المحتاطين لدينهم لا يقدمون على أمر ولا يتفوهون به حتى يكونوا منه على بصيرة ، وتجد كثيرا ممن عقله وراء لسانه يقولون على الله في غيبه ويخبطون خبط العشواء وينسبون المقامات والاحوال لمن ليس منها في قبيل ولا دبير نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه .
وفي سنة أربع وستين وتسعمائة في يوم الاربعاء الثامن والعشرين من رمضان كسفت الشمس الكسوف الكلي العظيم .

وفي سنة خمس وستين وتسعمائة كان بالمغرب وباء عظيم كسا سهله وجباله ، وأفضى كماته وأبطاله واتصل أمره الى سنة ست وستين بعدها .
وفي سنة احدى وسبعين وتسعمائة توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي ثم السملالي الشهير ببلاد السوس أخذ عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز التابع ، والشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي ثم الملياني .
وفي سنة ست وسبعين وتسعمائة ليلة عيد الاضحى منها توفي الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عياد الصنهاجي ثم الفرجي الدكالي المعروف بالمجنوب المولى المشهور دفين مكناسة الزيتون، كان مأوى سلفه بمدينة تيط قرب آزمور ثم رحل هو ووالده الى مكناسة فمات بها .

وفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة بعد صلاة الجمعة من أول يوم من المحرم منها زلزلت الارض زلزالا شديدا وفزع الناس لذلك، وفي هذه السنة في الحادي والعشرين من ربيع الاول منها توفي الشيخ ابو محمد عبد الله ابن حسين من شرفاء بني آمغار دفين تامصلوحت وقد تقدم ما جرى بينه وبين السلطان الغالب بالله .

وفي سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وذلك اواخر شوال منها الموافق لاواسط مارس العجمي حدث بالمغرب جراد كثير ؟ وفي أيام السلطان الغالب بالله ظهر نجم لم يكن معهودا، ثم ظهرت في أيام ابنه محمد بن عبد الله أعلام حمراء في الجوارب من الناحية الشرقية تبعثها في الارض أجناد الترك التي جاء بها السلطان أبو مروان من الجزائر كما مر . وفي أيام السلطان أبي مروان

المذكور ظهر الكوكب ذو الذنب الكبير فى برج العقرب وطلع أياها ثم غاب
وظهر بعده كوكب آخر ذو ذنب أصغر منه وعلى اثره كان خروج البرتغال
من طنجة ووقعة وادى المخازن كما مر ؛ والله تعالى أعلم بغيه

الخبر عن دولة السلطان أبى العباس أحمد المنصور بالله السعدى المعروف بالذهبي وأوليته ونشاته

كانت ولادة السلطان أبى العباس أحمد المنصور بالله ابن السلطان
أبى عبد الله الشيخ بفاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وأمه : الحرة
مسموعة بنت الشيخ الاجل أبى العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتى
الوارزاتى ، وكانت من الصالحات الخيرات وستأتى بقية أخبارها .
وذكر فى «المنتقى» قال : مرض المنصور فى صغره مرضا شديدا حتى
أيس منه ، فرأت أمه فى النوم شخصا يقول لها : أزيهه الشيخ أبا ميمونة
فإنما أصابته عين فازارته اياه فعوفى ، وكان ابوه المهدي ينبه على انه واسطة
عقد اولاده .

قال فى «مناهل الصفاء» : حدثنى الشيخ المسن القائد ابو محمد مؤمن
ابن الغازى العمرى ان المنصور اقبل يوما فى حياة أبيه ، وهو صبي والمجلس
غاص بالاكابر فاندفع يخرق الصفوف ، قال : فصاح بى المهدي اذ ذاك ، وأنا
أصفر القوم ، فقال « يامؤمن ، ارفعه فسينفعك أو ينفع عقبك » فابتدرت حمله ،
وكان كذلك ، فان المنصور لما أفضت اليه الخلافة كان القائد مؤمن بن الغازى
عنده بالحظوة الرفيعة والمنزلة العالية .

ونشأ للمنصور رحمه الله فى عفاف وصيانة وتعاط للعلم ومثاقفة لاهله
عليه ، وكانت مخايل الخلافة لائحة عليه من لدن عقدت عليه التمايم الى أن تم
أمره . حدثنا الفقيه العالم سفير الخلفاء أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد
ابن على الجزولى الدرعى أنه اجتمع بعض أهل المكاشفة بمصر فسأله عن

السلطان أبى عبد الله الشيخ وأولاده ، قال : فسميتهم له واقتصرت على الكبار منهم فلم أذكر المنصور لأنه كان أصغرهم سنا يومئذ . فقال لى : « بقى منهم من لم تذكره ، فقلت له « أحمد » فقال : « ذاك واسطة عقدهم ووجه صفقتهم ، فكان كذلك .

وقال الشيخ أبو فارس عبد العزيز الفشتالى : « لما أخذ المهدي البيعة لولده السلطان الغالب بالله كما تقدم استقدمه من فاس وأوصاه بالمنصور جداء ، وقال له : « ان الفائدة فيه » أو كما قال . وهكذا كان ينبه على أنه واسطة عقد أولاده : وكان المنصور رحمه الله يحدث أنه رأى النبی صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وأنواره تشرق ، قال : فوقع فى نفسى أن أسأله عن نصيبى من الخلافة فكاشفنى عليه الصلاة والسلام بما فى خاطرى ، وأجابنى بما حقق لى نيلها ، ثم أشار لى بأصابعه الثلاثة الشريفة ضاماً الإبهام منها الى السبابة والوسطى وقال أمير المؤمنين ، اه .

وقال الامام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التامراتى فى كتابه «الفوائد الجمة باسناد علوم الامة » : « أخبرنى الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الدغوغى صاحب «الحسبة» بتارودانت أنه رأى فى منامه كأنه فى حلقة يسرد فيها صحيح البخارى بموضع من دار الخلافة بها ، وأبو العباس المنصور يومئذ بها ، وذلك قبل ولايته ، قال : فرأيت فى طرة الكتاب هذا اللفظ : «ورى الزند » فكنت أتأمل معناه فالتفت فإذا برجل انعزل ناحية على طنفسة فوقع فى نفسى أن أسأله فأتيته بالكتاب وقلت له : ياسيدى ، ما معنى هذه الكلمة التى فى طرة هذا الكتاب ؟ » فقال لى : « قل لمولاي أحمد : أنا الذى أوريك زندك ما دمت على الحق فان عدلت عنه فانا برى منك . » فقلت له : «ومن أنت ياسيدى؟» فقال لى : « رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يمض الا قليل حتى ولى الخلافة وحمدت سيرته ، قال أبو زيد : « وناهيك بزند أوراه النبی صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن ولاية الاسلام لا تتعقد الا بأمر النبی صلى الله عليه وسلم وقد اشتهرت المرائى بذلك . »

، يقرب من هذا ما ذكره صاحب « ابتهاج القلوب فى مناقب الشيخ

المجذوب » : « أن الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد الملقب بكدار ابن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علال المالكي البوخصيبي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يوما فشكا اليه أولاد مطاع لما رأهم عليه من الفساد في الارض ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يأتهم أحمد » ، فكان كذلك أتاهم عقب ذلك السلطان أبو العباس المنصور فأخذهم وقل جمعهم » اه . وأخبار المنصور من هذا النمط كثيرة .

وكان رحمه الله طويل القامة معتلى الحدين ، واسع المنكين ، تعلوه صفرة رقيقة ، أسود الشعر ، أدعج أكحل ، ضيق البلج ، براق الثنايا ، حسن الشكل ، جميل الوجه ، ظريف المنزع ، لطيف الشمايل .

وكانت بيعته بعد الفراغ من قتال النصارى بوادي المخازن يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى سنة ست وثمانين وتسعمائة ، واجتمع عليها من حضر هناك من أهل الحل والعقد ، ثم لما قفل المنصور من غزوته تلك ودخل حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة جددت له البيعة بها ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن ، ثم بعث الى مراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه فأذعن الكل للطاعة ، وسارعوا الى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة .

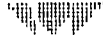
قال الفشتالي : لما كانت وقعة وادي المخازن ونصر الله دينه وكبت الكفر وأهله واستوسق الامر للمنصور كتب الى صاحب القسطنطينية العظمى وهو يومئذ السلطان مراد بن سليم العثماني والى سائر ممالك الاسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك عبدة الصليب والاستئصال شأفتهم ، فوردت عليه الارسال من سائر الاقطار مهنيين له بما فتح الله على يده : وكان أول من وفد عليه رسول صاحب الجزائر ، ثم تلتها أرسال طاغية البرتغال ، وهو الريكي القائم بأمرهم بعد هلاك سبستيان ، وليس خاله وانما خاله طاغية الاصبينول فيليب الثاني الذي جمع المملكتين معا بعد هلاك الريكي المذكور وبعد وقعة وادي المخازن بثلاث سنين فقدّموا بهدية عظيمة وضعوها يوم دخولهم الى فاس على الكرايريس والمجل ، فعجب الناس منها عجا

بليغا، وكان ذلك اليوم يوما مشهودا وكان من جملة ما فيها ثلاثمائة ألف دكات من ريال الفضة ، وأما الطرف النفيسة والاثاث الرفيع فشئ لا يحصى ، ثم وردت ارسال طاغية الاصبنيول صاحب قشتالة بهدية عظيمة منها اليواقيت الكبار التسي انتزعها الطاغية من تاج آباءه ، وصنديق مملوء من الدر الفاخر ، وقضب الزمرذ وغير ذلك ، وتكلم الناس فيما بين الهديتين أعنى هدية البرتقالى وهديـة الاصبنيولى أيهما أعظم ، ولم يهتد أهل العقل والمعرفة الى مقدار التفاوت بينهما ثم قدمت ارسال السلطان مراد العثماني ومعهم هدية وهى : سيف محلى لم ير مثله مضاء وصفاء متن ، ثم قدمت ارسال طاغية أفرانسة ومعهم هدية عظيمة ولم تزل الوفود مترادفة باباب المنصور ، والارسال تصبح وتمسى على أعتاب تلك القصور ، الى أن لم يبق أحد ممن تشوف النفوس اليه وحينئذ اطمأنت بالمنصور الدار وطاب المقام وتم القرار .

وفى جمدى الاولى سنة سبع وثمانين وتسعمائة مرض المنصور مرضا مخوفا وطال به حتى كادت الامور تختل ثم تداركه الله على يد الحكيم الماهر أبى عبد الله محمد الطيب ، ولما أبلى من مرضه أحسن الى الطبيب المذكور ونثر عليه يوم خروجه من الخلع ما لا يحصى ، وكان يوم خروجه يوما مشهودا، وفى ذلك يقول الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى المعروف بالنابغة:

تردى أذى من سقمك البر والبحر	وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر
وبات الهدى خوفا عليك مسهدا	وأصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر
فلما أعاد الله صحتك التى	أفاق بها من غمه البدو والحضر
تراعت لنا الدنيا بزينة حسنـها	وعاد الى أبانه ذلك البشر
وصار بك الاسلام فى كل بلدة	يهنى ويدعى أن يطول لك العمر
وصحت لنا الآمال بعد اعتلالها	وعادت الى الايناع أغصانها الخضـر
ولا غرو ان صامت على سمط الندى	اذا اغبر وجه الارض واحتبس القطر
ليت أبى العباس أنضت عجافها	قدىما فخافت أن يعاودها الضر
لئن صدئت بيض للمعالى لقد غدت	تسوء الكماء البيض واللدن السمر
بقيت لهذا الدين تحمى ذمـاره	ويحميك رب العرش ما بقى الدهر

عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ المدعو المأمون



قال الفشتالى : لما أبل المنصور من مرضه المذكور وعاد الى حاله من الصحة أجمع رأى أعيان الدولة واتفقت كلمة كبارها على أن يطلبوا منه تعيين من يلى الامر بعده ويكون ولى عهده ، وكان المنصور مهيبا لا يقدر أحد على مواجهته بمثل هذا فاتفقوا على أن يكون البادى لذلك القائد المؤمن بسن الغازى العمري لما له من الادلال على المنصور بطول الخدمة وسالف التربية فقال له القائد المذكور : « يامولانا ، الله تعالى حفظ الاسلام بابالك من هذا المرض وعصم الدين بإبقائه عليك وقد بقى الناس فى أيام سقمك فى حيرة عظيمة ودخلهم من الدهش ما لا يخفى عليك فلو عينت لنا من أبنائك القساورة من تجتمع كلمة الاسلام عليه ، ويشار بالخلافة اليه ، لكان أولى وأليق بسياسة الملك ، وإن ابنك الابن أبى عبد الله محمد المأمون حقيق بذلك ، وجدير بسلوك تلك المسالك ، لما فيه من خلال الخير وخصال السيادة ، زيادة على ما هو عليه من التيقظ فى أموره والحزم فى شؤونه ، وقد ظهرت للناس محاسن سيرته ، وأطلعوا على جميل سريره ، فاستحسن المنصور ذلك وأعجبه ما أشار عليه به ، فقال له : « سوف أستخير الله فى ذلك فإن يكن من عند الله بمضه ، قلت : هذا الذى حكاه الفشتالى على لسان القائد مؤمن فى حق المأمون المذكور اهو بخلاف الواقع كما ستقف عليه من أحوال المأمون بعد هذا ان شاء الله ، ولكن المؤرخين والشعراء يمدحون ويقدحون بحسب أغراضهم لا بحسب الواقع غالبا ، لا سيما اذا كان من يعنونه بذلك مخدوما لهم ومنعما عليهم ، فلا ينبغي لمن وقف على كلام هؤلاء الصنف منهم أن يعتمد عليه الا بعد التثبت والتبصر والله تعالى الهادى الى الصواب بعنه . ثم لبث المنصور بعد هذه الاشارة أياما يستخير ربه فى ذلك ويستشير من يعلم أهليته للمشورة من أهل العلم والصلاح ، فلما انقضت أيام الاستشارة وتواطأت الآراء على حسن تلك الاشارة ، جمع المنصور أعيان حاضرة مراكش وأعيان مدينة فاس وغيرهم من أسيان القبائل ووجوه الناس من أهل الحولضر والبوادي ، وأوصى

بالعهد لولده المذكور أبى عبد الله محمد المأمون ، وذلك يوم الاثنين منسلخ
سبعان سنة سبع وثمانين وتسعمائة .

وكان المأمون إذ ذاك خليفة ابيه على فاس فلم يحضر هذه البيعة فبعث
اليه المنصور بعد ذلك ليقدم من فاس ويباع بحضرته ، ولم يقنعه ما كان عقد له
من البيعة وهو غائب ، ولما بعث اليه خرج للمنصور بعسكره الى تلمسان خارج
مراكش ثمانى عشر صفر سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، ولم يزل بعسكره هناك
متلوما ومنتظرا لقدم المأمون الى أن قدم غرة جمادى الثانية من السنة المذكورة،
فكانت ملاقاتهما من عجائب الزمان ، ولما اصطف جيش المنصور وجيش المأمون
ترجل المأمون عن فرسه وتقدم حافى القدم فعقر وجهه بين يديه والده ثم قبل
رجله ، والمنصور على فرسه واقفا بين الصفين ، فدعا له بخير وأظهر الفرح
بمقدمه ، وكان المأمون قد عبا جيشه تعبى لم ير مثلها ورتبهم ترتيبا حسنا فى
لباسهم وسائر أمورهم، فسر المنصور بذلك، وبعد أيام من بلوغه أمر به فاجلس
فى سراقه الاعظم الذى لم يكن للملوك قبله مثله كما سيأتى ، وأمر أهل
الحل والعقد فازدحموا على تقبيل يده واقتضيت منهم الأيمان بحضرته ، وقام
الشعراء فافصحوا عن وصف الحال ، وغمر المنصور الناس بالنوال ، وكان ذلك
اليوم يوما مشهودا ، وبعد أيام منه أمر المنصور المأمون أن يرجع الى حضرة
فاس فرجع ودخل المنصور حضرته وتم غرضه الذى قصده .



ثورة داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ والسبب فى ذلك



قال الفشتالى : لما وقعت البيعة للمأمون وتكامل أمرها نار الرئيس الاجل
أبو سليمان داود بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ ، وهو ابن أخى
المنصور ، وفر الى جبل سكسيوة وشق العصا ودعا الى نفسه ، فانتالت عليه
أوشاب من البربر وغيرهم ، ونجم أمره وأثرت فى أذن الرعية جمعته ،
فبعث اليه المنصور قائده الزعيم أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة فناوشه

القتال بجبل سكسيوة فهزمه ، وفر الى جبل هوزالة فتحزبوا عليه ، وقويت بهم شوكته ، وأخذ يشن بهم الغارات على أهل درعة الى أن ضاقوا به ذرعا فشكوا أمره الى المنصور فبعث اليه قائده الذى ذكر فلم يزل فى مقاتلته ومقاتلته الى أن شرده عن جبل هوزالة ففر داود منه الى الصحراء ، واستقر به الرحيل بها عند عرب الودايا من بنى معقل فلم يزل عندهم الى ان هلك سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكفى المنصور أمره .



حدوث النفرة بين المنصور والسلطان مراد العثماني وتلاقي المنصور لذلك



قد علمت ما كان من التجاء عبد الملك المعتمد وأحمد المنصور الى السلطان سليمان العثماني وتطارحهما عليه حتى أمدهما بالجيش الذى كان سببا فى تملكهما المغرب ، ولما صفا الامر لعبد الملك أهمل جانب العثماني ولم يكتأبه بشيء ولا عرج عن ساحته ، ثم لما ملك المنصور وكتب الى النواحي بخبر وقعة وادى المخازن كتب الى السلطان مراد فى جملتهم فبعث السلطان المذكور الى المنصور بالهدية التى تقدم ذكرها وكان المنصور استقلها وانف منها فتشاغل عن الوفد وتركهم مهملين بحضرته ، وتأخر عن جواب السلطان مراد فكان ذلك سببا للنفرة ، وكان وزير البحر للعثماني ، واسمه الرئيس على علوج ، يفض للمنصور فلم يزل يسعى به عند سلطاناه ويذكره ما كان من أبيه الشيخ من القدح فى ولاية الترك والطعن عليهم ، وقال له فى ذلك : « قد ضاع صنيعك فى هذا الغادر وصنيع والدك من قبلك » ولم يزل يقتل له فى الذروة والغارب ويهون عليه أمر المغرب حتى أذن له فى توجيه العمارة اليه ومنازلته والاختذ بآفاقه الى أن يستأصل أمر المنصور ويخمد جمرته ، ويقال : ان السلطان مرادا أمر وزيره المذكور أن يذهب بالعمارة الى الجزائر فتكون هنالك ثم يتقدم بالعساكر فى البر الى المغرب ، فأخذ الوزير فى التأهب لذلك واتصل

الخبر بالمنصور على يد بعض قناصل النجلىز ، فارتحل الى فاس من حينه وشحن الثغور وملا المراسى ، وكان على أهبة وكمال استعداد ، وبعث ارساله الى السلطان المذكور بهدية عظيمة تلافيا لما فرط واعتذارا عما سلف : وكان من جملة ارساله القائد الانجد ابو العباس احمد بن ودة العمرانى ، والكاتب الشهير ابو العباس أحمد بن يحيى الهوزالى ، فركبوا البحر من مرسى تطاوين قاصدين القسطنطينية العظمى ، وبينما هم فى أثناء الطريق على ثبج البحر لقيهم الوزير علوج فى أسطوله قاصدا ديار المغرب عازما على منازلة المنصور به ، فلما رأهم سقط فى يده ، وأيقن بخيبة مسعاه ، فرام صدهما عما قصدا اليه وأياسهما من تدارك الامر ، وقال لهما : « ان الخرق قد اتسع على الراقع ولو كان لصاحبكم ففرض فى المسألة ما بقى أصحابنا بأبوابه كالكلاب والبادى أظلم » فلم يزل الوزير علوج بالقائد ابن ودة الى أن صرفه عن رأيه وردده معه ، وترك الهوزالى يبلغ الرسالة والهدية ظنا منه أنه صغير السن لا يحسن مخاطبة الملوك العظام ، وابن ودة الذى كان عنه مظنة لكمال التدبير ومثاقفة الملوكة رده معه ، فلما انتهى الهوزالى الى السلطان مراد ودخل عليه أظهر من نبلة ولطف مخاطبته ما خلب به قلب السلطان المذكور ، واستل السخيمة من صدره واعتذرله عن تأخر المنصور عن الجواب بما ذا يعود بوهن على مخدومه ، ولا يفيد غلبة خصمه ، فقبل السلطان مراد الاعتذار ، وتقبل الهدية بقبول حسن ، وكتب مع الهوزالى الى الوزير علوج بالرجوع عن منازلة المنصور ، فرجع بها الهوزالى يطير سرورا ، ولم يغب عن علوج إلا نحو الشهر حتى قدم عليه بأمر الملك ، ففرع لها علوج سن الندم ، وأسف على تفريطه فى الهوزالى وتركه ، وبعث السلطان مراد رسله مع الهوزالى الى المنصور يلومه على التراخى فى أمور الملوك فلما قدموا عليه أكرم وفادتهم وأحسن نزلهم وردهم مكرمين الى مرسلهم ، وبعث معهم الفقيه الامام قاضى الجماعة بحضرة مراكش أبا القاسم ابن على الشاطبى ، والقائد الانجد ابا زيد عبد الرحمن بن منصور الشيطمى المريدى ، فلما وردوا على خاقان الترك فرح بهم كل الفرع ، ورتب الشاطبى كلاما بليغا أعرب فيه عن فضل الدولتين ، وقرر فيه حق أهل البيت وأطرى المنصور

وحض فيه على اتحاد كلمة الاسلام ، وقرأ ذلك على السلطان مراد فاهتز لسماعه ، ثم بعد أيام أحسن اليهم وأجزل صلتهم وردهم مكرمين الى مرسلهم . وقال صاحب « خلاصة الاثر » : كان المنصور موادعا لسلطين آل عثمان فيرسل اليهم بالهدايا في كل سنة وكانوا هم يرسلون اليه بالمكاتيب والخلع السنية حتى ان السلطان مراد بن سليم كتب اليه أثناء مكاتيبه : « لك على العهد أن لا أمد يدي اليك الا للمصافحة » ، وان خاطري لا ينوي لك الا الخير والمسامحة ، وكانت رسله دائما تأتي الى القسطنطينية من جانب البحر ويمكنون زمانا طويلا ويتعهدون الوزراء ومن له قرب من الدولة من جملتهم الرئيس الاديب محمد الامين الدفترى ، فقد ذكر صاحب « خلاصة الاثر » أن هذا الرئيس كان يجمع نفائس الكتب ويبحث بها الى المنصور فبسبب ذلك كانت المراسلات بينهما غير منقطعة ، وقد ذكر صاحب « خلاصة الاثر » في ترجمة الرئيس المذكور بعض تلك المراسلات فانظره .

ولما تكامل هذا الغرض ، وصح جسم الدولة من المرض ورجعت الارسلات في أحسن الاحوال عاد المنصور الى مراکش ، وفي يوم خروجه من فاس خرج أعيان أهلها ومشايخ العلم بها وقرى البخارى بين يديه سردا على عادة الخلفاء في ذلك ، وكان ذلك كله سنة تسع وثمانين وتسعمائة .



ايقاع المنصور بعرب الخياط والسبب في ذلك



قد قدمنا في أخبار الدولة المرينية ما كان لهؤلاء الخياط من الاعتزاز والدالة عليها بسبب ما كان لهم من الشوكة والمصاهرة مع ملوكها . ولما أدبرت دولة بنى مرين واستولى على ملكهم أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي انتحاشوا اليه وأظهروا الخدمة والنصيحة ، فلما جاء أبو حسون الوطاسي بجيش التترك حسبما شرحناه قبل أوقعوا الهزيمة على المهدي لابي حسون كما مر ، فلما غلب

المهدى على المغرب وصفاله أمره خلعهم من الجندية ، ووظف عليهم الخراج ، ومحا اسمهم من ديوان الخدمة . ونقل أعيانهم الى مراکش واتخذهم رهائن عنده ، ولم يزل الامر على ذلك الى أيام المنصور فرأى جلادهم يوم وادى المخازن وحسن بلائهم ، فاختار النصف منهم ورده الى الجندية ، وأبقى نصفهم الآخر فى غمار الرعية ونقلهم الى أزغار فاستوطنوه حينما من الدهر ثم غابوا فى البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، ومدوا أيديهم الى أولاد مطاع فنهبهم وضائقوا بنى حسن فكثرت الشكاية بهم الى المنصور ، ف ضرب عليهم سبعين ألفا غرامة ، فلم يزدادوا الا عتوا وشدة ، فأرسل اليهم ليعثوا طائفة منهم الى تيكورارين فامتنعوا من ذلك فحينئذ بعث اليهم القائد موسى بن أبى جمدى العمرى فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة . ثم حكم السيف فى رقابهم . واستأصل جمهورهم فممن ثم خضدت شوكتهم ، ولانت للفاخر قناتهم .



استيلاء المنصور على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات وغيرهما



لما استقر المنصور بمراكش مرجعه من فاس وأمن من هجوم الترك على المغرب طمحت نفسه الى التغلب على بلاد تيكورارين وتوات من أرض الصحراء وما انضاف الى ذلك من القرى والمدائن ، اذ كان أهل تلك البلاد قد انكفست عنهم أيدي الملوك ولم تسسهم الدول منذ أزمان ولا قادهم سلطان قاهر الى ما يراد منهم ، فسنح للمنصور أن يجمع بهم الكلمة ويردهم الى أمر الله فبعث اليهم القائد أبا عبد الله محمد بن بركة ، والقائد أبا العباس أحمد بن الحداد العمرى الملقب ، فى جيش كثيف فقطعوا اليهم القفر من مراکش ، واتجهوا اليهم على سبعين مرحلة منها ، فتقدموا اليهم أولا بالدعاء للطاعة والاعذار والانداز فامتنعوا فزالوهم وقتلوهم وطالت الحرب بينهم أياما ، ثم كان الظهور لجيش المنصور فاقوموا بهم وأئخنوا فيهم الى أن أذعنوا للطاعة . وصاروا فى حزب الجماعة ، وأنهى خبر الفتح الى المنصور فسر بذلك سرورا عظيما

وقال الشعراء فى ذلك وعم الفرخ بلاد المغرب، وكان ذلك سنة تسعين وتسعمائة
وبعد هذا تشوقت نفس المنصور الى الاستيلاء على بلاد السودان فكان من أمرها
ما نذكره ان شاء الله .



تلخيص القول فى السودان المغرب والاشارة الى ممالكهم ودولهم من لدن الفتح الاسلامى الى هذا التاريخ

اعلم أن هؤلاء السودان هم من نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق
النسابين والمؤرخين ، ويجاور البربر بارض المغرب منهم أمم كثيرة من أعظمها
أهل مملكة غانة وهم المتصلون بالبحر المحيط من جهة الغرب على مصب النيل
السودانى فيه ، وتتصل بهم من جهة الشرق أمة أخرى تعرف بصوصو بصادين
أو سينين مهملتين مضمومتين ، ثم بعدها أمة أخرى يقال لها : مالى ، ثم بعدها
أمة أخرى تسمى كوكو ويقال : كاغو ، ثم بعدها أمة أخرى تعرف بتكرور ويقال
لهم أيضا : سغاي ، ثم بعدها أمة أخرى تدعى كانم وهم أهل مملكة برنوا المجاورة
لافريقية من جهة قلبها . ثم بعدها أرض النوبة المجاورة لبلاد مصر وهكذا الى
آخر الشرق أمم لا يحصيهم الا خالقهم .

فأما أهل مملكة غانة فقد كانوا فى صدر الاسلام من أعظم أمم السودان
أسلموا قديما وكان لهم ملك ضخم ، وكانت حاضرة ملكهم هى غانة وهى :
مدينتان على ضفتى النيل السودانى من أعظم مدن العالم وأكثرها عمرا نذكرها
صاحب « نزهة المشتاق » ، وصاحب « المسالك والممالك » وغيرهما .

وقال الفقيه الاديب أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى
فى « شرح المقامات الحريرية » ما نصه : غانة بلد من بلاد السودان وإليها ينتهى
التجار يعنى من المغرب ، والمدخل إليها من سجلماسة ومن
سجلماسة إليها ذهابا مسيرة ثلاثة أنهار ومن غانة الى سجلماسة ايام مسيرة شهر ونصف
ودون ذلك . وسبب ذلك أن الرفاق تتجهز إليها من سجلماسة بالامعة والانتقال
فتباع فى غانة بالتبر فمن سافر إليها بثلاثين حملا يرجع منها بثلاثة أحمال أو

السلطان سليم العثماني أيام تغلبه على مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، فلما اجتمع الحاج محمد سكية بالخليفة المذكور طلب منه أن يأذن له في امارة بلاد السودان ، وأن يكون خليفته هناك ، ففوض اليه الخليفة العباسي النظر في أمر ذلك الاقليم وجعله نائبه على من وراه من المسلمين ، فرجع الحاج محمد سكية الى بلاده ، وقد بنى أمر رياسته على قواعد الشريعة وجرى على منهاج أهل السنة ، ولقى بمصر أيضا الامام شيخ الاسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام ، وسمع عليه جملا من آداب الشريعة وأحكامها وانتفع بوصاياه ومواعظه ، فرجع الى السودان ونصر السنة وأحیی طریق العدل ، وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ، ومال الى السيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الاحوال ، وبرى جسد الرشاد من الداء العضال ، وكان الحجاج محمد المذكور سهل الحجاب رقيق القلب خافض الجناح شديد التعظيم لائمة الدين محبا للعلماء مكرما لهم يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء ولم يكن في أيامه كلها بؤس ولا بأس بل كانت رعيته في خفض عيش وأمن سرب وفرض عليهم شيئا خفيفا من المغارم وظفه عليهم وزعم انه ما فعل ذلك حتى استشار الامام السيوطي شيخه ، ولم يزل على سيرته المذكورة الى أن اخترمته المنية ، فقام بالامر بعده ولده داود بن محمد فاحسن ما شاء وتبع طريقة أبيه الى أن لحق بربه ومضى لسبيله ، فقام بالامر بعده ولده اسحق بن داود فعدل عن بعض سيرة أبيه ، ولم يكن في أمره بالذم ، واستمر حاله على الانتظام الى أن غزته جيوش المنصور فنقضت ملكه ونثرت سلكه ، وانقرض عليه أمر آل سكية بعد أن كان تحت طاعتهم مسيرة ستة أشهر من بلاد السودان. وسنذكر كيفية ذلك

وأما مملكة التكرور وكانم فقال ابن خلكان ما نصه : « كانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم وانما كانم اسم بلدة بنواحي غانة فسمى هذا الجنس باسم هذه البلدة ، وتكرور اسم للارض التي هم فيها وسمى جنسهم باسم أرضهم » اهـ.

قلت: وكان من كانم الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى
الاسود الشاعر وهو الذى دخل على يعقوب المنصور الموحدى فانشده :

أزال حجابہ عنى وعینسى تراه من المہابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن بعدت مہابة عند اقترابى
وأهل كانم هم أهل مملكة برنو المجاورة لافريقية من جهة قبلتها كما قلنا
وكانت لهم مع الدولة الحفصية فى المائة السابعة وما بعدها مهاداة ومواصلة كما
كان لاهل مالى مع بنى مرين .

قلت : ومن أهل برنو الشيخ العارف بالله تعالى أبو محمد عبد الله البرنوى
شيخ الولى العارف بالله تعالى أبى فارس عبد العزيز الدباغ الموضوع فى مناقبه
كتاب « الذهب الابريز » .

واتصل أمر أهل برنو على الانتظام الى أن كان من أمرهم مع المنصور ما
نذكره ، وكل هؤلاء الامم كانوا على دين الاسلام قديما كما رأيت ، وكان فيهم
العلماء والصلحاء والادباء والشعراء كما علمته آنفا وتعلمه فيما بعد ان شاء الله
تعالى .

قال الشيخ أبو العباس أحمد بابا السودانى فى تقييده المسمى « بمعراج
الصعود » : « ان أهل السودان أسلموا طوعا بلا استيلاء أحد عليهم كأهل كنوا
وكتنى وبرنو وسغاي ما سمعنا قط أن أحدا استولى عليهم قبل اسلامهم ومنهم من
هم قدماء الاسلام كأهل مالى أسلموا فى القرن الخامس أو قربه وكأهل برنو
وسغاي » اه . وقد علمت أن أهل غانة تقدم اسلامهم على هذ التاريخ والله
تعالى أعلم . ولنرجع الى ما كنا بصدده من أخبار المنصور فنقول :



وصول هدية صاحب برنو الى المنصور بحضرة فاس وما نشأ عن ذلك من بيعته له والتزام طاعته

❦

كان المنصور رحمه الله مسعودا محظوظا كما أشرنا اليه سابقا ، وكان من سعادته ما هيا الله له من مهادة صاحب مملكة برنو ومخاطبته له حتى كان ذلك سببا في مبايعته له والدخول في طاعته . وكان من خبر ذلك ما حكاه في « مناهل الصفا » قال : « وفي سنة تسعين وتسعمائة ورد على المنصور الخبر وهو بمدينة فاس بقدم رسول صاحب مملكة برنو من ملوك السودان ، وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه من قتيان العبيد والاماء وكسا السودان وطرفه ، وكان من ذلك عدد كثير يناهز المئين ، فوافى المنصور بمسكركه على رأس الماء من ساحة فاس ، وكان يوم ملاقاته يوما مشهودا حسنا وأبهة وجلالة ، جلس نصره الله تعالى بالقبتين التوأمتين المضروبتين أمام السياج المحيط بقبابه ، وهو آفراك ، واستوقف الموالى والممالك سماطين من التوأمين الى القبة العربية ، ثم منها الى فسطاط الجلوس المعلوم بالديوان ثم منه الى باب المعسكر القبلى ، وأتى بالرسول يخترق السماطين حتى نزل بالديوان ، وكان الملا من أكابر الدولة وصدور المملكة جلوسا وكرسى المملكة وسرير الخلافة منصوبا به ، والمهابة قد أخرست اللسن وأخشعت القلوب والابصار ، فجلس الرسول هنالك مليا ، ثم توجه به على سبيل الترقى الى القبة العربية فجلس بها ، ثم جاء الاذن الكريم بإيصاله الى مقر أمير المؤمنين بالتوأمتين فوقف بين يديه وتشرف بالنظر الى طلعه السعيدة فادى الرسالة وقضى فرض التهنة وسنة الهدية وأعرب عن مقاصد مرسله واعترف للمملكة العظيمة بحقها وأظهر من الخضوع والتعلق والاستكانة والخدمة والطواعية ما أوصاه به مرسله ، ثم توجه به الى معسكر ولى العهد وتاج الاسلام وكافل الامة بعد والده المولى الامير أبى عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وكان لصق معسكر أمير المؤمنين برأس الماء ، فأشرف الرسول على دنيا أخسرى وأبهة مدهشة ومحلة هائلة فوقف موقف الحيرة ، واستدرج الى أن وصل

لقباب ولى العهد ومضاربه ، وكان قد قعد له بفسطاط جلوسه أفخم قعود . ولما استؤذن عليه ووقف بين يديه هنا وحى وفدى وانصرف عنه الى محل نزوله بالقصبة من فاس ، وأدر عليه من الانعام والاکرام ما لم يكن له فى حساب . وكان من أغراض الرسالة التى أنفذه بها سلطانه طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد وعدة البندق ومدافع النار لمجاهدة من يليهم بقاوية السودان من الكفار ، وكان هذا الرسول قد وفد قبل على سلطان التتسرك بالاصطنبول السلطان مراد العثمانى يطلب منه المدد لجهاد كفار السودان فأخفق سعيه ولم يحصل على طائل ، فوجهه فى هذه التوبة الى ملك المغرب يطلب منه المدد ، ولما قرىء كتابه على أمير المؤمنين اتفق أن وقع بينه وبين كلام الرسول اختلاف بين وتباين واضح فكان الذى دل عليه الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول ، جر اليهم ذلك توغلهم فى الجهل والغباوة وعدم من يحسن الاعراب عن مقاصدهم من فرسان الانشاء والكتابة ، لطموس معالم العلوم عندهم على الجملة ، وقارن ذلك ما كان من توجيه أمير المؤمنين عساكره لتدوين قطرى توات وتيكورارين ، وأمل أن يجعلهما ركابا لبلاد السودان والاستيلاء على ممالكها التى وجه اليها عساكره بعد ذلك ، فبلغت مملكة مالى عظيم السودان الى أن وردت من نيلها على مائة مرحلة من ثغور المغرب ، فاغتنم المنصور لذلك اختلاف الرسول والرسالة وبنى عليه ما اعتد به على صاحب برنو ورجع الرسول الى مرسله بعد مكافاته وتوجيه هدية من عتاف الخيل وأشرافها بكسى من ملابس الخلافة وأسباب آخر . ولما بلغ الرسول وألقى المезде الى سلطانه استأنف الهدية وأعرب اذ ذاك عن مراده ورد الرسول ثانية الى باب أمير المؤمنين فوافاه بحضرته ودار خلافته من مراكش ، فأزال اللبس وبين الغرض وصرح بالمقصود ، فلما تحقق المنصور بقصده صدع له بالحق والدعاء الى التى هى أقوم وطالبهم بالبيعة له والدخول فى دعوته النبوية التى أوجب الله عليهم وعلى جميع العباد فى أقطار البلاد الانقياد اليها ، وقرر لهم بلسان السنة الناطق والكتاب المنزل على جده الصادق ، أن الجهاد الذى ينتحلونه ويظهرون الميل اليه والرغبة فيه لا يتم لهم فرضه ولا يكتب لهم عمله ما لم

يستندوا فى أمرهم الى اذن من امام الجماعة الذى اختص الله أمير المؤمنين بوصفه اذ هو الكافل لهذه الامة ، ووارث تراث النبوة ، وقيضه الله لحماية بيضة الاسلام، وخصه بالشرف القرشى الذى هو شرط فى الخلافة باجماع من علماء الاسلام وأئمة السنة الاعلام ، وألزمهم القيام فى أقطارهم بدعوته ، ومجاهدة أعدائهم الكفار بكلمته ، وعلق لهم أيده الله الامداد على البيعة والوفاء بهذا الشرط فالتزمه الرسول ، وزعم أيضا عن سلطانه بالقبول والاجابة ، وطلب من السلطان نسخة يتوجه بها من صورة البيعة اذ ليس بلدهم من يحسن الانشاء، ويوفى الغرض لئلا يخلو بشئ من الشروط التى شارطهم عليها أمير المؤمنين فأنشأها كاتب الدولة أبو فارس عبد العزيز الفشتالى ونصها : « الحمد لله الذى أعلى لكلمة الحق منارا يسامى فى مطالعها النجوم ، وأزاح بها عن شمس الهداية المنيرة غياهب الغباوة المذلّمة وسحائب الغواية المركوم ، وحى على الفلاح بها داعى التوفيق الذى نشر للنجاح كتابه الموقوت واستنجز للسعادة أجلها المعلوم ، وشرف هذا الموجود والعالم الموجود بالخلافة النبوية والامامة بالحسنية العلوية التى صرفت للوجوه الى قبلتها المشروع ، واستبان الحق بتبليج الصباح فى مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة ، ونسخ بدولتها الفسراء دول الحيف التى هى سيف النبوة المصلت مقطوعة ، وبلسان السنة مدفوعة ، وقوض بها مبانى الادعاء التى هى على غير أساس الشرع الصحيح مرفوعة ، وفسرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث التى هى على مشاققة الله ورسوله تابعة ومتبوعة ، وخلع بظهورها على أعطاف الحنيفة السمحة رداء العز الفضفاض واستل بتأييدها للدين المحمدى سيف الانفة والامتعاض ، وأشار للاعادي من بأسها المروع بلسان الحية التضاض ، وفجر للمومنين ينبوع رحمتها الجارى على حصا عدلها الرضاض ، ومهد بسيوفها المنتفضة الافاق والاقطار تمهيدا أزال عن حكمه الاعتراض ، وجلا بأنوارها المتألقة سدف الجهالة التى ادلهم جوها وغيم ، وأسعد الوجود بيمينها الذى لبث فى أكناف مجدها وخيم ، وقضى لها بتراحم الارض ومن عليها ان شاء الله الى عيسى بن مريم ، والصلاة والسلام على مولانا محمد الذى تعاظمت البراهين القاطعة على صدق رسالته البارة ، ونهج

للدن القويم طريقة الحق المثلى ومادته الشارعه ، وسوغ لمن آمن به مناهل الهدى النيرة الزلال وموارده العذبة ومشارعه ، نبى الرحمة وشفيع الامه ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، أئمة الهدى ومصابيح الظلام ، والدعاء لمولانا الامام العلوى الهمام ، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ، نجل سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وسليل الوصى والسبطين ، وبعد ، فانه لما أذن الله فى ليل البهالة أن ينجاب ، وفى شمس الحق الوهاجة أن يرتفع عنها الحجاب ، وفى العز الخلق الجلباب أن يعود الى الشباب ، وفى التجاج والاستقامة أن يفتح لهما الباب ، وفى الامارة أن تستند الى السنة والكتاب ، وتعلق من الشرع بأسباب ، تدارك الله سبحانه الوجود وأعز العالم الموجود واستطارت الانوار المضيئة للاغوار والنجود بطلوع شمس الخلافة النبوية ، والامامة الهاشمية العلوية ، ففاضت على أديم البسيطة أنوارها ، وارتفع الى حيث السها والفرقدين منارها ، وتبلغ بالاصباح نهارها ، ولاحت فى سماء المجد بدورها وأقمارها ، وكادت تهب نجوم السماء أتباعها وأنصارها ، وانتشرت فى الافاق والاقطار على البعد والقرب آثارها ، وهزت عطف الزمان انتشاء مناقبها وأخبارها ، وفاض بركتها على أكناف المعمورين الزاخر وتيارها ، خلافة ينتمى الى النبوة عنصرها ، وتستنبط من رسالة الوحى أسطرها ويناط بعروتها الوثقى خنصرها وامامة على وليها والله نصيرها ، والسبط بدرها الذى حياه منبرها وسريرها والحمد لله الذى اصطفى من هذه الدوحة النبوية السماء ، والشجرة الطيبة الهاشمية التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، اماما ألقى الله له فى القلوب جبا جميلا ، ومولى جعله الله على مرضاته سبحانه علامة ودليلا ، وخليفة استرعاه فكان بحسن الرعى لخلق عباد كفيلا ، وانتضى من بأسه وبسالته لحماية حمى الشريعة حساما صقيلا ، مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله فى الارضين وسليل خاتم النبيين ووارث الانبياء والمرسلين ، المفترضة طاعته على الخلق أجمعين ، والممنون بامامته المقدسة على العالمين ، بحر الندى والباس وعصمة الله للناس ، أمير المؤمنين المنصور بالله مولانا أبا العباس ، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين ، والائمة الطيبين الطاهرين ، وطيب بانفاس المغفرة لحودهم ،

أجمعين ، امام تهتز لذكره أعطاف المناير ، وتتقلد من شريف دعوته أبهى من نفيس الجواهر ، وتستضيء البلاد باكليل شرفه الزاهر ، وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الوافر ، أبقى الله أيامه النور بقاء يصحب النصر دوامه ، وخلد له ولا عقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة ، ولما طلعت أيده الله على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته النبوية وخلافته ، ولاحت فسى سمائها شهب مناقبه للنيفة الدالة على فخامة شرفه وأناقته ، وتليت لمجده الآيات اليبينات التي تشهد له بتراث الرسالة ، وتقضى له على الاسلام وعلى الانام بحكم الولاء والكفالة ، وأوضح الله سبحانه للناس من اعتقاد وجوب طاعته والافتداء بامامته والانقياد لدعوته وتقليد بيعته ما جاء به كتابه الحكيم ووردت به سنة نبيه الكريم ، كما قال عليه السلام : « لا تزال الخلافة في قريش ما بقي منهم اثنان » وكما ورد في صحيح الخبر : « ان الخلافة في قريش والقضاء في الانصار وفي الحبشة الاذان » ويدل على هذا تعاضد الخبر والعيان ، فلا ناكر ان ليس في المعمور على هذا الشرط غيره أيده الله من ثاب ، فنهض بدليل الشرع انه امام الجماعة حقا المستوفى شروطها ، والوارث للخلافة النبوية والحريص على بيضة الاسلام أن يحوطها ، وأن القائم بهذا الامر على الاطلاق غيره دعى ، ومحاوله دون اذنه المشروع بدعى ، فتعين لذلك أن الرجوع الى الحق فريضه ، واستبان بما تقرر وعلم ان اماره لا تلاقى في الشروع محلها المشروع منبوذة ومرفوضة ، وعروتها لذلك مفصومة ومنقوضة ، فانتدب لهذه الآثار صحيح الاخبار وصرف الى رضى الله العناية زوقف من الشرائع المشروعة حيث مركز الراية ومنتهى الغايه ، الرئيس أبو العلاء ادريس أكرمه الله انتداب من وقفت به مطية التوفيق ، على حضرة الاخلاص والتصديق ، وأخذت بزمامه السعادة الى حيث الفوز برضا الله ورضا رسوله حقيق ، والتأييد صاحب ورفيق ، وروض الآمال أتيق ، وراح الراحة والاطمئنان عتيق ، الى تقلد امام بيعة الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله زاده الله تقديسا وتشريفا التي تؤسس ان شاء الله على تقوى من الله ورضوان ، وتشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمن ، وآثر أسعده الله أن يؤدي فرضها المعدود من فروض

الاعيان ، وحكمها الذى توجه به خطاب الشرع العام الى القاصى والدان ،
وينشر سنتها المشروعة فى صقعها وما يليه من الاصقاع والبقاع بالسودان تقلدا
يستغنى ان شاء الله بأنواره ، ويستشرف به للعز المكين على مناره ، ويخمد به
المجهل جذوة ناره ، وتنظم به فى اتباع الحق زمر أنصاره ، ويجتلى به صورة
انسانه ، ويستوجب من الله عوارف صنعه واحسانه ، ويرهف به للعسود
على العزمات حد سيفه وسنانه ، ويقرع به لرضا الله باب القبول ، ويتضاعف
له ببركه العمل المقبول ، ويستشيق بمشهد عقده الكريم نواسم النبوه ،
ويعود له به الزمان للشباب والفتوه ، ويرفع به منار الامارة على قواعد الشرع
الوثيقة ، ويعدل به فى كل الاحوال عن المجاز الى الحقيقة ، وتسنى له به
وهى المقصد الاسنى والخاتمة الحسنى ، الاسوة الحسنة بامامى بنى العباس
السفاح والمنصور ، ويحيى سنتهما التى نقلها ثقات الاعلام والصدور ، فى مبايعتهما
الامام الخليفة المهدي الاكبر سليل سيد المرسلين وجسد مولانا امير
المؤمنين الذى رأى امام دار الهجرة أنه بتراث الخلافة النبوية أولى وأحق ،
وفى منصب الامامة على شرطها أعرق ، ويسريها ومنبرها أليق ، فتأكد
للمتدب أكرمه الله بهذه الآثار الشريفة والمناقب المنيفة العزم والقصد ،
وأنجز له فيما أراد صدق الوعد ، وساعد نيته الصالحة فيه السعد ، فبايعه
أعلى الله يده على الامن والامانة ، والعفاف والديانة ، والعدل الذى يشيّد
للمجد أركانه ، مبايعه شايعه على عقدها الكريم أكرمه الله أتباعه وجموعه
وأشياعه بحكم الوفاق والاتفاق والمواثيق الشديدة الوثاق ، وبجميع الايمان
المصادقة الايمان ، أعطوا بها صفقة أيديهم ، ورفع بها العقيرة مناديهم عارفين
أن يد الله فيها فوق أيديهم ، وامضوها على السمع والطاعة والانتظام فى سلك
الجماعة امضاء يدينون به فى السر والجهر واليسر والعسر والرخاء والشدة ،
والازمان المشددة ، والتزموا شروطها طوعا ، واستوعبوها جنبا ونوعا ،
بنيات منهم خالصة صادقة ، وعدة من الله لهم بالخير سابقة ،
وسعادة بالحسنى لاحقة أبرموا عقدها ، وأحكموا وعدا وعهدا ، على حكم
الكتاب والسنة والجماعة ، والاخذ بسنتها أعقابا عن أعقاب ، وأحقابا انسر

أحقاب ، الى يوم القيامة واقتراب الساعه ، لا يلحق عقدها الكريم فسخ ، يعقبه بحول الله نسخ ، ولا يتطرق اليه نقض ولا نكث ، ولا يشوبه بشم الشبهات بحث ، وأجمع على هذا أسعده الله بالمواثيق المستفيضة ، والايمـ اللازمة المغلظة هو وأتباعه اجماعا شرعيا ، وحثموه على أنفسهم حتما ، واعتقدوه اعتقادا أبديا ، وعرضوا على التزامه بمشهد عقده المبارك أفـ وأزواجا ، رحاانا وأفواجا ، وأشهدوا على الوفاء به بايمانهم الصادقة البـ ومواثيقهم المثلجة للصدور ، قائلين : بالله الذى لا اله الا هو الملك القدـ العليم بالخفيات ، والخير بالآجال والوفيات ، وبجميع الرسل الكـ والانبيا ، وملائكة الرحمن فى الارض والسماء ، وعلى انهم ان حادوا هذا السبيل وانقادوا لدعاء داعى التغير والتبديل ، أو انصرفوا عن هذا المـ وسنته ، فهم برآء من حول الله وقوته ومن دينه وعصمته ، ومستوجبـ لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته ، وبعداء من رحمته ، ومن شفاعة نبيه الـ يوم القيامة لأمته ، وانهم خالعون لربقة الاسلام ، وخارجون عن سنة الرـ عليه السلام ، أعلنوا بهذا اعلانا تعضده التجوى وأدوه بشروطه الجارية مذاهب الفتوى وأحكامه اللازمة لكلمة التقوى ، استرضاء لله ولـ النبوية ، والامامة العلوية ، ورياضة للنفوس على بيعتها المباركة الميمونة الـ واستيفاء لشروطها وأقسامها الواجبة والمستحبة والمندوبة ، مستسلمين الى بالقلوب الخاشعة ، ومتضرعين الى بابهِ الكريم بالادعية النافعة ، فى أن يـ خير هذا العقد الكريم ، والعهد الصميم ، بدأ وختما ، وأن يمنحهم بركـ التى تصحبهم حالا ودواما لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، أشهد على بما فيه وعلى رعيته الرئيس أبو العلاء ادريس أسعده الله وأكرمه ، وبنـ المحرم الحرام من عام تسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية « انتهى .

ولما كتبت هذه البيعة دفعت للرسول وأكرم وكافأه أمير المؤمنين هدية سلطانه وتوجه الى بلاده بجواب مرسله ، ولم يلبث أن رجع سـهـ ثالثة ووجه معه هدية ورسالة ، وخاض القفر الى دار الخلافة ، فوصل بلاد تيكورارين وهناك اعترضته منيته فاعتل وهلك ، فأشخص أولوا الـ

الذين يتكوراين الهدية مع رفقائه القادمين معه من عند سلطانه ، فوصلوا بها الى حضرة أمير المؤمنين بمراكش ، وقدموا اليه رسالتهم وهديتهم فتقبلها بقبول حسن ، وتم السرور وعظم الجور ، واستقامت للمنصور الامور .



بعث المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكية وكيفية ذلك



لما أدى الوفد الواردون على المنصور من السلطان أبي العلاء صاحب مملكة برنو ما قدموا لاجله ردهم المنصور الى صاحبهم مكرمين ، وانتخب رسولا عارفا مجربا ممن لهم بصيرة بأحوال السودان فبعثه معهم عينا يأتيه بأخبار البلاد حتى كأنه يشاهدها ، وبعث معه رسالة الى السلطان اسحق بن داود من آل سكية صاحب مملكة كانغو ، من أرض السودان يأمره فيها أن يرتب على معدن الملح الذي يتغازى بين المغرب والسودان ، ومنه يحمل الملح الى أقطار السودان ، وظيفاء بأن يجعل كل من يحمل منه شيئا من الواردين عليه متقالا من الذهب العين لكل حمل ، تستعين بذلك الخراج عساكر المسلمين على جهاد الكفار لان ذلك بحر لا ساحل له .

وكان المنصور لم يكتبه في ذلك حتى استفتى علماء ايكته وأشياخ افتيا بها فافتوه بما هو المنصوص للعلماء رضوان الله عليهم من أن النظر في المعادن مطلقا انما هو للإمام لا لغيره ، وأنه ليس لاحد أن يتصرف في ذلك الا عن اذن السلطان أو نائبه ، وبعث اليه المنصور بتلك الفتاوى مع الرسالة الموجه بها مع الرسول ، وكانت من انشاء العلامة الاديب مفتي الحضرة المراكشية المولى أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلماسى ، لان كاتب الانشاء أبا فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالى كان مريضا يومئذ ، ولما فرغ الشريف المذكور من انشاءها بقي عليه الصدر فلم يدر كيف يقول في مخاطبة اسحق سكية ولا كيف يمدحه ، وهل يتوغل في المدح أو يتوسط فكتب أبو مالك حين تحرير في ذلك الى المنصور بما نصه : « أيدكم الله ونصر أعلامكم ان

مخاطبة هذا الرجل الذى هو فى مرتبة ممالك الحضرة المولوية أمر تلثم فيه لسانى ، ووقف عن خوض لجهته بنانى ، لان النأى عن هذه المحجة قد مد بينى وبينها حجابا ، وأغلق فى وجهى بابا ، فلا آمن من أن أقتحم الوقوع فى تفریط أو افراط ، وخير الامور لو علمته الاوساط ، لكن لا سبيل الى معرفته الا بعد علم الطرفين ، والعبد محجوب عن ذلك دون مين فتركت - أيدكم الله - الصدر لمن هو به منى أقعد ، وتحاميت عقده لمن هو له أعقد ، أبى فارس عبد العزيز الذى فاضت عليه أنواركم ، وأضاءت له سبل هذا المخبر أقماركم ، والا قرعت هواتف لسان الحال سمعى بقول القائل .

يا بارى القوس برىا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس بارىها
ولما بلغت رسالة المنصور الى السلطان اسحق سكية واطلع عليها شق عليه ذلك وماطل فى الجواب ، وحيث أبطأ الرسول فطن المنصور لما انطوى عليه سكية من عدم اجابته لما طلب من الوظيف على الملاحة ، فاشتد غضبه وعزم على توجيه العساكر الى السودان ، فهذا هو الحامل له على قصد تلك البلاد وتدويخها ، ولما فتح تيكورارين وتوات قوى عزمه على ذلك ، وطمحت نفسه للاستيلاء على ما هنالك على ما نذكره ان شاء الله .



مفاوضات المنصور الملأ من اصحابه فى غزو آل سكية

وما دارينهم فى ذلك



قال الفشتالى رحمه الله : لما رجعت ارسال المنصور اليه من عند اسحق سكية وأعلموه بمقاتله وامتناعه واحتجاجه بانه أمير ناحية ، والمنصور أمير ناحية ، وأنه لا تجب طاعته عليه ، شاور المنصور أصحابه وجمع أعيان دولته والتقى أهل الرأى والمشورة فاجتمعوا ، وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا ، فقال لهم المنصور : « انى عزمتم على منازلة أمير السودان صاحب كاغو وبعث

الجيش اليهم لتجتمع كلمة المسلمين وتتحده الرعية ، ولان بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش الاسلام ويشدد ساعد كييته ، مع أن صاحب أمرهم وللتولى لسلطنتهم اليوم معزول عن الامارة شرعا ، إذ ليس بقرشى ولا اجتمعت شروط السلطنة فيه العظمى ، فلما نزل المنصور ما فى كتابه وأبدى ما فى خيسته وعرض ما فى عيته سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشئ ، فقال لهم : « أسكنم لستصوابا لرأى أو ظهر لكم خلاف ما ظهر لى ؟ » فاجاب كلهم بلسان واحد ورأى متفق : « ان ذلك رأى عن الصواب منحرف وانه بمهامه عن الآراء السديدة ولا يخطر ببال السوقة فكيف بالملوك ، وذلك لان بيننا وبين السودان مهامه فيجا تقصر فيها الخطا ، وتجار فيها القطا ، وليس فيها ماء ولا كلا ، فلا يتأتى السفر فيها ولا اعتساف شئ من طريقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا ، وأيضا فان دولة المرابطين على نهجها ، ودولة الموحدين على عظمتها ، ودولة المريسين على قوتها لم تطمح همه واحدهم لشئ من ذلك ، ولا تعرضوا لما هنالك ، وما ذاك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها ، وحسبنا أن نفتى أثر تلك الدول فان التأخر لا يكون أعقل من الاول ، فلما قضى أولئك الاقوام كلامهم وأبدوا له رأيهم وملامهم ، قال لهم المنصور : « ان كان هذا غاية ما استضعفتم به أمرى ، وفيلتم به رأى فليس فيه حجة ولا ما يخذش فيما عندى ، أما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهلكة لجدوبتها وعطشها فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق فى كل وقت ويخوضون فى احشائها مشاة وركبانا وجماعة ووحدا ، ولم تنقطع قط ركاب التجار عنها وأنا أقوى أهبة منهم وللجيش همه ليست للقوافل ، وأما قولكم ان من كان قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك ، فاعلموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الاندلس ومقابلة الافرنج ومن بذلك الساحل من الاروام ، والموحدون اقفوا سبيلهم فى ذلك وزادوا بحرب ابن غانية ، والمريسيون كانت غالب وقائمهم مع بنى عبد الواد بتلمسان ، ونحن اليوم قد انسد عنا باب الاندلس باستيلاء العدو الكافر عليها

جملة ، ولانقطعت عنا حروب تلمسان باستيلاء الترك عليها ، ثم ان أهل تلك الدول لو أرادوا ما أردنا لصعب عليهم لان جيوشهم كانت فرسانا ورامحة ورماة ناشبة ، ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة الصواعق ، وأهل السودان ليس عندهم الآن الا الرماح والسيوف ، وهى لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة ، فمقاتلتهم سهلة وحربهم أيسر من كل شىء ، وأيضا فان بلاد السودان أنفع من افريقية فالاشتغال بها أولى من منازلة الترك لانه تعب كثير فى نفع قليل ، فهذا جواب ما عرض لكم ، ولا يحملنكم ترك الملوك الاول ذلك على استبعاد القريب واستصعاب السهل ، فانه كم ترك الاول للاخر وقد يفتح على المتأخر بمالم يفتح به على المتقدم . فلما فرغ المنصور من خطابه وأبدى ما فى وطابه استحسن الحاضرون جوابه واستملحوا اشارته واستجادوا رأيه ، وقالوا له : «قد طبقت المفصل وألهمت الصواب ولم تبق لاحد ما يقول ، وصدق من قال : «عقول الملوك ملوك العقول » . فانفصل للجمع على البعث الى السودان ومناهضة أهله ومتابعة المنصور فى رأيه عليه . قلت : وفى كلام المنصور أمران يحتاجان الى مزيد بيان الاول ما قاله من أن المثلثين لم تكن لهم سلطنة على السودان يعنى بهم الذين أقاموا بأرض المغرب ودبروا أمره مثل يوسف بن تاشفين وبنه فلا يرد عليه أن الامير أبا بكر بن عمر غزا السودان وفتح منه مسيرة ثلاثة أشهر لان ذلك كان بعد رجوعه الى الصحراء واستقراره بها واعراضه عن ملك المغرب بالكلية كما مر ، الثانى ما قاله من أن البارود لم يكن فى تلك الدول الفارطة يعنى به لم يكن موجودا فيها بكثرة بحيث يستغنى به الجيش عن غيره ساعة القتال ، فلا يرد عليه أن ظهوره كان فى أوائل المائة السابعة لاول دولة بنى مرين كما مر اذ ظهوره فى تلك المدة كلا ظهور . والله تعالى أعلم بحقائق الامور .



استجازة المنصور لعلماء مصر رضى الله عنهم وتلمذ لهم



قالوا ومن اعتناء المنصور رحمه الله أنه بعث الى علماء مصر يستجيزهم رغبة في اتصال جبل السند واقتفاء لاحب ذلك الطريق الاسد ، ومن أجازته : الامام العارف بالله أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبى الحسن البكرى رضى الله عنه ، ومن بعض فصول اجازته له قوله يمدح كتاب المنصور اليه ويشنى عليه بالفصاحة والبلاغة ما نصه : ولقد وصل الى المثل العديم المتسأل ، المزرى نظامه بعقود اللآل ، فاذا به السحر الا أنه الحلال ، ولو ادعى أحد أن من معجزات أحمد صلى الله عليه وسلم أن يمد الله كراما كاتنين فى زمان نجله أمير المؤمنين أحمد بكتاب كريم على أسلوب قويم يرسله الى محب قديم من النبعة والصميم لم تكذب دعواه ، فما من خارق فى الامة الا وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم دال على علاه ، وأما ما شرفنى به من طلب الاجازة فالبيت والحديث له ، ولكن رب أب أرسل الى ابنه على يد عبده عطاء فقبله ، واليه بامرهم حمله ، وحيث وقع الامر فامر مولانا حتم ، وطاعته غنم فمولانا مجاز من هذا العهد ، من جميع ما يجوز لهذا العبد ، بجميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه للمعتبر عند أهل الامر ، وكذلك مجاز أهل العصر اجازة عام بعام ، ليكون أبناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الانعام ، فانه هو السبب فى تحصيل ذلك المرام وكتب تحريرا فى رابع عشر ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، محمد بن أبى الحسن الصديقى سبط آل الحسن « اهـ .

وممن استجازه المنصور أيضا من علماء مصر : الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن يحيى المصرى الشهير ببدر الدين القرافى صاحب « ذيل الديباج » فأجازته اجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله :

أجزت لمن تفضل واستجازا وبادر لاقتنا خير وحازا
وأبرز فى سلوك العلم حالا به من فضل مولانا يجازى

امام كامل غوث البرايا أمير المؤمنين حوى مجازا
 وذلك بعد تشریفى بأمر بوقصد للاجازة فاستجازا
 فبادرت امتالا قدر وسعى ومقتنيا مناهج من أجازا
 وقد أبدت حقا لا محالا بما صار الامام به مجازا
 بفاتحة وسنة خير هدى وسلسلة لمن حاز امتياز
 بدار الهجرة العليا امام بما أبداه من فضل مجازا
 وأرجو منه يهدى لى دعاء لما أرجوه من خير مجازا
 بخاتمة تبلغنى مراما بجنت أراها لى مفازا
 وأشياخى يبلغهم رضاء ويوصلهم الى خير يجازا

تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المامون وما وقع في ذلك



قالوا : وفى شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة جدد المنصور البيعة لولد
 محمد الشيخ الملقب بالمامون وأخذها له على اخوته خصوصا لانهم كانوا فى البيعة
 الاولى قبل البلوغ فأراد أن يستوثق له منهم بعد البلوغ حسما لمادة النزاع بينهم
 فارتحل المنصور من مراكش الى تامسنا وبعث الباشا عزوز بن سعيد الوزكيتى
 ليأتيه بولى عهده المذكور من فاس ، فتوافى القصد ان بتامسنا ، وباشر المنصور
 أخذ البيعة له بنفسه ، وحضر الاعيان وأهل الحل والعقد وأحضر المصحف الكريم
 الذى هو مصحف عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه وهو من ذخائر الخلفاء
 وأحضر الصحيحان للشيخين ، وقرىء ظهير البيعة فتولى قراءته الكاتب أبو فارس
 عبدالعزيز الفشتالى ، وبحبه القاضى أبو القاسم الشاطبى يفسر ما أشكل من لفظ
 الظهير .

ولما أخذ البيعة أخر أولاده الى غد يومها فكتبوا خطوطهم عقبها بالموافقة على
 ذلك والالتزام له ، ووقع فى رسالة السلطان زيدان لابی زكرياء بن عبد المنع
 الامام بذكر هذه البيعة فقال : « انى حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب الفرد

سامحه الله وحضر أولاد السلطان فاستحلفهم له الا أنا ، فانه رضى الله عنه قال :
« فلان لا يحلف لا يحتاج اليه فيما نأمره به ونفعله وعظم ذلك على اخوتي وظهرت
فى وجوههم لاجله الكراهية » اه .

ولما فرغ المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرشح كلا من أولاده للامارة
ويقسم بينهم البلاد حتى لا تبقى فى نفوسهم احن ولا تنطوى قلوبهم على ضغائن ،
فَعقد لابی فارس شقيق المأمون على السوس وسائر عمائره وعقد لابی الحسن
على مكناسة وما والاها ، وعقد لزيدان على تادلا ثم عكس ذلك لامر اقتضاه الحال ،
فنقل زيدان الى مكناسة ، ونقل أبا الحسن الى تادلا ، ولم يزالوا على ذلك الى
أن كان من أمرهم ما نذكره فى محله ان شاء الله .



ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله



قالوا : وفى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ثار رجل يقال له : الحاج قرقوش
ببجبال غمارة وبلاد الهبط وتسمى بأمر المؤمنين ، وكان فى ابتداء أمره حائكسا
فتلبس بالزهد والصلاح ، واعتقدته العامة ثم استحال أمره الى ما ذكرنا فأخذ
وقتل وحمل رأسه الى مراکش وانقطعت مادة فساده فلم تبكه أرض ولا سماء .



بناء المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراکش حرسها الله



كانت الحرة مسعودة أم المنصور وهى بنت الشيخ لاجل أبى العباس أحمد
ابن عبد الله الوزكىتى الوردزاتى من الصالحات حريصة على اقتناء المفاخر راغبة
فى فعل الخير ، قال فى المنتقى : « وهى التى أنشأت المسجد الجامع بحومة باب
دكالة داخل مدينة مراکش ووقفت عليه أوقافا عظيمة وكان ذلك سنة خمس
وتسعين وتسعمائة . قال : « وهى التى بنت جسر وادى أم الربيع وغير ذلك » اه

قلت: المرقوم على رخامة قبرها انها بنت جسر بن بلفظ الثنية وتزعم العامة أنها بنت المسجد المذكور كفارة لما انتهكته من حرمة رمضان وذلك أنها دخلت بستانا من بساتين قصورها وهي في حال الوحش فرأت به خوفا ورمانا فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان ثم ندمت على ما صدر منها وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها، ومنها الجامع المذكور، ولا زال النساء والصبيان يسجعون بقصتها الى الآن فيقولون : عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان ، في اسجاع غير هذه . ولفظ عودة مخفف من مسعودة على طريقة البربر في مثل هذا والله تعالى أعلم .



بعث المنصور ببياة الرخام الى جامع القرويين من فاس حرسها الله



قال ابن القاضي في «المنتقى المقصور» : « ان المنصور رحمه الله بعث الخصة العظيمة سنة ست وتسعين وتسعمائة الى جامع القرويين من فاس مع كرسى من المرمر توضع عليه وزنها معا مائة قنطار » قال : « وهي : الخصة التي تحت منار الجامع المذكور » وقال ابن القاضي المذكور فيما نقش برقبتها :

امام دار الهدى المنصور شيدني	بحر المكارم من أبناء عدنان
حزت المفاخر بالمنصور أجمعها	ومن علاه سنام المجد أرساني
من جاء يشكو الظما يوما وقبلني	أغناه ما قد همى من صوب أجفاني
لا تتكرن وجود الدمع من فرح	فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئا من السلسال لا حرج	معين دمع جرى من فيض خلجاني
فخر السلاطين من أبناء فاطمة	أشاع صيتي الى أطراف عمان
وقد جرت مقلتي تحكى سحائبها	كف الخليفة من أبناء زيسدان
لا زال للدين والدنيا يسوسهما	ما هيجت عاشقا ورق بأفنان
انشائي في زمن التاريخ وافقه	للدين والاجر بحر الجود سواني

وفي هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين وتسعمائة في ذى الحجة منها

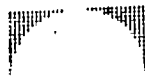
سافر المنصور الى فاس وبينما هو فى الطريق وافقه البشرى بالفتك بنصارى
سبته وان زعيم الفئة الجهادية وهو المقدم أبو العباس أحمد النقيس التطوانى
كمن لهم مع جماعة من الفرسان فى موضع فخرج النصارى باولادهم
وحشهم فحال النقيس بينهم وبين سبته وأوقع بهم وكاد يفتحها ، وسر
المنصور بهذا الخبر ، وأنشده فى ذلك الكاتب أبو عبد الله محمد بن على
الفشتالى بيتين زجر له منهما الفال باستيلائه عليها وهما :

هذه سبته تزف عروسا نحو ناديك فى شباب قشيب
وهى بشرى وأنت كفؤ اللواتى كافأت بعلمها بفتح قريب
وفى سنة سبع وتسعين وتسعمائة فى اليوم الثانى من ذى القعدة منها
أخلى النصارى مدينة آصيلا حملهم الخوف من كنية المسلمين المرابطة هنالك
على الفرار بانفسهم فتركوها يابا وذهبوا ، وفى ذلك يقول أبو العباس ابن
القاضى :

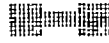
يا أيها المنصور أبشر بالعللا فالله أبلغ فى العدا المأمولا
أنضاكم سيفا لحف عداته وبكم غدا سيف الردى مفلولا
وهزمت الشراك المتين بعزمكم من غير سيف لم يرى مسلولا
وأذيتكم كيد الحيث بهمة وفتحتم دار العدا آصيلا
أكرم به من مالك بل صالح أضحى لبارود العدا خليلا
لازال فى أنف الهدى شمماوفى عين العلاء يشاكل التكحيللا
وأشار بقوله لبارود العدا خليلا الى ما صنعه النصارى دمرهم الله حين أرادوا
الخروج من آصيلا فانهم حفروا تحت قصبتها وملأوا الحفرة بالبارود وأوقدوا
فتيلا تبلغه ناره عند دخول المسلمين فيه لكون فقر نصرانى منهم وأخبر
المسلمين بذلك فجأهم الله تعالى من مكيدة الوبال ، وكفى الله المؤمنين القتال،
وقال فى ذلك أيضا الكاتب البارع أبو فارس عبد العزيز الفشتالى شعرا ذكره
صاحب « نشر المثنى » فانظره .

وكان فى زمن المنصور رجال من بيوتات المغرب معروفون بالشجاعة
والنجدة فى قتال العدو ومنهم : أولاد النقيس التطوانيون ، ومنهم : أولاد

أبى الليف من أهل بلاد الهبط ، قال فى « المرأة » : « لما كان المقدم المجاهد الشهيد أبو عبد الله محمد بن الحسن أبو الليف من الشهامة والصرامة على ما كان عليه ومن شدة نكايته فى العدو الكافر الطنجى وبعد أثره فيهم جرت أمور بينه وبين صاحب عمل القصر فسعى به الى المنصور فأمر برحيله الى فارس هو وعشيرته مغربين عن وطنهم كأنهم فى سجن ، فأقاموا بفارس مدة لا أدرى هل هى سنة أم أكثر الا أنى كنت أراه عند الشيخ سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وأنا اذ ذاك صغير ، ويعنى بالشيخ والده أبا المحاسن رحمه الله » ، قال : « فضاقت عليهم أنفسهم من الاغتراب فقال يوما المقدم عمر لاخته كبيسه المقدم محمد : لو زرنا الشيخ اليوم وتبركنا به لعل الله يفرج عنا فان الناس كثيرا ما يقصدونه فى المهمات » فقال له : « لا أتحرك فقد غلب اليأس » فسار المقدم عمر وحده فلما وصل الى الشيخ قال له : « قنطتم » قال : « نعم ياسيدى » فقال له الشيخ : « غدا يخلى سبيلكم ان شاء الله » فرجع الى أخيه وأخبره ، فلما كان من الغد بعث اليهم القاضى أبو محمد عبد الواحد الحميدى فلما أتوه قال لهم : أبشروا بالسراح والرجوع الى الوطن ان شاء الله ، فانه قد قرىء الآن بين يدى السلطان بعض الغزوات التى ذكرها ابن النحاس وغناء أبطال المسلمين فيها ، فقال السلطان أو غيره : « ترى هل بقى فى هذا الزمان من يماثلهم » فقالوا : قد بقى من يفعل فعلهم ، وها هم أولاد أبى الليف المغربون هنا يفعلون مثل ذلك » فقال السلطان سرحوهم الى بلادهم ليحموا نفورهم ويجاهدوا فى سبيل الله فرجعوا الى بلادهم وفعلوا الافاعيل فى عدو الدين الى أن استشهد المقدم محمد فى ربيع الثانى سنة اثنتين وألف هـ .



غزو السودان وفتح مدينة كاغو وقتل سلطانها اسحق سكية رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من مفاوضة المنصور لحاشيته في غزو السودان واستقرار رأيهم على ذلك فبقى المنصور يقدم رجلا ويؤخر أخرى الى أن كانت سنة سبع وتسعين وتسعمائة فقوى عزمه واشتغل بتجهيز آلة الحرب وما يحتاج اليه الجيش من آلة السفر ومهمات ، وأمر القواد أن يقوموا حصص القبائل وما يحتاجون اليه من ابل وخيل وبغال ، وان من أتى بجمل ضعيف يعاقب ، واشتغل هو بتقويم آلة الحرب من المدافع والعجلات التي تحملها والبارود والرصاص والكور ، وتقويم الخشب واللوح والحديد للغلاظ والسفن والفلك والمجاذيف والقلوع والبراميل والروايا لحمل الماء ، وألف التجارون ذلك في البر الى أن تألف ، ثم خلعوه وشدوه أحمالا ، واستمر الحال الى أن استوفى المنصور أمر الغزو في ثلاث سنين ، ثم أمر باخراج المضارب والمباني لوادى تانسيفت فخرجت الاحمال والانتقال من مراكز في اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ونزلت العساكر وضربت أبنيتها خيلا ورجلا وجمعتها عشرون ألفا ، ومعهم من المعلمين البحرية والطبية ألفان ، فالمجموع اثنان وعشرون ألفا ، وعقد المنصور على ذلك الجيش لمولاه الباشا جوذر وشد أزره بجماعة من أعيان الدولة ، فاختار منهم من يعلم نجده ويعرف كفايته ، وتخير من الابل كل بازل وكوماء ، ومن الخيل كل عتيق وجرداء ، ثم نهضوا في زى عظيم وهيئة لم ير مثلها ، وذلك في محرم فاتح سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، وكتب المنصور الى قاضى تيبكتوالفقيه العلامة أبى حفص عمر بن الشيخ محمود بن عمراء قيت الصنهاجى يأمره بحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة .

ولما نهضوا من تانسيفت جعلوا طريقهم على ثنية الكلاوى ، ثم على درعة ودخلوا القفر والفيافي فقطعوها في مائة مرحلة ولم يضع لهم عقاب بعير ولا نقص منهم أحد فنزلوا على مدينة تيبكتو نغر السودان ، فأراحوا بها أياما ، ثم صاروا

قاصدين دار اسحق سكية ، ولما سمع بقدمهم احتشد أمم السودان وقبائلها وقبائل الملثمين المهادين لهم ، وخرج من مدينة كاغو يجر الشوك والمدر يقال : أنه جمع مائة ألف مقاتل وأربعة آلاف مقاتل .

وقال الفشتالي : ولم يقنع بالجيوش التي جمع حتى أضاف اليها أشياخ السحرة وأهل النفث في العقد وأرباب العزائم والسيماة ظنا منه أن ذلك يغيه شيئا، وهيهات، ويرحم الله أبا تمام اذ قال فيما يقرب من هذا الحال :

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في	متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة	بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة	ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

ولما تقارب الجمعان عبأ الباشا جؤذر عساكره وتقدم للحرب فدارت بهم عساكر السودان من كل جهة . وعقلوا أرجلهم مع الابل وصبروا من الضحى الى العصر ، وكانت سلاحهم انما هي الحرشان الصغار والرماح والسيوف ولم تكن عندهم هذه المدافع فلم تغن حرشانهم ورماحهم مع البارود شيئا ، ولما كان آخر النهار هبت ريح النصر وانهمز السودان فولوا الادبار . وحقق عليهم البوار ، وحكمت في رقابهم سيوف جؤذر وجنده حتى كان السودان ينادون نحن مسلمون نحنن اخوانكم في الدين والسيوف عاملة فيهم وجند جؤذر يقتلون ويسلبون في كل وجه ، وفر اسحق في شرذمة من قومه ولم يدخل قلعة ملكه ، وتقدم جؤذر فدخلها واحتوى على ما فيها من الاموال والمتاع ، وكان ذلك منتصف جمدي الاولى من سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، ويقال : ان جؤذرا لم يدخل مدينة كاغو وانما تحصن بها اسحق فحاصره جؤذر فيها ، وكتب الى المنصور بخبر الفتح وبعث اليه بهدية فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتان من خيار الرقيق وغير ذلك ، وامتدت العساكر المنصورة في بلاد آل سكية تعيث وتفسد وتسبي وتغنم الى أن راسل اسحق الباشا جؤذرا في تقرير الصلح على مال معين يدفعه الآن وضريبة يؤديها كل سنة فأجابته الى ذلك على مشورة المنصور وامضائه اياه ، ثم كتب الى المنصور

بذلك وكانت العساكر قد أصابها الحمى ووخامة تلك الارض فانفق رأى الامراء على الرجوع والاقامة بتبكتو الى أن يأتى جواب المنصور، فرجعوا وأخذ جوذرفى إنشاء الغلائط والسفن وتركيبها ولما أكملها دفعها فى النيل، ولما بلغ المنصور خبر الصلح قام وقعد وقوم عسكرا خفيفا وبعث به مع مملوكه الآخر محمود باشا، وهو أخو جوذر وقلده أمر العساكر كلها، وعزل جوذرا عنها وأمر محمودا أن يقيه معه، وكتب الى أمراء العسكر يعاتبهم ويوبخهم على ما فعلوه مع اسحق من الصلح، ويؤكد عليهم فى الرجوع الى بلاده واتباعه حيثما توجه ولو عبر النيل الى العدو الاخرى، وخرج محمود باشا فيمن عين له من العسكر فى زمان الحر فى وقت لا يقدر على الحركة فيه الا القطا الكدرى وقطع القفر فى خمسين مرحلة أمر لم يسمع بمثله ونزل بالعساكر على ظاهر تبكتو على رأس سنة الالف فأراح بها ثلاثا ثم شحن الغلائط والسفن والفلك بالرؤساء والملاحين ووجوه الجند فساروا فى النيل وسار السواد الاعظم فى البر الى أن نزلوا على مدينة كاغو قاعدة ملك اسحق سكية، وكان اسحق لما رجعت عنه العساكر الى تبكتو احتشد أمم السودان المجاورين له وتذا مروا وأصفقوا معه على الموت، فلما بلغه رجوع العساكر الى كاغو قصدهم فى جموعه، ولما التقى الجمعان لم يكن الا مقدار فوق ناقة حتى انهزم السودان من سماع رعد المدافع والمهاريس وارتفاع القنابل فى الجو وهدير الطبول، وتبعتهم العساكر يقتلون ويأسرون الى أن غشيهم ظلام الليل ورجعوا بالغنائم والسبى فاستراحوا ثلاثا، ثم أمر محمود أخاه جوذرا أن يقيم بمدينة كاغو عامرا لها، ويترك معه عددا من العسكر يكون ردها لهم، وسار هو فى اتباع اسحق الى أن لحقه بعض الجهات فأوقع به وقعة شعاء وفر فى فل من قومه فعبر النيل الى العدو الاخرى وتبعه محمود فعبر النيل بعساكره فى السفن وسار خلفه الى أن لحقه فأوقع به وقعة ثالثة احتوى فيها على ما معه من المال والحريم ودخل لاسحق القفر فهلك فيه، ثم كانت لمحمود وقعة أخرى مع أخيه الذى كان ينازعه فى الملك فانه قام بعد مهلك أخيه وجمع الجموع وزحف الى محمود باشا فهض اليه محمود فهزمه وقتله فيمن معه من جنده واتباعه، وتمهدت له البلاد واستولى عليها استيلاء كلياً،

وكتب بخبر الفتح الى المنصور .

ولما بلغه هذا الفتح وصورته كان عنده ذلك اليوم عيداً من الاعياد أخرج فيه الصدقات وأعتق الرقاب ، وأقام مهرجاناً عظيماً بظاهر الحضرة خرج له عامة الناس للفرجة والنزهة وزينت الاسواق وأخرجت المدافع بالنفط وتسابقت الخيول ، وأطعم المنصور الناس عدة أيام ونظم الشعراء قصائدهم ورفعوا أمداحهم ، وأجازهم بما تحدث الناس به دهراً ، وكتب بخبر الفتح وصورته نسخ وجهت الى جميع الآفاق ، وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ما أنشده الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالى فقال :

جيش الصباح على الدجا متدفق	فياض ذالسواد ذلك يمحـق
وكانه رايات عسكري التـى	طلعت على السودان بيضا تخفـق
لاحت وأفقهـم ليل كلسه	كعمود صبح فى الدجا يتألق
نشرت لتطوى منه ليلا دامسـا	أضحى بسيفك ذى الفقار يمزق
أرسلتهـن جوائحا وجوارحـا	فى كل مـخلبها غراب ينعق
وسرت فكان دليلهن اليهم	مشحوذ عزمك والسنان الازرق
لهى الليالى قد جلى أحلاكهـا	نور النبوة من جبينك يشرق
صعقت بهن رعود نارك صعقـة	رجت لصيحتها العراق وجلق
سحقا لاسحق الشقى وحزبه	فلقد غدا بالسيف وهو مطـوق
رام النجاة وكيف ذاك وخلفه	من جيش جؤذرك الفضنفر فيلق
جيش أواخره ببابك سيلهـ	عزم وأوله بكافو محـدق
لم يشعروا الا وأسوار الردى	ضربت عليهم من قناك وخندق
كتب لاله على عداتك أنهم	قنص لسهمك غربوا أو شرقوا
ضلت ملوك ساجلوك على العـلا	سفها وشأوك فى العـلا يـلحق
أن يشبهوك ولا شبيه يرى لكم	فى الخلق أين من اللجين الزئبق
بشر ملوك الارض أنك فاتح	بالمشرفى على الولا ما غلقوا
وبقاصل لك ذى الفقار مفرق	ما جمعوه وجامع ما فرقوا
دامت طيور السعد وهى غوارد	بالمشتهى لك والمسرة تنطق

ما دام أصل علاك فى صحف الثنا أصل الفخار وكل غيرك ملحق
 والمشتهى والمسرة بستانان للمنصور ورى بهما هذا الشاعر وسيأتى
 الكلام عليهما . وكان محمود باشا لما استوسق له الامر هنالك بعث بنصف
 جيشه الى المنصور مع هدية عظيمة فيها من الذخائر ما لا يحصى ، من ذلك :
 ألف ومائتان من متخير الرقيق الجوارى والعلمان ، وأربعون حملا من
 التبر ، وأربعة سروج ذهب خالصا ، وأحمال كثيرة من اليانور وقطوط الغالية
 وغير ذلك ، ولما وافى المنصور سر بذلك سرورا عظيما وأمر بعمل المفرحات
 فى بلاد المغرب وتزيين الاسواق غدوة وعشية ثلاثة أيام ، ووفدت عليه الوفود
 من كل ناحية مهنيين له بما منحه الله من الظفر والنصر ، وانتظمت الممالك
 السودانية فى سلك طاعته ما بين البحر المحيط من أقصى المغرب الى بلاد برنو
 المتاخمة لبلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر قال الفشتالى : فكلمة المنصور نافذة فيما بين
 بلاد النوبة الى البحر المحيط من ناحية المغرب وهذا ملك ضخم وسلطان فخم
 لم يكن لمن قبله ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، ولما فتح الله عليه ممالك البلاد
 السودانية حمل اليه من التبر ما يعيى الحاسيين ، ويحير الناظرين ، حتى كان
 المنصور لا يعطى فى الرواتب الا انصار الصافى ، والدينار الوافى ، وكان بابه
 كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافى دون ما هو معد لغير ذلك
 من صوغ الاقراط والحلى وشبه ذلك ولأجل هذا لقب بالذهبي لفيضان الذهب
 فى أيامه والامور كلها بيد الله .



وفاة أم المنصور الحرة مسعودة الوزكيتية رحمها الله



كانت الحرة مسعودة هذه من الخيرات الصالحات وتقدم بعض ما ثراها من بناء المسجد الجامع بباب دكالة وغيره . وكانت وفاتها سحر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم فاتح سنة ألف ، ومن المستفيض انها رثت بعد موتها فسلت ما فعل الله بها فقالت : « غفرلى ، بسبب انى كنت ذات يوم جالسة لقضاء الحاجة فسمعت المؤذن شرع فى الاذان فرددت على ثيابى اعظاما لذكر الله تعالى حتى فرغ المؤذن من آذانه فشكر الله لى ذلك فغفر لى » .

وفى سنة احدى وألف أتى بالفيلة من بلاد السودان الى المنصور، وكان يوم دخولها لمراكش يوما مشهودا برز لرؤيتها كل من بالمدينة من رجال ونساء وشيوخ وصبيان ثم حملت الى فاس فى رمضان سنة سبع وألف . قال فى «نشر المثنى» : كان دخول الفيل الى فاس يوم الاثنين سادس عشر رمضان سنة سبع وألف وبعث المنصور مع الفيل الى ولده المأمون بهدية سنية فيها تحف وأموال عريضة وخرج أهل فاس فى ذلك اليوم للقاء الفيل بنحو مائة ألف نفس .

قال بعضهم : « وبسبب دخول هذه الفيلة الى المغرب ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة بتابع لان أهل السودان الذين قدموا بالفيلة يسوسونها قدموا بها معهم يشربونها ويزعمون أن فيها منافع ، فشاعت منهم فى بلاد درعة ومراكش وغيرهما من بقاع المغرب ، وتعارضت فيها فتاوى العلماء رضوان الله عليهم ، فمن قائل بالتحريم ومن قائل بالتحليل ، ومتوقف ، والعلم فيها عند الله سبحانه ، قاله اليفرنى .

قلت : من تأمل أدنى تأمل فى قواعد الشريعة وآدابها علم يقينا أن تناول هذه العشبة حرام ، لانها من الخبائث التى حرمها الله تعالى على هذه الاممة المطهرة ، وبذلك وصفها فى الكتب السالفة اذ قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم

بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .
 وبسط هذا المقام : ان تعلم أن الله تعالى اختار هذه الامة من بين سائر
 الامم قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » واختار لها من الطاعات
 وأنواع العبادات ما هو أفضلها ، قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
 عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » وأفضل تلك
 العبادات كلها الصلاة التي هي من الدين بمنزلة الرأس من
 سائر الجسد ، ثم اذا أمعنت النظر رأيت الشارع صلوات الله عليه قد بالغ
 في الاحتياط لهذه العبادة الشريفة والاستعداد لها باستعمال كل طيب أمكن ،
 واجتناب كل خبيث أمكن ، فشرع أولاً الطهارة الكبرى الشاملة لسائر البدن .
 وحظر من مقاربة الصلاة وما هو في معناها حال الخلو عنها ، ثم شرع ثانياً
 الطهارة الصغرى المتعلقة باطراف البدن زيادة في الاعتناء بها لانها تبرز في
 غالب الاحوال فيعلق بها من الاقدار مالا يعلق بغيرها ، وألزم المكلف استعمال
 هذه الطهارة عند عروض كل حدث مستقذر حتى الريح والسبب الداعي الى
 خروجه ، ثم ندبه الى استعمالها عند القيام الى كل صلاة من الصلوات الخمس .
 ثم انا اذا تأملنا أفعال هذه الطهارة وجدناها تشتمل على مبالغات كثيرة
 تستدعى غاية النظافة وتنفي كل قدر وان قل ، فشرع الغسل في أعضاء الوضوء
 مكرراً ، وشرع مسح شعر الرأس بالماء دفعا لما يعلق به من الغبار ، وشرع
 تنبع مسام الوجه بالغسل والتنظيف كالمضمضة والاستنشاق ثلاثاً تطيباً للنكهة ،
 ونزع مسح الاذنين من ظاهريهما وباطنيهما حتى الصماخين ازالة لما بداخلهما
 من تلك الفضلة ، مع أن الحى ودمعه وعرقه ولعابه ومخاطه كلها طاهرة ، وأوليس في
 هذا دليل واضح على أن الحكمة في هذا كله انما هو المبالغة في النظافة وتطيب
 الرائحة والنكهة اذ بذلك يستحق العبد أن يتلبس بالعبادة ويدخل حضرة الرب ،
 وشرط للدخول فيها طهارة البدن والثوب والمكان من سائر المستقذرات حتى
 يكون على أكمل الحالات بعيداً عن القذر بكل وجه ، ثم لم يكف الشارع
 بهذا حتى شرع السواك عند القيام الى كل صلاة وقال : لولا أن أشق على أمتي
 لامرتهم بالسواك عند كل صلاة ، كل ذلك المقصود منه طيب النكهة فانظر

وتأمل اعتناء الشارع بتطبيب رائحة فم المؤمن ونكهته حتى فى حق الصائم الذى
 « خلوف فمه أطيب عند الله من ريح المسك » هذا كله فى حال الصلاة .
 وأما خارجها فقد علم من الشرع علما ضروريا أن العبد مطلوب بالمحاذرة
 على هذه الحال والبقاء عليها سائر أوقاته متى قدر على ذلك وتيسر له . و
 هذا المعنى : ما حرم الله تعالى على هذه الأمة من تناول المستقذرات كالمتة وال
 وسائر النجاسات اذ عللة حرمة الاشياء وتناولها اما كونها مستقبة
 كالنجاسات اجماعا ، وكالحشرات وما تعافه النفوس على مذهب الشافعية
 رضى الله عنه ، أو مضرة كالسم والطين ونحوهما مما يضر بالبدن أو ببعض
 الاعضاء منه ، أو محترمة : اما لذاتها ، كالادمى ، أو لكونها ملكا للغير
 ظاهر . فالشارع له غرض أكيد فى اجتلاب الطيبات واجتناب ما يضاهاها من
 المستخبثات ، وقد ثبت فى الصحيح أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يبعون
 فى حوائطهم فاذا حضرت الجمعة أتوا الى المسجد وأبدانهم سهكة فأمرهم ا
 صلى الله عليه وسلم بالاغتسال عند كل جمعة ، ثم منع كل من تلبس براء
 كريهة كالثوم والبصل والكرات من حضورها ، وجب الى النبى صلى الله
 وسلم من دنيا النساء والطيب ، وندب أمته الى استعماله فى المشاهد العامة
 الجمع والاعياد ونحوها ، وخصال الفطرة انما شرعت لهذا المعنى ففهي كفاية
 تأملها ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ازره المؤمن الى انصاف ساقيه » دفع
 للسرف والخيلاء ، ولثلا يعلق به شيء من النجاسات والاقذار الى غير هذا
 لو استقصى لطال ، ودل دلالة قطعية على أن المطلوب من العبد أن يكون
 طيب الرائحة حسن البزرة طاهر البدن والثوب مجانبا لكل خبيث مستقبة
 وهذه حالة أهل الجنة والعكس بالعكس ، وأنت لا تجد أخبث ولا أقدر
 من رائحة أفواه شربة الدخان ، ولا أتقن ولا أعفن من نكهات المستفنين
 تابع ، وهذا التن من أقبح العيوب فى نظر الشرع حتى انه جعل الخيار
 الزوجين اذا كان صاحبه أبخر ، فاذا لانشك أن استعمال هذه العشبة ا
 فى الفم أو الانف من أعظم المحظورات لانها تصدم غرضا كبيرا من أغص
 الشارع وتضاده وتنفيه ، وأقول لو كان تنهها يعلق بعضو من الاعضاء غير ا

لكان هينا لكنه يعلق بالفم والانف اللذين وضعهما الحكيم العليم فى وسط الوجه الذى هو أشرف الاعضاء ، فأى مضمضة وأى استنشاق وأى سواك يزيل ذلك اللتن الذى يرسخ فى أنفاس أهلها وأفواههم وخياشيمهم رسوخا لا يمانله شىء . ولقد أفصح العامة عن شدة تنن هذه العنبة وصادفوا الصواب حيث قالوا: ان فضلة الدخان المسماة بالقيير تنجس النجاسة هذا الى ما يتبع ذلك من المفساد المتعددة من تغيير عقل متعاطيها حتى أنه اذا انقطعت عنه صار كالمجنون لا يبالى بما يصدر منه ، ومن دخول الشك فى صيامه لان بقايا ذلك الدخان أو ذلك الغبار قد يمتك فى حلقه الى طلوع الفجر وما بعده ، لان جلهم اذا قرب الفجر والوا استعماله حتى يكون هو خاتمة سحورهم ، وبالجمله ، فلا يستعمل ذلك الا من لا خلاق له ولا يكثر بمروءة ولا دين وهو قاذح فى الشهادة والامامة والله تعالى الموفق بعنه .

■ ■ ■

نكبة الفقيه ابى العباس احمد بابا السوء داني وعشيرته من آل آقيت
والسبب في ذلك

■ ■ ■

كان بنو آقيت التكروريون من أهل مدينة تنبكتو ومن لهم الواجهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث تعددت فيهم العلماء والائمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتى سنة وكانوا من أهل اليسار والسؤدد والدين لا يبالون بالسلطان فمن دونه ، ولما فتح جيش المنصور بلاد السودان أبقاهم الباشا محمود على حالهم الى أن كانت سنة اثنين وألف فكان أهل السودان قد سثموا ملكة المغاربة وآسوا منهم خلاف ما كانوا يمهّدونه من سلطانهم الاول ، وكانت أذنهم مع ذلك صاغية لآل آقيت فتخوف المنصور منهم ، وربما وشى اليه بهم ، فكتب الى عامله محمود بالقبض عليهم وتغريبهم الى مراکش ، فقبض على جماعة كبيرة منهم كان فيها الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد ثلاثة أحامد بن عمر بن (الاستقصا - خامس - ٩)

محمد آقيت المدعو : بابا ، صاحب «تكميل الديباج» وغيره من التأليف . وكان فيها أيضا الفقيه القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد آقيت وغيرهما ، وحملوا مصفدين في الحديد الى مراکش ومعهم حريمهم وانتهبت ذخائرهم وكتبهم .

قال في «بذل المناصحة» : « سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بابا يقول : أنا أقل عشرين كتابا وقد نهبت لي ست عشرة مائة مجلد ، وكان القبض عليهم في أواخر المحرم سنة اثنتين وألف ، ووصلوا الى مراکش في أول رمضان من السنة المذكورة ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثفاف الى أن انصرم أمد المحنة ، فسرحوا يوم الاحد الحادي والعشرين من رمضان سنة أربع وألف ففرحت قلوب المؤمنين بذلك .

ولما دخل الفقيه أبو العباس على المنصور بعد تسريحه من السجن وجده يكلم الناس من وراء حجاب وبينه وبينهم كلة مسدولة على طريقة خلفاء بني العباس ومن يشبه بهم ، فقال الشيخ : « ان الله تعالى يقول «وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب» وأنت قد تشبهت برب الارباب فان كانت لك حاجة في الكلام فانزل الينا وارفع عنا الحجاب » فنزل المنصور ورفعت الاستار ، فقال له الشيخ : « أى حاجة لك في نهبت متاعى وتضييع كبرى وتصفيدي من تنكبوا الى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقى ؟ » فقال له المنصور : « أردنا أن تجتمع الكلمة وأنتم في بلادكم من أعيانها فان أذعنتم أذن غيركم » فقال الشيخ أبو العباس : « فهلا جمعت الكلمة بترك تلمسان فانهم أقرب اليك منا » فقال المنصور : « قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لاتركوا الترك ما تركوكم» فامثلنا الحديث » فقال أبو العباس : «ذاك زمان ، وبعده قال ابن عباس : « لاتركوا الترك وان تركوكم » فسكت المنصور وانفض المجلس .

ولما سرح الشيخ أبو العباس تصدر لنشر العلم وأهرع الناس اليه للاخذ عنه ، ولم يزل بمراكش الى أن مات المنصور لانه ما سرحهم حتى شرط عليهم السكنى بمراكش ، ولما توفى أذن ابنه زيدان لآل آقيت في الرجوع الى

بلادهم بعد أن مات جماعة منهم بمراكش ، وقد كان الشيخ أبو العباس يتشوق الى رؤية بلدته ويسكب العبرات عند ذكرها ولم يئأس من روح الله في العود اليها ، وله في ذلك شعر على طريقة الفقهاء . ولما خرج من مراكش قاصدا بلده شيعه أعيان طلبتها فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى : «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد» على ما جرت به العادة من قراءتها عندوداع المسافر فيرجع سالما ، فانتزع الشيخ أبو العباس يده بسرعة وقال : «لاردنى الله الى هذا المعاد ولا رجعتى الى هذه البلاد » ثم لحق بتبكنو فاستقر بها الى أن مات سنة ست وثلاثين وألف رحمه الله .

تتمة

قد تبين لك بما قصصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الاخذ بدين الاسلام من لدن قديم . وانهم من أحسن الامم اسلاما وأقومهم ديناً وأكثرهم للعلم وأهله تحصيلاً ومحبة ، وهذا الامر شائع فى جل ممالكهم الموالية للمغرب كما علمت ، وبهذا يظهر لك شناعة ما عمت به البلوى ببلاد المغرب من لدن قديم من استرقاق أهل السودان مطلقا ، وجلب القطائع الكثيرة منهم فى كل سنة ويبيعهم فى أسواق المغرب حاضرة وبادية ، يسمسرون بها كما تسمسر الدواب بل أفحش ، قد تماثل الناس على ذلك وتوالت عليه أجيالهم حتى صار كثير من العامة يفهمون أن موجب الاسترقاق شرعا هو اسوداد اللون وكونه مجلوبا من تلك الناحية ، وهذا لعمر الله من أفحش المنكر وأعظمها فى الدين ، اذ أهل السودان قوم مسلمون فلم يمانا وعليهم ما علينا ، ولو فرضنا أن فيهم من هو مشرك أو متدين بدين آخر غير الاسلام فالغالب عليهم اليوم وقبل اليوم بكثير انما هو الاسلام ، والحكم للغالب ، ولو فرضنا أن لا غالب وانما الكفر والاسلام متساويان هنالك فمن لنا بان المجلوب منهم هو من صنف الكفار لا المسلمين . والاصل فى نوع للانسان هو الحرية والخلو عن موجب الاسترقاق ، ومدعى خلاف الحرية مدع لخلاف الاصل ، ولا ثقة بخبر الجالبيين لهم والبايعين لهم لما تقرر وعلم فى الباعة مطلقا من

الكذب عند بيع سلعتهم واطرائها بما ليس فيها ، وفي باعة الرقيق خصوصا مما هو أكثر من ذلك ، كيف ونحن نرى أن الذين يجلبونهم أو يتجرون فيهم انما هم من لا خلاق لهم ولا مروعة ولا دين ، والزمان كما علمت وأهله كما ترى ، ولا يعتمد أيضا على قول ذلك العبد نفسه أو الامة نفسها كما نص عليه الفقهاء لاختلاف الأغراض والاحوال في ذلك ، فان البائع لهم قد يضربهم حتى لا يقروا الا بما لا يقدح في صحة بيعهم ، وقد يكون للعبد أو الامة غرض في الخروج عن ملك من هو بيده بأي وجه كان ، فيهون عليه أن يقر على نفسه بالرقية كي ينفذ بيعه عاجلا الى غير ذلك من الأغراض ، وقد استفاض عن أهل العدل وغيرهم أن أهل السودان اليوم ، وقبل اليوم ، يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ، ويسرقونهم من الاماكن النائية عن مداشرهم وعمرانهم ، وان فعلهم ذلك كفعل أعراب المغرب في اغارة بعضهم على بعض واختطاف دوابهم ومواشيهم أو سرقتها والكل مسلمون ، وانما الحامل لهم على ذلك قلة الديانة وعدم الوازع ، فكيف يسوغ للمحتاط لدينه أن يقدم على شراء ما هو من هذا القبيل ، وكيف يجوز له التسري بانائهم ، وفي ذلك ما فيه من الاقدام على فرج مشكوك .

وقد قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضى الله عنه : في كتاب « الحلال والحرام » من « أحياء علوم الدين » ما نصه : اعلم أن كل من قدم اليك طعاما أو هدية أو أردت ان تشتري منه او تنهب فليس لك أن تفتش عنه وتسال وتقول : هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه ، وليس لك أيضا أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه ، بل السؤال واجب مرة ، وحرام مرة ، ومندوب مرة ، ومكروه مرة ، فلا بد من تفصيله والقول الشافى فيه : هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة ، ثم أطلال رضى الله عنه في تقرير ذلك ، وصرح بأن البائع اذا كان متهما على ترويح سلعته لا يعتمد على قوله . فاذا كان هذا في الاموال فكيف باسترقاق الرقاب وملك الابضاع الذين للشارع بهما مزيد اعتناء كما هو معلوم من الشرع وأصوله .

وقد ذكر الشيخ أبو العباس أحمد بابا في تقييده الموضوع في هذه المسئلة ،

سى «بمعراج الصعود» تفصيلا حتم به كلامه وذكر ببائل من كفار السودان موسى وبعض فلان وغيرهم : وقال : أن كل من كان من هؤلاء القبائل ز استرقاقه . وكذلك ذكر ولى الدين ابن خلدون : « ان وراء النيل من السودان يقال لهم للمم » قال : « وهم كفار ويكتوون فى وجوههم داغهم » قال : « وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم ر فيجلبونهم الى المغرب وهم عامة رقيقهم وليس وراءهم فى الجنبوب ن يعتبر » الى آخر كلامه ، لكن هذا التفصيل الذى ذكره الشيخ أبو ع انما ينفع أهل تلك البلاد المجاورين لهم والمطلعين على المجلوب منهم غيرهم ، فأما أهل المغرب الذين هم من وراء وراء وبينهم وبين أرض ان مهمامه فتح وقفار لا يعمرها الا الريح ، فمن الذى يحقق لهم ذلك ، لنا انه لا يجوز الاعتماد على قول الجالين لهم ، وأيضا فمن لنا بأن أولئك ، لا زالوا على كفرهم الى الان على أن الناس اليوم لا يلتفتون الى ذلك ، ومهما رأى أحدهم العبد أو الامة يمسس فى السوق الا ويقدم على غافلا عن هذا كله لايسأل الا عن عيوب بدنه لافرق فى ذلك بين أسود ض وغيرهما ، بل صار الفسقة اليوم وأهل الجراة على الله يخطفون الاحرار من قبائل المغرب وقرأه وأمصاره ويبيعونهم فى الاسواق جهارامن كير ولا امتعاض للدين ، وصار النصارى واليهود يشترونهم ويسترقونهم منا ومسمع ، وذلك عقوبة من الله لنا لو اعتبرنا فانا لله وانا اليه راجعون دهينا به فى ديننا .

فالحاصل أنه لما كان الاصل فى الناس هو الحرية كما قلنا ، وعلم تواترا ، بلاد السودان الموالية لنا جلهم أو كلهم مسلمون ، واستفاض عن أهل وغيرهم انهم يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ويبيعونهم عدوانا ، ورأينا بالمشاهدة أن الجالين لهم والمتجرين فيهم انما هم من لا لهم ولا دين لهم لم يبق لنا توقف فى أن الاقدام على شراء هذا الصنف فى الشرع والمقدم عليه مخاطر فى دينه ، وأما وضع يد الجالين لهم لا تكفى شرعا فى جواز الاقدام على شرائهم منهم لضعف هذه العلامة

بما احتف بها من القرائن المكذبة لها، وليستفت المرء قلبه فقد قال صلى الله عليه وسلم « استفت قلبك وإن أفطوك » فإنه متى رجع الى قلبه في هذه المعضلة لا ولا يقدر أن يحوم حول هذا الحمى بحال ، ثم ننزل عن هذا كله ونقول : لو لم يكن في ذلك الا الشبهة القوية وفساد الزمان ورقة ديانة أهله لكان في هذه الامور الثلاثة مع ملاحظة سد الذريعة الذي هو أحد أصول الشريعة لا سيما عند الامام مالك رضى الله عنه ما يقتضى وجوب التخلي عن ملابسة هذه المفسدة المزرية بالعرض والدين ، فنسأله سبحانه أن يوفق من ولاه أمر العباد، لحسم مادة هذا الفساد ، فإن سبب الاسترقاق الشرعى الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مفقود اليوم ، وهو السبب الناشئ عن الجهاد المقصود به اعلاء كلمة الله تعالى ، وسوق الناس الى دينه الذى اصطفاه لعباده ، هذا هو ديننا الذى شرعه لنا نبينا صلى الله عليه وسلم وخلافه خلاف الدين وغيره غير المشروع والتوفيق انما هو بيد الله « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .



بناء قصر البديع بحضرة مراکش حرسها الله



قال فى « مناهل الصفا » : كان السبب الحامل للمنصور على بناء البديع وانفاقه فيه جلائل الاموال ونفائس الذخائر هو أنه أراد أن تكون لاهل البيت به مأثرة وشفوف على دولة البرابر من المرابطين والموحدين ومن بعدهم ، فان كلا من أهل تلك الدول أبقى بناء يحيا به ذكره ، ولم يكن لاهل البيت فى ذلك المعنى شىء تزداد به حظوتهم مع أنهم أحق الناس بالمجد والسؤدد الاثيل فتصدى لبنائه بقصد تشريف أهل البيت لان البناء كما قيل :

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم قبللسن البيان
لان البناء اذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن
قلت : هذا اعتذار بارد كما لا يخفى .

ولما أراد المنصور أن يشرع فيه أحضر أهل العلم ومن يتسم بالصالح فتحينوا أو ان الابتداء ووقت الشروع فيه فكان ابتداء الشروع في تأسيسه في شوال خامس الأشهر من خلافته سنة ست وثمانين وتسعمائة ، واتصل العمل فيه الى سنة اثنتين وألف . ولم يتخلل ذلك فترة . وحشد له الصناع حتى من بلاد الافرنجة، فكان يجتمع كل يوم فيه من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببعائهم ونفائس اعلائهم ، وجلب له الرخام من بلاد الروم ، فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن على ما قيل . وكان المنصور قد اتخذ معاصر السكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره الفشتالي رحمه الله « في المناهل »

وأما جبهه وجيره وباقي أبقاضه فانها جمعت من كل جهة وحملت من كل ناحية حتى انه وجدت بطاقة فيها أن فلانا دفع صاعا من جبر حملة من من تنبكو وظف عليه في غمار الناس .

وكان المنصور مع ذلك يحسن الى الاجراء غاية الاحسان ويجزل صلة العارفين بالبناء ويوسع عليهم في العطاء ويقوم بمؤن أولادهم كى لا تشوف نفوسهم وتشعب أفكارهم .

وهذا البديع دار مربعة الشكل وفي كل جهة منها قبة رائقة الهيئـة واحتف بها مصانع أخر من قباب ونصور ودور فعظم بذلك بناؤه وطالت مسافته ولا شك أن هذا البديع من أحسن المباني وأعجب المصانع يقصر عنه شعب بوان وينسى ذكر غمدان ، ويبخس الزهراء والزاهرة، ويزرى بقباب الشام واهرام القاهرة ، وفيه من الرخام المجزع والمرمر الابيض والاسود ما يحير الفكر ويدهش النظر وكل رخامة طلى رأسها بالذهب الذائب وموه بالنضار الصافى وفرشت أرضه بالرخام العجيب تحت الصافى البشرة ، وجعل في أضعاف ذلك الزليج المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل الزهر ، أو برد موشى من عمل صنعاة وتستر ، وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطلت الجدران به مع بديع النقش ورائق الرقم بخالص الجبص فتكاملت فيه المحاسن ، وأجرى بين قبابه ماء غير آسن ، وبالجملـة فان هذا البديع كان من المباني المتناهية البهاء والاشراق

المباهية لزوراء العراق ومن المصانع التي هي جنة الدنيا وقتنة المحيا ، ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف :

كل قصر بعد البديع يذم فيه طاب المجنى وطاب المشم
منظر رائق وماء نيمير وثرى عاطر وقصر أشم
ان مراكشا به قد تباهت مفخرا فهي للعلا الدهر تسمو
وبه من الاشعار المرقومة فى الاستار ، والابيات المنقوشة فى الجهات ،
على الحشب والزليج والجص ما يسر الناظر ويروق التأمل ويبهى العقول ،
وعلى كل قبة ما يناسبها ، وفى بعض القباب مفاخرة على لسانها لمقابلتها وتتبع ذلك
يطول لكن لا بأس أن نلم هنا بشمالة من ذلك الحوض ونحوض فى بحار
تلك البدائع بعض الحوض ، اذ فى ذلك عبرة لمن اعتبر ، وترويح للقلوب
بكيفية فعل الدهر بمن غبر ، فمن ذلك ما نقش خارج القبة الخمسينية لان فيها
خمسین ذراعاً بالعمل من انشاء الكاتب البليغ أبى فارس عبد العزيز الفشتالى على
لسان القبة المذكورة .

سموت فخر البدر دونى وانحط
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقى
ولاحت بأطواقى الثريا كأنها
وعديت عن زهر النجوم لانسى
وأجريت من فيض السماحة والندى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت
ينفض ما بين الغروس كأنه
حواليه من دوح الرياض خرائد
اذا أرسلت لدن الفرع وفتحت
يرنحها من النسيم اذا سرى
يشق رياضا جادها الجود والندى
وسالت بسلسال اللجين حياضه
تطلع منها وسط وسطاه دميعة
وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
ونيطت بى الجوزاء فى عنقى سطا
نثر جمان قد تتبعته لقطا
جعلت على كيوان رحلى منحطا
خليجا على نهر المجرة قد غطى
اليه وفود البحر تعرف ما أنطا
وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا
وغيد تجر من خمائلها مرطبا
جنى الزهر لاح فى ذوائبها وخطا
كما مال نشوان تشرب اسفطبا
سواء لديها الغيث أسكب أم أبطا
بحارلا غدا عرض البسيط لها شطا
هى الشمس لاتخشى كسوفها ولا غمطا

حكمت وحجاب الماء فى جنباتها
 اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها
 توسمت فيها من صفاء أديمها
 اذا استسقت بيض القباب قسلا
 تكفنى بيض الدمى فكأنها
 قدود ولكن زادها الحسن عريها
 سمت صعدا تيجانها فتكسرت
 فيالك شأوا بالسعادة آهلا
 وكعبة مجد شادها العز فانبرت
 ومسرح غزلان الصريم كناسها
 فلكن به ما طاب لا الاثل والخطا
 ثراه من المسك الفتيت مدبر
 وان باكرته نسمة يسرى بها
 أقرت له الزهراء والخلد وانشت
 جنب رواق المجد فيه مطنّب
 امام يسير الدهر تحت لوائه
 وفتح أقطار البلاد بفيلق
 تطلع من خرصانه الشهب فانشت
 كتاب نصران جرت للممة
 اذا ما عقود راية علوية
 فما للسما تلك الالهة انما
 يطاوع أيدي المعلوات عنانها
 يد لامير المؤمنين بكفها
 أدار جدارا للعلا وسرادقا
 وقال أيضا مما كتب بداخل القبة المذكورة :
 جمال بدائعى سحر العيون
 ورونق منظرى بهر الجفون
 سنا البدر حل من نجوم السما
 على جسمها ألقى نهرا بها لطا
 نقوشا كان المسك ينقطها نطا
 فانى لها فى الحسن درتها الوسطا
 عذارى نضت عنها القلائد والريطا
 وأجمل فى تنعيمها النحت والخرطا
 قوارير أفلاك السماء بها ضغطا
 بأكافه رحل العلا والهدى حطا
 تطوف بمغناها لامانى الورى شوطا
 حنايا قباب لا الكيب ولا السقطا
 ووسدن فيه الوشى لالسدروالارطا
 اذا مازجته السحب عادبها خلطنا
 الى كل أنف عرف غيره قسطا
 أووين كسرى الفرس تغبطه غبطا
 على خير من يعزى لخير الورى سبطا
 وترسى سفائن العلا حيثما حطا
 يفلق هامات العدا بالطبي خطا
 ذوائب أرض الزنج من ضوءها شمطا
 جرت قبلها الأقدار تسبقها فرطا
 جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا
 سنايكها أبقت مثالا بها خطا
 فيعتاض من قبض الزمان بها بسطا
 زمام يقود الروم والفرس والقبطا
 يحوط جهات الارض من رعيه حوطا

وقد حسنت بقوسى واستطارت
وأطلع سمكى الاعلى نجوما
وجوى من دخان الند ألقى
علوت دوائر الافلاك سبعا
فصنعت من الالهة والحنايا
تكنفى حياض مائجات
يقيد حسننها الطرف انفسا
تدافع نهرها نحوى فلما
وقد نشر الحجاب على سماها
فخرت وحق لى لما اجتبانى
هو المنصور حائز خصل سبق
وليث وغى اذا زار امتاعا
اذا أمت كتابه الاعدادى
يدير عليهم من كل حرب
امام بالمغرب لاح شمسنا
بقيت بذى القصور الغر بسدرا
تحف بكم عواكف عند بساى
لك البشرى أمير المؤمنين اد
وقال أيضا مما كتب فى بهوها بمزمر أسود فى أبيض :

لله بهو عز مه نظير
رصفت نقوش حلاه رصف قلائد
فكأنها والتبر سال لخالها
وكان أرض قراره ديباجة
واذا تصاعد نده نوا ففى
شاو القصور قصورها عن وصفه
فاذا أجلت اللحظ فى جنباته
لما غدا كالروض وهو نظير
قد نضدتها فى النحور الحور
وشى وفضة تربها كافور
قد زان حسن طرازها تشجير
أنماطه نور به ممطنور
سيان فيه خورنق وسدير
يرتد وهو بحسنه محسور

وكان موج البركتين أمامه
صفت بفضتها تماثل فضة
فقدير من صفو الزلال معللا
ما بين آساد يهيج زئيرها
ودحت من الانهار أرض زجاجة
راقت فمن حصائنها وفواقع
ياحسنه من مصنع بهـاؤه
وكانما زهر الرياض بجنبه
ولدسته الاسمى تخير رصفه
ملك أناف على الفراقد رتبة
قطب للخلافة تاج مفرق دولة
وجرى الى أقصى العراق لرعبها
نجل النبي ابن الوصى سليل من
بحر الندى لكنه متموج
طود يخف حلمه ووقاره
دامت معاليه ودام ومجده
وتعاهدته من الفتوح بشائره
ما زال منزل معده يرتاده
وجرت به مرحا جياذ مسرة

حركات سحب صافحته دبـور
ملك النفوس بحسنها تصوير
يسرى الى الارواح مه سرور
وأساود يعلو لمن صفير
وأضلها فلك يضيء منير
يطفؤ عليها اللؤلؤ للنشور
باهى نجوم الافق وهى تنور
حيث التفت كواكب وبـدور
فخر الورى وامامها المنصور
وأقله فوق السماك سريـر
رميت بجحفلها اللهام الكـور
جشيت على جسر الفرات عبور
حقن الدماء وعف وهو قدبر
سيف العلا لكنه مطـرور
ولجيشه يوم النزال ثبير
طوق على جيد العلا مـزورور
يغدو عليه بها مسا وبكـور
نصر يرف لواؤه المنشور
وأدار كأس الانس فيه سـمير

وقال بعض الكتاب مما نقش فى عضادتي باب القبة الخمسينية المذكورة
يا ناظرا بالله قف وتأمل وانظر الى الحسن البديع الاكمل
ولاذا نظرت الى الحقيقة فلتقل السر فى السكان لا فى المنزل

وقال بعض الكتاب ايضا مما طرزت به الاستار المذهبة المحكمة الصنعة
لتستر بها النواحي الاربع من القبة الخمسينية وتسمى هذه الاستار عند أهل
المغرب بالحائطى ففى الجهة الاولى :

وأدر على حسنى حميا الكاس
لم تغذى بالعارض البجاس
ملى وان يجرى على مقياسى
تأوى الى كفى ظباء كناس

تزرى بفصن البانة الميــــــــاس
ونظرت من شزر الى الكناس
فخرا بمخترعى أبى العباس
بقتى سواء مراتب وكــــــــراس

ورماهم بالذل والاعتــــــــاس
ليث الحروب مسعر الاوطاس
قطب الجمال أخو الندى والباس
منه الوهاد بعاطر الانفاس

يعشى سناه نواظر الجلاس
أبهى من الاعياد والاعراس
ويقيم منباه على الاساس
درر الندى فى جيده الميــــــــاس

وقال ابو فارس الفشتالى مما كتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعه
على القبة الخضراء من بديع المنصور ، وكان انشأها فى جمدى الاولى من
سنة خمس وتسعين وتسعمائة :

وأرض النديم أهله وشموسا
تلق الفراق فى حماى جلوسا
لا ترضى غير النجوم جليسا
منى على بسط الرياض عروسا

متع جفونك فى بديع لباسى
هذى الربا والروض من جرعائها
انى لروض أن يروق بهاؤه
فالروض تغشاه السوام وانما
وفى الجهة الثانية :

من كل حسنا كالقضب اذا انشئ
ولقد نشرت على السماك ذوائبى
وجررت ذيلى بالمجرة عابسا
ما نيط مثلى فى القباب ولا ازدهت
وفى الجهة الثالثة :

ملك تقاصرت الملوك لـــــــــزه
غيث المواهب بحر كل فضيلة
فرد المحاسن والمفاخر كلها
ملك اذا وافى البلاد تأرجت
وفى الجهة الرابعة :

واذا تطلع بدره من هالة
أيامه غرر تجلت كلها
لا زال للمجد السنى يشده
ما مال بالغصن النسيم وكللت

وقال ابو فارس الفشتالى مما كتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعه
على القبة الخضراء من بديع المنصور ، وكان انشأها فى جمدى الاولى من
سنة خمس وتسعين وتسعمائة :

باكر لدى من السرور كؤسا
واعرج على غرقى المنيف سماؤها
واذا طلعت بأوجها قمر العلا
شرق القصور بريقها لما اجتلت

واعترضت بالمنصور أحمد ضيغما وردا تخير من بديعي خيسا
ملك أرى كل الملوك ممالكها لعلاه والدنيا عليه جيسا
وهناك يا شرف الخلافة دولة تلقى برايتها طلائع عيسا

وقال ايضا مما كتب فى بعض المباني البديعية :

معاني الحسن تظهر فى المغانى ظهور السحر فى حدق الحسان
مشابه فى صفات الحسن أضحى تمت بها المغانى للغوانى
بكل عمود صبح من لجين تكون فى استقامة خوط بان
مفصلة القدود مثلثات مواصلة العناق من الـدان
تردت سابرى الحسن يزرى بحسن السابرى الخسروانى
وتعطو الخيزرانة من حماها بسالفه القطيع البرهمانى
لمجدك تنتمى لكن نماها الى صنعاء ما صنع الـيدان
يدين لك ابن ذى وزن ويعنو لها غمدان فى أرض الـيمانى
غدت حرما ولكن حل فيها لو فكم الامان مع الامانى
مبان بالخلافة آهلات بها يتلو الهدى السبع المثانى
هى الدنيا وساكنها امام لاهل الارض من قاص وداسى
قصور مالها فى الارض شبه وما فى المجد للمنصور ثانى

وقال مما نقش فى بعض الابواب :

هذى وفود السعد نحوى ترتضى وطلائع البشرى لبابى تنتمى
وسمت الى عفاة عرفك مثل مله يسمو الحجيج الى سقاية زمزم
حطت بمصراعى السعود بشائرا لاحت على الشرفات مثل الانجم
وأوان صنعى أن تقول ولا تبلى بيديع أحمد جنة المتنعم
وقال الفشتالى لا عرضت عليه هذه الايات استحسناها الا أنه كره لفظة
جنة وتغير منها كثيرا ، وقال الوزير الاديب أبو الحسن على بن منصور
الشيظلى مما كتب على مباح قبة الزجاج :

ان شئت تاريخ اكمال البديع فقل ايوان أحمد ايوان السعادات

وقال الوزير المذكور مما نقش على أحد ابواب البديع :

باب أنى كبراعة استهلال وكأنما انقصر القصيد التالى
ولذاك سمى بالبديع وجاء بال اغراق والتجنيس والايفال
وأنى التمام نقلت فى تاريخه بيتا بلا عقد ولا اشكال
صرح على تقوى من الله انبنى فى طالع للسعد والاقبال
وقال أيضا فى تمام البديع مهنثا :

يا مليكا ملكه فيمن ملك كطلوع الفجر من بعد الحلك
تم هذا القصر فاسكنه على حسن حال بدوام الملك لسك

وكان الفراغ من تمام البديع سنة اثنتين وألف ، وفى تاريخه يقول
الوزير المذكور وهو مما نقش باب الرخام أحد ابواب البديع :

الحسن لفظ وهذا القصر معناه ياما أميلح مرآه وأبهاه
فهو البديع الذى راقت بدائعه وطابق اسم له فيه مسماه
صرح أقيمت على التقوى قواعده ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضا وعين الحفظ تكلاه تاريخه من تمام قل هو الله

قال فى نفح الطيب : « اخترع المنصور من المصانع ثلاثة أشياء فجاءت
غريبة الشكل بديعة الحسن ، وهى : البديع ، والمسرة ، والمشتهى ؛ وفيهما
يقول المنصور موريا :

بستان حسنك أبدعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصنك بالمسرة ينتهى يا حسن رمان به للمشتهى « اه

قال اليفرنى : والذى ذكره صاحب كتاب البيان المغرب عن أخبار
المغرب ، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عذارى الاندلسى حسبما رأيت
فى السفر الثانى منه : « أن أول من أنشأ المسرة التى بظاهر جنان الصالحية
عبد المؤمن بن على كبير الموحدين ، قال : « وهوبستان طوله ثلاثة أميال وعرضه
قريب منها فيه كل فاكهة تشهى وجلب اليه الماء من أعماق واستنبط له عيوننا
كثيرة » .

قال ابن اليسع : « وما خرجت أنا من مراکش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة الا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفاكهة بمراكش » اه ولعل المنصور جدد معالم المسرة بعد اندراسها ، وأفاض سجال الحياة على ميت غراسها ، وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا وينوه بقدره ، وفي ذلك يقول أبو فارس الفشتالي :

هذا البديع يعز شبه بدائع أبدعتن به فجاء غريبا
أضى الغزاة حسنه حسدا له أبدى عليها للاصيل شحوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذ رأأت زهر الرياض به ينور عجيا
شيدتهن مصانعا وصنائعا أنجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجريت في كل الفخار لغاية أدركتهن وما مسست لغوبا
فانعم بملكك دام فيه مؤبدا تجنى به نمن النعيم رطيبا

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ من تنميق برده وتطريز حلتته صنع مهرجانا عظيما ودعا الاعيان والاكابر فقدم لهم من ضروب الاطعمة وصنوف الموائد ، وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم يعهد منه قبل ذلك ، وكان ممن دخل في غمار الناس رجل من الهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح في الوقت فقال له المنصور مباسطا : « كيف رأيت دارنا هذه يا فلان ؟ » فقال له : « اذا هدمت كانت كدبة كبيرة من التراب ، فوجم لها المنصور وتطير منها . وتحكى هذه الحكاية عن غير المنصور فالله أعلم .

قال اليفرنى : وقد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى اسمعيل ابن الشريف فانه أمر بهدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف لموجب يطول شرحه فهدمت معالمه ومحيت مراسمه ، وفرق ما كان به من جموع الانس ، وعاد حصيدا كان لم يغن بالامس ، حتى صار مرعى للكلاب والمواشي ووكرا للصدى والبوم ، وحق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه ، ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب الا ودخله شيء من أنقاض البديع ، ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخى الاندلس : أن الزاهرة التى بناها المنصور بن أبى عامر ، وهى من عجائب الدنيا ، مر عليها فى أيام المنصور بعض أهل البصائر وهى فى نهاية

العمران والازدهاء بسكانها ، فقال : « يادار فيك من كل دار فجعل الله منك
فى كل دار ، قال : « فضرب الدهر ضرباته وسلط عليها أيدى العدوان فهدمت
وخربت وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض أنقاضها الى العراق .

قال اليفرنى : ولما دخلت البديع مقفلى من الرحلة ورأيت ما هائلى
أنشدت أبياتا أنشدها الشيخ محبى الدين بن عربى فى كتاب المسامرة لما دخل
الزاهرة فوجدها متهدمة وهى :

ديار بأكناف الملاعب تلمع وما أن بها من ساكن فهى بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب فتصمت أحيانا وحيثا ترجع
فيخاطبت منها طائرا متفردا له شجن فى القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأنشدت ما أنشده ابن الأبار فى تحفة القادم :

قلت يوما لدار قوم تفانوا أين سكانك الكرام علينا
فاجابت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست أعلم أيننا

ثم قال اليفرنى رحمه الله :

لطيفة : تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة
وسبعة عشر ، وهذا القدر هو الذى بقى فيه البديع قائما ، فانه فرغ منه سنة
اثنين وألف ، وشرع فى هدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف ، فمدة عمره
مائة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه وذلك من غريب الاتفاق فسبحان من
دقت حكمته ، وجلت قدرته ، وعمت رحمته ، لا اله الا هو الحكيم العليم .

ثورة الناصر بن السلطان الغالب بالله ببلاد الريف ومقتله



كان للناصر هذا في حياة أبيه عبد الله الغالب بالله خليفته على تادلا ونواحيها ، ولما توفى أبوه المذكور وقام بالامر أخوه المتوكل كما استوفينا خبره قبض على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلا عنده سائر أيامه الى أن قدم المعتصم بجيش الترك وانتزع الملك من يد المتوكل كما مر : فسرّح الناصر من اعتقاله وأحسن اليه ، فلم يزل عنده في ارغد عيش الى أن توفى المعتصم يوم وادي المخازن . وأفضى الامر الى المنصور ففر الناصر الى آصيلا ، وكانت للنصارى يومئذ ، ثم عبر البحر منها الى الاندلس فكان عند طاغية قشتالة مدة طويلة الى أن سرحه الطاغية الى المغرب بقصد تفريق كلمة المسلمين واحداث الشقاق بينهم ، فخرج الناصر بمليية ونزل بها ثلاث مضت من سبعان سنة ثلاث وألف ، وتسامعت به الغوغاء والظلام من أهل تلك البلاد فأقبلوا اليه يزفون ، فكرت جموعه وتوفرت جيوشه واهتز المغرب بأسره لذلك .

وذكر اليفرنى في « الصفوة » : « أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القصار كتب كتابا الى الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن علي بن ريسون من أهل بلاد غمارة وكان مسموع الكلمة بها يحضه على الاستمسك بدعوة المنصور وأن يلزم الطاغية له ، فوقع الكتاب في يد المنصور فعرف للشيخ القصار حقه ، ولما فد عليه بعد ذلك وصله وولاه الفتوى والخطبة بجامع القرويين وتفرقة صدقة المساكين » .

ثم ان الناصر خرج من مليية قاصدا تازا فدخلها واستولى عليها ونزعت اليه القبائل المجاورة لها كالبرانس وغيرهم ، فتألبوا عليه وغالوا على اعزازه ونصره ، ولما دخل تازا طالب أهلها بالمكس وقال لهم : « ان النصارى يغرمون حتى على البيض » . ولما سمع المنصور بخبره ألقاه ذلك وتخوف منه غاية ، لان الناصر لاهتز المغرب لقيامه وتشوقت النفوس اليه لميل القلوب عن المنصور لشدة وطائه واعتسافه للرعية ،

قال فى « ابتهاج القلوب » فى ترجمة الولى الصالح أبى الحسن على بن منصور البوزيدى المعروف بابى الشكوى دفين شالة : « انه كان سائرا يوما على بغلة ومعه أصحابه فقال لهم : « ياقراء أسمعون ما تقول بغلتى ؟ انها تصيح بالنصر لمولاي الناصر وكذلك الشجر والحجر وانى أرى غير ذلك » فكان الامر كما قال ؟ اهتز لقيام الناصر كل شىء ثم قتل عن قريب ولم يتم له أمر ، اه ثم ان المنصور بعث اليه جيشا وافرا فهزمهم الناصر واستفحل أمره وتمكن ناموسه من القلوب ، فأمر المنصور ولى عهده المأمون بمنازلته فخرج اليه من فاس فى تعبئة حسنة وهيئة تامة فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على الناصر بالموضع المعروف بالحاجب ، ومرت على وجهه فاحتل بالجاية ، بلدة من عمل بلاد الزيب ، فلحق به ولى العهد فلم يزل فى مقاتلته الى أن قبض عليه فأزال رأسه وبعث به الى مراكش . وكان ذلك سنة خمس وألف ، وقيل سنة أربع وألف . قال فى « نشر المثنى » : « كان مقتل الناصر وادخاله مقطوع الرأس الى فاس يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان سنة أربع وألف وهو الاصح » وذكر الشيخ أبو على اليوسى فى « المحاضرات » ما نصه : « حدثوا عن صلحاء تادلا : أنه لما قام على السلطان أحمد المنصور ابن أخيه الناصر قال الشيخ أبو العباس أحمد بن أبى القاسم الصومعى : « ان الناصر يدخل تادلا » يعنى دخول الملك فلما بلغ الخبر الى الشيخ أبى عبد الله محمد الشرقى التادلى قال : « مسكين بابا أحمد رأى رأس الناصر قد دخل تادلا فظنه الناصر يدخلها » فكان الامر كذلك فانه هزم فى نواحي تازا ثم قطع رأسه وحمل الى مراكش فدخل تادلا فى طريقه ، اه .

ولما قتل الناصر سر المنصور بذلك وأتته الوفود للتهنئة وقال الشعراء فى ذلك منهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوى قال :

تهدأ أمير المؤمنين فقد جسرت	بسطوتك الاقدار جرى السوابق
أضأت لك الايام واحلولكت على	عدوك وارتجت رؤوس الشوايق
وذاك الذى قد خيب الله معده	تردى فلم تنفعه نصرة مسارق
فكان كما قد قيل لكن رأسه	أنى سابقا والرجل ليست بسابق

ضمن قول بعضهم فى الوزير ابن الفرس وقد رآه مصلوباً منكوس الرأس :
لقد طمّح المهر الجموح لغاية تقطع أعناق الجياد السوابق
جرى فجرت رجلاه لكن رأسه أتمى سابقاً والرجل ليست بسابق
وكتب المنصور بخبر هذا الفتح الى الأفاق .

فمما كتبه للشيخين الامامين أبى عبد الله محمد زين العابدين البكرى ،
وأبى عبد الله محمد بدر الدين القرافى رسالة يقول فيها ما نصه :
«من عبد ربه المجاهد فى سبيله أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين الحسنى،
الى الفاضل الذى اعتجر بالتقوى وهو زين العابدين، وتحلى بحلى المعارف الربانية
وتلك حلى العارفين، والسالك الذى برز فى الطريقة ، وسلك على المجاز الواضح
الى الحقيقة ففات شأو السابقين ، والمعارف الذى تجرد عن رعونة الاهواء
الفسانية ، فكان سلوكه على التجريد الى حضرة الواصلين الشيخ العالم الحجة
الوافى، السيد بدر الدين القرافى، والشيخ العارف الواصل، السر الكامل ،
سلالة العلماء ، سبط الفضلاء ؛ أبى عبد الله زين العابدين بن الشيخ السامى
المقام ، قطب المشايخ الاعلام ، فخر علماء الاسلام ، الشهير البركة فى الانام ؛
أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن الصديق ، أبواقما الله وأرواحكما تعطر
برياحين الانس فى حضرة القدس ، وتنسم النفحات الهابة من رياض المشاهدة
الى مدارج الانس ومعارج النفس ، وسلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته .
وبعد حمد الله مفيض انوار غناية احمد على صاحبه الصديق ، مظهر
كنوز المعارف الربانية جيلاً بعد جيل من بيت عتيق ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى اختار لمراقفته صاحبه فى الغار والعريش والطريق ،
والرضا عن آله أئمة الخلق وسيوف الحق ، وأصحابه الذين فاضت أنوار هدايتهم
على الغرب والشرق وبركتهم انتسق لنا الفتح انتساق الاسلاك وبفضلهم يعلم
سعدنا على الكفر علو القطب على دائرة الافلاك ، فكتبنا هذا اليكم من حضرتنا
مراكش حاطها الله ، وصنع الله لها مفعماً للسجالات وواسع المجال، وعزمتها الماضية
تبعث الى العدا رسل الاوجال ، والايام بعز صولتها ويمن دولتها بهذه المغارب
باسمة الثغور ، مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملأه الدهر»

هذا وأنه اتصل بعلي مقامنا كتابكما الذي صدحت على أفنان البلاغة سواجعه ، وعذبت في موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه ، ولطفت في كل معنى من المعاني أفانيه ومنازعه ، وتألفت على الاجادة في كل مقصد من المقاصد مواصله العذبة ومقاطعته ، وأينعت بأزهار العناية الربانية لباطجه النفيح وأجارعه ، ومعه المنظومات التي سحت بالحكم ديمها ، ورسا في البلاغة قدمها ، وربا في منبت المواهب الربانية يراعها الفصيح وقلمها ، وحل من نفوسنا موقعها العجيب محلا من دونه الثريا في مطلعها ، والبدر ليلة تمامه اعجابا بها وتنويها بمهديها ، وابتهاجا بالخوارق التي أطلق الله على لسان مبيديها ، والى هذا فليحط علمكما بان مقامنا تنفق فيه على الدوام ان شاء الله نفائس بضائعكم ، وتنمو فيه مع الايام سعود مطالعكم ، وتسمو فيه على كل مقام مقاماتكم ، وتستوضح فيه على المحبة الصميمة لاماراتكم الواضحة وعلاماتكم ، فعلى هذا تنعقد منكم الخاضر ، وتشتد الاواخي والاواصر ، بعز الله ومنه ، ثم مما نستطرد لكم ذكره على جهة البشرى ، واهداء المسرة الكبرى ، اعلامكم أن عدو الدين طاغية قشتالة الذي هو اليوم العدو الكبير للإسلام ، وعميد ملل التلث وعدة الاصنام ، لما أنس من تلقاء جنابنا نار العزم تلتهب منا التهابا ، وبحر الاحتفال تضطرب أمواجه الزاخرة بكل عدد وعدة اضطرابا ، وهمنا قد همت بتجديد الاسطول ، والاستكنار من المراكب المتكفلة للجهاد ان شاء الله بقضاء كل دين مطول ، وعلم أن الحديث انيه يساق ، والى أرضه بالحسف والتدمير بحول الله يهفو كل لواء خفاق ، رام خذله الله مكافأنا على ذلك بما أمل أن يفت به في عضدنا الاقوى ، وعزمنا الذي بعناية الله يزداد ويقوى ، فرمى بمخذول من أبناء أخينا عبد الله كان ربي لديه ، وطوحت به الطوائج منذ ثمانية عشر عاما اليه ، الى مليلية احدى الثغور المصاوبة لغرب ممالكنا الشريفة التي الى كفالة ولدنا وولى عهدنا كافل الأمة من بعدنا ، الامير الاجل الارضى ، حارم العزم المنتضى ، وحسام الدين الامضى ، أبى عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وصل الله لرايته التأييد والظهور ، والعز الذي يستخدم الايام والدهور ، فالتف عليه من اغتر بأباطيله الواهية البناء ، من أوباش العامة والفوغاء ، ومن قضى له من أجناد تلسك

الناحية بالشقاء ، جموع تكاثر الرمل ، وتفوت الحصا والنمل ، لاح بها للشقى
 خلب بارق أكذبه أميته ، اذ صدقته منيته ، فصمم نحوه ولدنا أعزه الله
 بجنود الله التى انيه ، وبساكر تلك الممالك التى ألقينا زمام تدبيرها فى
 يديه ، فما راع الشقى الا انقضاضه عليه من الجوا انقضاض الاجدل ، وتصميمه اليه
 بعزائم تدك الطود وتفلق الصخر والجدل ، فاستولى عليه بحمد الله للحين ،
 وعلى جموعه الاشقياء فى يوم أغرم حجل ، وساعة أنزل الله فيها على الخوارج
 المارقين العذاب المعجل ، فاستأصلتهم الشفار ، وحصدت هشيمهم المصوح
 ألسنة النار ، وقبض على الشقى فى يوم كان شفاء للصدور ، ومنزها لحملة
 السيوف وربات الخدور ، وأحرز الله تعالى فخر هذا الفتح العظيم ، والمن
 الجسيم ، لولدنا أعزه الله عز وجل فى خاصة أجناده ، ونهض وحده بأعبائه
 ونحن على سرير ملكنا وادعون مطعمون ، وأجنادنا فى اوطارنا لاهون
 ومفتنون ، فلم يحتج الى اسجاده من قبلنا ولا امداده ، والعاقبة للمتقين ،
 والحمد لله حمد الشاكرين ، وعرفناكم لتأخذوا بحظكم من السرور بهذه
 البشرى التى سرت الاسلام ، وساءت بحمد الله عبدة الاوثان والاصنام ،
 وتعلموا مع ذلك ما عليه الاحوال اليوم بحول الله لدينا من خفق رايات العزم
 وشحد آراء الحزم ، وأعمال عوامل الجزم الى مجازاة عدو الدين ان شاء الله
 على فعلته التى عادت عليه أسفا ولهفا ، واعادة ما كان أسلف من ذلك ان شاء
 الله بالمكيال الاوفى ، وقدمنا اليكم التعريف لتمدونا ان شاء الله بأدعيتكم
 الصالحة فى أوقات الاجابة ، وتحرصوا على التماسها هنالك وبالحرمين
 الشريفين من كل ذى خضوع واناية ، أن يؤيدنا الله على عدو الدين بفضلته ،
 وينجز لنا وعده الصادق فى اظهار دين الحق على الدين كله ، ويسهل علينا
 بفضلته ومعونته أسباب فتح الاندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله
 الدرس ، حتى ينطق لسان الدين فى أرضها بكلمة الله التى طالما سكنت عنها
 نداؤه وخرس ، وشرق بريقه ففص وخنس ، فييده الحول والقوة ، وعنايته
 العناية المرجوة ، ثم نوصيكم بحسن الوقوف مع أصحابنا فيما يشتري من الكتب
 العلمية برسم خزانة الكريمة بالامامية العلية ، ثم الاتحاف بذيوان الشيخ

والدكم التماسا لجميل بركاته ، وتمسكا بما سبق من الاجازة العامة فى سائر منظوماته وموضوعاته ومروياته ، وهذا موجه اليكم ، وللسلام الاتم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته ، فى ربيع البوى سنة خمس وألف ١١٠٠هـ . وهذه الرسالة من املاء المنصور على ما قيل .

ومما كتب به أيضا بخط يده الى سلطان مكة والمدينة والحجاز الشريف أبى المحاسن حسن بن أبى ندى بن بركات ما نصه :

من عبد الله المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أحمد أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنى الى الاصلة التى تبججت من ذؤابة هاشم فى صميمها ، وتوغلت من غرفات حرمة الله بين زمزمها وحطيمها ، وتمتعت من عرارة نجد باتشاق نفحاتها الاربعة وشميمها ، اصالة السلطان الاثيل الاثير الاسنى الاسمى الازكى السلطان حسن بن أبى ندى أبقاكم الله والبيت ذو الاستار تقياًون ظلاله ، وتلثمون من الحجر الاسود الاسعد خاله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى أعز هذه المثابة العلوية ، الامامية النبوية ، والعزيزة الانصار ، السامية المحتد والنجار ، الساحبة أذيال عزها الوريث الظلال على أهل البيت السامى المقدار ، سكان الحمى والذين تسوأوا الدار ، والصلاة والسلام على مولانا محمد الذى أطلع شمس الهداية الساطعة الانوار والرضا عن آله الذين تتضاءل لمجدهم السامى المنار الشموس والاقمار ، وعن أصحابه الذين استأصلوا شأفة الكفر بمواضى الشفار وصلة الدعاء لهذا المقام العلى الامامى المصورى الحسنى بنصرتجنى الفتوح من قصب رماحه، وتجرى الاقدار على وفق اقتراحه ، فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراكش حاطها الله ووسع لها المجال فى ميادين السجال والايام بعز صولتها ويمن دولتها بهذه المغارب باسمه الثغور ، مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملاءة الدهور ، بعز الله وعنايته . هذا وان شيخ الركب المغربى وهو المرباط الخير الحاج محمد بن عبد القادر لما أزمع الى المعاهد الشريفة الرحيل لتجديد رسم الطاعة الذى ليس بعاف ولا محيل ، وهب له من محارم الله نسيم يميل ،

وآن للمطايا أن تعمل الوخذ والذميل ، مد الى على مقامنا أكف الرغبة فى كتاب كريم يتشرف بحمله ، ويتعرف منه السعادة بحول الله فى مرتحله وحله ، يتضمن الايصاء به اليكم فى المورد والمصدر ، ومدة مقامه من جواركم بحرم الله تجاه البيت والمشرع ، فحملناه هذه العجالة لترعوا له ان شاء الله عنهما الحق المعبر ، وتولوه من جانبكم بما يصدق به الخبر ، وتدنوا له من آماله قطوف كل فن مهتصر ، ومما نكلفكم النهوض لاجل حقوق الاخوة باعبائه ونطالبكم لوشائج الرحم بالاعتناء بأدائه التماس الدعاء مع الاحيان تجاه البيت الحرام وعند الملتزم والمقام ان يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله ، وينجز لنا وعده الصادق فى اظهار دينه على الدين كله ويسهل علينا بفضله ومعوته أسباب فتح الاندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله الدرس ، حتى ينطق لسان الدين فيها بكلمات الله التى طالما سكنت عنها نداؤه وخرس ، وشرق بريقه ففص وخس ، فذلك دعاء لا يرد لانه جرى من أهله فى محله ومعاد السلام الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى . وقوله حتى ينطق لسان الدين فيه تورية بآبن الخطيب رحمه الله .



ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم واعتنائه بسائر الاعياد



قال الفشتالى : « كان ترتيب المنصور فى الاحتفال بالمولد النبوى الكريم أنه اذا طلعت طلائع شهر ربيع الاول صرف الرقاع الى الفقراء أرباب الذكر على رسم الصوفية والمؤذنين النعارين فى الاسحار فيأتون من كل جهة ويحشرون من سائر حواضر المغرب ، ثم يأمر الشماعين بتطريز الشموع واتقان صنعها فيتبارى فى ذلك مهرة الشماعين من كل ما يبارى التحل فى نسج أشكالها لطفا ولادماجاً فيصوغون أنواعاً من التسميع التى تحير النواظر ولا تذبل زهورها النواضر فاذا كان ليلة المولد تهيأ لحملها وزفاف كواعبها الصحافون المحترفون بحمل خدور العرائس عند الزفاف فيتزينون لذلك ويكونون فى أجمل شارة

وأحسن منظر ويجتمع الناس من أطراف المدينة كلها لرؤيتها، فيمكنون إلى حين
يسكن حر الظهيرة وتجنح الشمس المغرب فيخرجون بها على رؤوسهم كالعداري
يرفلن في حلل الحسن، وهي عدد كثير كالنحل، فيتسابق الناس لرؤيتها
وتمتد لها الاغناق، وتبرز ذوات الخدور ويتبعها الاطبال والابواق، وأصحاب
المعازف والملاهي حتى تستوى على منصات معدة لها بالايوان الشريف فتصطف
هنالك فإذا طلع الفجر خرج السلطان فصلى بالناس وقعد على أريكته وعليه حلة
البياض شعار الدولة، وأمامه تلك الشموع المختلفة الالوان من بيض كالدمي
وحمر جلبي في ملابس أرجوان وخضر سندسية واستحضر من أنواع الحسك
والمباخر ما يلهي المحزون ويدهش الناظر، ثم دخل الناس أفواجا على طبقتهم
فإذا استقر بهم المجلس تقدم الواعظ فسرّد جملة من فضائل النبي صلى الله عليه
وسلم ومعجزاته وذكر مولده ورضاعه وما وقع في ذلك باختصار، فإذا فرغ
اندفع القوم في الاشعار المولدات، فإذا فرغوا تقدم أهل الذكر المزمعون
بكلام الششتري وأشعار الصوفية، ويتخلل ذلك نوبة المشدين للبيتين، فإذا
فرغوا من ذلك كله قام شعراء الدولة، فيتقدم قاضي الجماعة الشاطبي بلبل
منابر الجمع والاعادي فينشد قصيدة يفتتحها بالتغزل والنسيب، فإذا تم تخلّص
مدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده،
فإذا قضى نشيده تقدم الامام المفتي المولى أبو مالك عبد الواحد الشريف فينشد
قصيدته على ذلك المنوال، فإذا فرغ تلاه الوزير أبو الحسن علي بن منصور
الشيظمي، ثم تلاه الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، يليه الكاتب محمد
ابن علي الفشتالي، يليه الاديب محمد بن علي الهوزالي النابغة، يليه الاديب
الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المسفيوي، فإذا طوى بساط القصائد نشر
خوان الاطعمة والموائد فيبدأ بالاعيان على مراتبهم ثم يؤذن للمساكين فيدخلون
جملة فإذا انقضت أيام المولد الشريف برزت صلات الشعراء على أقدارهم،
هكذا كان دأبه في جميع الموالد، ولا يحصى ما يفرغ فيه من انواع الاحسان
على الناس، اه من كتاب « مناهل الصفاء » .
وقال صاحب « النفحة المسكية » « في السفارة التركية : وهو العلامة

المشارك أبو الحسن على بن محمد التامجروتى : « حضرت المولد الشريف بعد القفول من بلاد الترك فاستدعى المنصور الناس لايوانه السعيد، واستدخلهم لقصره البديع المشيد . المحتوى على قباب متقابلة عالية وقد مد فيها من فرش الحرير ، وصنت النمازق وتدلت الاستار والكلل والحبال المخصوصة بالذهب على كل باب قبه وحنية سرير ، ودار على الحيطان حائطيات الحرير التى هى كازهار الخمائل مارثيت قط فى عهد الاولئ ، وتلك القباب مرفوعة الجوانب، على قواعد وأساطين من رخام مجزع مطلية الرؤس بالذهب الذائب ، مفروش جلها بالمرمر الابيض مخططا بالسواد يتخلل ذلك ماء عذب ، فيدخل الناس على طبقاتهم وياخذ كل مرتبه من قضاة وعلساء وصلحاء ووزراء وقواد وكتاب وأصناف الاجناد ، فيخيل لكل منهم أنه فى جنة النعيم ، والسلطان جالس فى فاخر ملابسه تعلوه الهيبة والوقار ، وترمقه الابصار بالتعظيم والاكبار، ويجلس من عادته الجلوس ويقف على رأس السلطان الوصفان والعلوج وعليهم الاقية المخصوصة والمناطق المرصعة والحزم المذهبة مما يدهش الناظر ، وركز أمامهم الشمع الملون وأذن لعامة الناس فدخلوا من أصناف القبائل على أجناسها من الاجناد والطلبة ، وسكنت بعد حين الجلبة وأوتى بأنواع الطعام فى القصاع المالقية والبلنسية المذهبة والاولانى التركية والهندية، وأوتى بالطسوس والاباريق وصب الماء على ايدى الناس ، ونصبت مباخر العنبر والعود وأبرزت صحائف الفضة والذهب واغصان الريحان الغض فرش بها البساط ورش من ماء الورد والزهر، وأنشدوا قصائد وتكلم المنشدون وأحسن اليهم السلطان ثم ختموا المجلس بالدعاء للامير . واذا كان يوم السابع يكون ترتيب أبداع من الاول ، وهذه سيرته دائما ، اه .

وهكذا كانت سيرته فى شهر رمضان عند ختم صحيح البخارى وذلك أنه كان اذا دخل رمضان سرد القاضى وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخارى وهى عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا فى كل يوم سفرا الا يوم العيد وتاليه ، فاذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخارى وتهى له السلطان أحسن تهىء ، الا أن العادة الجارية عندهم فى ذلك أن القاضى

يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ، ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل ، ويلقى من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له ولا يزالون في المذاكرة فإذا تعالى النهار ختم المجلس ، وذهب القاضي بالسفر فيكمله سردا في بيته ، ومن الغد يتدى سفره آخر ، وهكذا والسلطان في جميع ذلك جالس قريب من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع .

قال الفشتالي : « وكان المنصور يعطى أموالا لذوى الحاجات عند انقضاء رمضان ، ويقيم مهرجانا يوم عاشوراء لختان أولاد الضعفاء ، وكل من ختن منهم أعطى أدرا من كان وحصة من الدراهم وسهما من اللحم » اه .
وأما ترتيب جيش المنصور وعادته في أسفاره فسنذكرها في الفصل بعد هذا ان شاء الله ، ولتذكر بعض القصائد الميلادية التي أنشدت بمجالس المنصور حسبما تقدمت الإشارة إليه ، فمن ذلك قول القاضي أبى القاسم بن على الشاطبي رحمه الله :

ما بال طيفك لا يزور لاما	وبمنحني الاحشا ضربت خياما
أيعيش فيك عواذلى لسلوهم	وأموت فيك صابة وغراما
وتبيح نهرك سائلا من أدمعى	أو ليس نهر السائلين حراما
ما ذقت ماء ملك في سنة الكرى	الا انتبهت فكان لى أحلاما
عرض اذا حدثت عن بان الحمى	فحديث قلبى بالاجارع هاما
أروى حديث الرقمتين مسلسلا	عن دمع باكية الغمام سجاما
وتلق من جيب التيسيم تحية	أضحى الهوى بردا لها وسلاما
ياجيرة العلمين دعوة شيق	للذيد عيش بالغضا لو دامما
فخذوا بجرعاء الحمى قلبى فقد	ألف الإقامة بالحمى فأقامما
وخذوا بنار أهل نجدانهم	سلبوا الفؤاد وأدنفوا الاجساما
فى كل غرب دموع عيني مشرق	لكواكب فيها ائرن ظلامما
صليت بنار الشوق نم رثت الى	اسانها فى لجة قد عامما
وتسلسلت عبراتها شوقا لمسن	وقفت عليه صلاتها وسلامما
خير الانام محمد الهادى الذى	أردى الضلال وجب منه سنامما

كنز العوالم سر طينة آدم
 وأجل أرسال الاله ومن به
 وتقاصرت عن فردة اعدادهم
 أسرى الى السبع الطباق فأقبلت
 فى ليلة غصت بأملك السما
 ياخير من بهر المعاند شأنه
 أعبى جلالك أن يحيط بوصفه
 صلى عليك الله ما زار الحيا
 ما لذتى فى مدح غير محلصا
 خير الورى وامامها المنصور من
 أضفى على الارضين ظل مهابة
 وسما على الدنيا عقاب تنوفة
 قل للملوك هبوا لملككم فدى
 هذا الذى يحيى البلاد بعدله
 هذا الذى وعد الاله بأسه
 يا مشبه المهدي فى آرائه
 أنت الذى بنيه أبناء العلا
 فكانها من حولك الاشبال فى
 وأمينها المأمون غضب سماها
 وأجل مضطلع تخيره الورى
 وجاء أحمد عهد أمة أحمد
 لا يعدون النصر سيفك انه
 خذها ينم على العبير مديحها

وقال العلامة مفتى الحضرة أبو مالك المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف

الفيلى :

أرقت وشاقتنى البروق اللوامع وذكرى خليط هيبتها المراسع

تراق من الاشواق فيها المدامع
 اذ السلك منظوم وشملى جامع
 وأين اللوى منى وأين الاجازع
 وجفن الردى عنا وحاشاك هاجع
 أنازعها الشكوى بها وتنازع
 وضمت هواهم بعد ذاك الاضالع
 ولاح لهم برق من الغور لامع
 عراض بها للوحى فاضت ينابيع
 وهبت على الاشراك منها زعازع
 وبأخير من تننى عليه الاصابع
 وأنت الذى يرجوه عاص وطائع
 لاهواله كل النبين جازع
 وليس لنا والله غيرك شافع
 جزاء به يشجى المناوى المخادع
 أصول وآباء كرام فوارع
 عوارف فى أعناقنا وصنائع
 اليك اشتراؤها وغيرك بائع
 يخب الى نيل العلا ويسارع
 لفيض الندى من راحتيه تدافع
 أحاديث صحت ليس فيها منازع
 وفاضت بحور للعلوم هوامع

مرايع عفتها الروامس والسمسا
 كان لم تكن من قبل قدما أو اهلا
 تذكرنى عهد الاجازع واللوى
 سحبا بها ذيل الصباة برهمة
 وقفت بها بالزل والدليل دامس
 أسائلها عن جيرة بان حيهم
 فهل قدموا نحو العقيق صدورهم
 يخبر عن دار الرسول وقرىها
 ديار بها حل الحمى سيد السورى
 عليك صلاة الله يا خير مرسل
 فلولاك هذا الكون ما زال معدما
 لك الفخر فى الدارين والموقف الذى
 فآدمهم وأكل تحت لوائكم
 فجازاك رب العرش ما أنت أهله
 وجازى اماما قد نعمته اليكم
 سميك وابن السبط حقا ومن له
 قدم للعلا يا ابن الخلائف مفردا
 ودام ولى العهد بعدك صارما
 هو الآمن المؤمن من كل فتنة
 ففيك أقول والنصوص شواهد
 بكم رأس هذا القرن جدد ديننا

أشار بهذا الى ما أخرجه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « ان الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها » .
 وحله بعض الائمة على ان المجدد من الملوك ، وقيل من العلماء ، وقيل
 من الاولياء والصواب الاطلاق .

وقال الوزير المقائد أبو الحسن على بن منصور الشيزمى رحمه الله تعالى :

شوقى يزيد وعز ذلك عزائى
 ما فى الخواطر من صدى وصداء
 تلك المعاهد ساكن الحمراء
 ذات السنا والرند والاضواء
 تدع القلوب جسومها بفضاء
 ومجيب داعي البعد بعد ندائى
 للهمز الا فى المنادى النائى
 طلى الملا بنجينة فوداء
 سر تولج فى ضمير حجاب
 تجزى القلوع بها بريح رخاء
 وأزور بعد معاهد الزوراء
 فى ظل أحمد بغيتى ومنائى
 وطئه رجلا خاتم النبىاء
 بالبيض والخطية السمراء
 لؤما وما أجلي الدجا ابن ذكاء
 أكرم بهم من سادة فضلاء
 سبط الرسالة غرة الابناء
 حاز الكمال وشرط كل علاء
 والكوكب الوقاد فى الظلماء
 حاط الهدى وبرأيه الوضاء
 كالزهر فى الاكام والاعواء
 كالصبح يدراً فى نحر عدا
 للوائك المنصور دون مرء
 بظبى نيك السادة النجباء
 وزر البرية عدة الامراء
 درج الكمال ودب للعلباء

من بعد أهل قبا وأهل كداء
 ولى الشفاء بقربهم وهم جلا
 لكنه بعد المزار فأين من
 بانوا وهاج الشوق ذكر ربوعهم
 وشدا بهم حادى الركاب فكاد أن
 يأسد لو ان انزمان مساعدى
 لركبت حرفا كأنهلال منافرا
 ونجبت أحياء الفلا وطوبتها
 تختاض فى جوف الظلام كأنها
 وتخال فى لجج السراب سمينه
 هل أنزلن بها المحصب من منى
 فأحط عنها الرحل ثم مخيما
 وامرغ الحديد ملثمما ترى
 محبى الهدى ماحى الضلالة والردا
 صلى عليه الله ما نسخ السخا
 وعلى صحابته الكرام وآله
 أكرم بوارث مجده وعلائه
 خير الخلائف أحمد المنصور من
 الصارم الهندى فى معنى الهدى
 يا أيها الملك الذى بسيفه
 ذخّر الاله لك الفتوح وصانها
 لا بد من فتح يروك واضح
 وستملك الحرم الشريف وينتمى
 وترى الجهات وقد أتت منقادة
 وتقر عيننا بالخليفة مهمم
 بمحمد المأمون خير من ارتقى

فرع سيحكي أصله ولقد حكى بمقاصد قد سددت ودهاء
 وقال الكاتب أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي رحمه الله تعالى :
 هم سلبوني الصبر والصبر من شأني وهم أخفروا في مهجتي ذمم الهوى
 لهم أترعوا من قهوة البين أكوؤسى لئن أترعوا من قهوة البين أكوؤسى
 وان غادرتني بالعراء حملولهم فف العيس واسأل ربهم أية مضوا
 وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا وأين استقلوا هل بهضب تهامة
 وهل سال في بطن المسيل تشوقا واذ زجروها بالعشى فهل ثنى
 وهل عرسوا في دير عبدون أم سروا سروا والدجا صبغ المطارف فانشى
 وأدلى في الاسحار بيض قبايهم لك الله من ركب يرى الارض خطوة
 أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى ويمم بها الوادى المقدس بالحمى
 وأهد حلول الحجر منه تحية لقد نفحت من شيخ يثرب نفحة
 وفتت منها الشرق في الغرب مسكة وأذكرني نجدا وطيب عراره
 أحزن الى تلك المعاهد انها وأهفوا مع الاشواق للوطن الذى
 وأصبوا الى أعلام مكة شائقا أهيل الحمى دينى على الدهر زورة
 متى يشتفى جفنى القريح بنظرة

وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني فلم يشهم عن سفكها حبي الجاني
 فشوقهم أضحى سميرى وندماني كفى أن قلبي جاهد اثر أظفاني
 أللجزع ساروا مدجلين أم البان ملاعب آرام هناك وغزلان
 أناخوا المطايا أم على كتب نعمان نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
 أزمتهما الحادى الى شعب بوان يؤم بهم رهبانهم دير نجران
 بأحداجهم شتى صفات وألوان فلحن نجوما فى معارج كئيبان
 لاذا زمها بدننا نواعم أبدان تمشى الحما فى مفاصل نشوان
 به الماء صدا والكلا نبت سعدان تفاوح عرفا ذاكى الرند واللبان
 فهاجت مع الاسحار شوقى واشجاني سحبت بها فى أرض دارين أرداني
 نسيم الصبا من نحو طيبة حياني معاهد راحاتي وروحي وريحاني
 به صبح لى أنسى الهنى وسلواني اذا لاح برق من شمام وشهلان
 أحث بها شوقا لكم عزمى الوانى يزج بها فى نوركم عين انساني

ومن لى بأن يدنسوا لقاكم تعطفنا
 سقى عهدهم بالخيف عهد تمده
 وأنعم فى شط العقيق أراكة
 وحيا ربوعا بين مروة والصفاء
 ربوعا بها تتلو الملائكة الملا
 وأول أرض باكرت عرصاتها
 وعرس فيها للنسوة موكب
 وأدى بها الروح للأمين رسالة
 هنا لك فض ختمها أشرف الورى
 محمد خير العالمين بأسرها
 ومن بشرت بالبعث من قبل كونه
 وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت
 ولا زخرفت من جنة الخلد أربع
 ولا طلعت شمس الهدى غب دجية
 ولا لحقت بالمذنبين شفاعسة
 له معجزات أخرست كل جاحد
 له انشق قرص البدر شقين وارتوى
 وأنطقت الاوتان نطقا تبرأت
 دعا سرحة عجماء قلبت وأقبلت
 وضاعت قصور الشام من نوره الذى
 وقد بهج الانسا بدعوتيه التى
 وأن كتاب الله أعظم آية
 وعدى على شأو البليغ بيانه
 نبى الهدى من أطلع الحق أنجما
 بعزتها ذل الاكاسرة الالى
 وأحرز للدين الحنيفى بالظها

ودهرى عنى دائما عطفه ثانى
 سوافج دمع من شؤونى هتان
 بأفياها ظل المنى والهوى دانى
 تحية مشتاق لها الدهر حيران
 أفانين وحى بين ذكر وقسرآن
 وطرزت البطحا سحائب ايمان
 هو البحر طام فوق هضب وغيطان
 أفادت بها البشرى مدائح عنوان
 وفخر نزار من معد بن عدنان
 وسيد أهل الارض الانس والجان
 نوامس كهان وأخبار رهبان
 سماء ولا غاضت طوافج طوفان
 تسبح فيها آدم حور وولدان
 تجهم من ديجورها ليل كفران
 يذود بها عنهم زباني نيران
 وسلت على المرتاب صارم برهان
 بماء همى من كفه كل ظمآن
 الى الله فيه من زخارف ميان
 تجر ذيول الزهر ما بين أفنان
 على كل أفق نازح القطر أودانى
 كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
 بها افتضح المرتاب وابتأس الشانى
 فهيها منه سجع قس وسحبان
 محانورها اسداف أفك وبهتان
 هم سلبوا تيجانها آل ساسان
 تراث الملوك الصيد من عهد يونان

فجرعه منه مجاجة نعبان
 يناغى الصدا فيهن هاتف شيطان
 ووجه الهدى بادی الصبابة للرائي
 وأكرم كل الخلق عجم وعربان
 ولو سجلت سبقا مدائح حسان
 لتسقى بمزن من أياديك هتان
 وأثقلت الاوزار كفة ميزاني
 لما فتحت أبواب عفو وغفران
 وماست على كئيباتها ملد قضبان
 يفوح بمسراها شذا كل تربان
 وتلوها في الفضل صهره عثمان
 ووالى على سبطيك أوفر رضوان
 اذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
 على جرة الاشواق فيك فلباني
 اليك بدارا أو أقلقل كيراني
 نواجي المهارى في صحاصح فيعان
 اذا غرد الحادى بهن وغناني
 خطى لى فى تلك البقاع وأوطان
 بالك جاها صهوة العز أمطاني
 فجود ابلك المنصور أحد أغناني
 وأوفى على السبع الطباق فادناني
 أحل سيوفنا فى معاهد تيجاني
 اذا أضرب الخطى من فوق جدران
 تضائل فى اخياسها أسد خفان
 وارزم فى مركومه رعد نيران
 أسلن عليهم بحر خسف ورجفان

ونقع من سمر القنا السم قيصرا
 وأضحت ربوع الكفر والشرك بلقعا
 وأصبحت السمحا تروق نضارة
 أيا خير أهل الارض بيتا ومحتدا
 فمن للقوافى أن تحيط بوصفكم
 اليك بعثناها أماني أجديت
 أجرني اذا أبدى الحساب جرائمي
 فأنبت الذى لو لا وسائل عزه
 عليك سلام الله ما هبت الصبا
 وحل فى جيب الجنوب تحية
 الى العمرين صاحبيك كليهما
 وحى عليا عرفها وأريجهما
 اليك رسول الله صممت عزيمة
 وخاطبت منى القلب وهو مقلب
 فياليت شعري هل أزم قلانصي
 وأطوى أديم الارض نحوك راحلا
 يرنحها فرط الحنين الى الحمى
 وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها
 وما ذا عسى يثنى عنانى وان لى
 اذا صد عن زوارك لباس والعنا
 عمادى الذى أوطا السماكين أخصى
 متوج املاك الزمان وان سطا
 وقارى أسود الغاب بالصيد مثلها
 هز بر اذا زار البلاد زميره
 وان اطلعت غيم القمام جيوشه
 صبين على أرض العداة صواعقا

كتائب لو يعلون رضوى لصدعت
 عديد الحصا من كل أروع معلم
 اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا
 من اللاء جرعن العدا غصص الردى
 وفتحن أقطار البلاد فأصبحت
 امام البرايا من على نجاره
 دعائهم ايمان وأركان سؤدد
 هم العلويون الذين وجوههم
 وهم آل بيت شيد الله ملكه
 وفيهم أتى الذكر الحكيم وصرحت
 فروع ابن عم المصطفى ووصيه
 ودوحة مجد معشب الروض بالعلا
 بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت
 أولئك فخرى ان فخرت على الورى
 اذا اقتسم المداح فضل فخارهم
 امام له فى جبهة الدهر ميسم
 سما فوق هامات النجوم بهمة
 وأطلع فى أفق المعالى خلافة
 اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتنى
 توسمت لقمان الحجا وهو ناطق
 وان هزه حر الثناء تدفقت
 أيا ناظر الاسلام شم بارق المنا
 قضى الله فى عليك أن تملك الدنا
 وانك تطوى الارض غير مدافع

صفاء الجياد الجرد تعدو بعقبان
 وكل كمي بالردىنى طعان
 هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
 وغفرن فى وجه الثرى وجه بستان*
 تؤدى الحراج الجزل أملاك سودان
 ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
 ذووهم قد عرست فوق كيوان
 بدور اذا ما احلوك شهب أزمان
 على هضبة العلياء ثابت أركان
 بفضلهم آيات ذكر وقرآن
 فناهيك من فخرين قريى وقربان
 يجاد بأمواء الرسالة ريان
 معد على العرباء عاد وقحطان
 ونافس يتي فى الولا بيت سلمان
 فقسى بالمنصور ظاهر رجحان
 ومن عزه فى مفرق الملك تاجان
 يحوم بها فوق السموات نسران
 عليها وشاح من علاه وسمطان
 على كبرياء الملك نخوة سلطان
 وشاهدت كسرى العدل فى صدر ايوان
 أنامله عرفا تدفق خليجان
 وياكر لروض فى ذرا المجد فينان
 وتفتحها ما بين سوس وسودان
 فمن أرض سودان الى أرض بغدادان

* المراد به سبستيان ملك البرتقال لكتبه عربيه فقال بستان

وتغلاها عدلا يرف لساؤه
فكم هنأت أرض العراق بك العلا
فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم
ولو نشر الاملاك دهر ك أصبحت
وشايك السفاح يقتاد طائعا
فما المجد الا ما رفعت سماكه
وهاتيك أبكار القوافي جلوتها
أتك أمير المؤمنين كأنها
تعاظم حسنا أن يقال شبيها
فلا زلت للدينا تحوط جهاتها
ولا زلت بالنصر العزيز مؤزرا
انتهت القصيدة الفريدة .

قال في نفتح الطيب : « أخبرني ناظمها أنه أراد بقوله : « ونافس بيتي
في الولا بيت سلمان » قبيلة سلمان التي منها لسان الدين ابن الخطيب ، اشارة
الى ولاء الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين رحمه الله ، وفيه مع ذلك تورية
بسلمان الفارسي رضى الله عنه ، انتهى .

وهذه القصيدة على طولها من غرر القصائد ولذا لم يذكر في المنتقى
من الامداح المنصورية غيرها ، وقد أثنى عليها في « نفتح الطيب » جدا ،
وتبع ما قيل في هذا الاحتفال ، واقامة المولد العديم المثال ، من الامداح
يفضى الى الطول وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وحالات أسفاره



قال القشتالي : « كانت السيرة على عهد أمى عبد الله المهدي وولده الغالب بالله وابنه المتوكل سيرة العرب فى الجيش والمأكل والملبس وغير ذلك ، ولما ولى المعتصم حمل الناس على السيرة العجمية وجنح اليها فى سائر شؤونه لما رأى منها فى بلاد الترك حيث كان بها ، فكره الناس ذلك وأنفوا منه وقوفاً مع العوائد . فلما جاء الله بالمنصور ألف بين سيرتى العرب والعجم ، واصطفى من العجم موالى رباهم بنعمته وأشملهم درور احسانه ، منهم : مصطفى باى ، ومعاد بلغة الترك : قائد القواد ، ويختص به قائد الاصباحية ؛ وكان يرسم حراسة الباب العالى . ومنهم الباشا محمود وهو صاحب خزائن الدار بيده مفاتيح بيوت الاموال . ومنهم القائد علوج قائد جيش العلوج ؛ والباشا جوذر فاتح السودان وهو قائد جيش الاندلس . وكان لاهل الاندلس جيش عظيم رماة وعمار قائد جيش السوس فهؤلاء اكابر العلوج . وتليهم طائفة أخرى منها بختيار ، وبغا . ثم ان جيش العجم من الاتراك والعلوج قسمه الى اقسام ؛ منها البياك : وهم اهل القلانص الصفرية المذهبة ذوات الاعراف من ريش النعام الملون يقفون سماطين أمام قبه أو فسطاطه . والسلاق : اهل القلانص الطويلة البيض المرسلة على المناكب ويناط بها من أعلى الجباه جعاب صفر مذهبة ويضيفون اليها وقت الحزام أجنحة طوالا يؤلفونها أيضا من ريش النعام الباقي على أصل خلقته ويركزونها فى الجعاب المنوطة بالقلانص من أعلى الجباه ويرسلونها الى وراء ويقف هؤلاء خلف البياك . وبلبلدروش . وهم اهل اللقايف وهى رماح قصيرة غليظة العصى مغطاة بالحديد ومرصعة بالمسامير البيض ركبت عليها أسنة عظام وزجاج هائلة ينبت من ريشتى كل سنان منها اضلاع مستقيمة ، ويقف هؤلاء خلف السلاق . والشنشرية . وهم اهل الطعام وضعا ورفعا لا غير وقائدهم بختيار من سبى وادى المخازن . والقبيجية : وهم اهل حفظ الابواب وغلقها وفتحها

وقائدهم مولود المشاوري ، وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا وتطوف على مسايف السور المحيط بالدار ، ومن وظيفة هؤلاء خدمة الكرسي والسرير اللذين يجلس عليهما السلطان بالايوان وتعاهد انماط الجلوس وكنسها . والشواش : وهم الذين يتولون ضبط الجيوش في المصاف في حرب أو سلم وانهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر .

قال الفشتالي : « وهذا مما زادت به دولته على سائر الدول ، فاذا خرج في يوم عيد أو ملافاة أو تهنئة خرجوا مترينين وكل قائد يقف عند مبداء انبعاث جنده تحت ألوية محفوفة بجيش من رؤساء جنده أهل الحيل وهم الذين يدعون عندهم : بالكباشات ، فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه خلفه ، وهكذا يمتد الى انبعاث الجيش من تلقاء أمير المؤمنين ، وكل يعرف مركزه ورتبته لا يتعداه الى غيره بتقدم أو تأخر ولا يجد السبيل الى ذلك لو أراد » .

قال الفشتالي : « والترتيب الذي جرى به العمل في عساكر النار أن يتقدم أولا جيش السوس ثم يردفه جيش شراكة وكل منهما ينقسم حبلين ، ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالي من الملعوجي ومن انضاف اليهم وعسكر الاندلس ومن لبس جلدتهم ودخل في زمريتهم ، وهذان يسيران صفيين متساويين لاستواء مرتبتهما ، وعند العطاء تارة يتقدم هؤلاء وتارة هؤلاء ، غير ان الموالي يكونون في الميمنة لمزية الولاء ، وكلاهما يحظى بموالة ركاب السلطان ، ويتقدم قائدهما محمود قائد الموالي ، وجؤذر قائد الاندلس ، وترفع على رأس كل منهما الرايات ويحمله عسكر من بالكباشات . ثم يتصل بهذين العسكرين الدخلة العظيمة المؤلفة من البياك والسلاق وبلدروش فتسير الفرق الثلاث أمام المنصور صفوفًا متساوية ، فأما البياك فيلون ركابه يحفون به يمينا وشمالا ويرفع البعض رماحه الزينة المنصوبة أمامه ، ومنهم صاحب المظل المرفوع على رأسه كالنمامة يحمله حالة ركوبه أقربهم درجة لقائدهم ابرويز ، واذا مشى المنصور الى جامع المنصور من جهة قبور الاشراف أو للمشتهى وهو الروض المتصل بقصر البديع على رجليه حمله ابرويز بنفسه ، ثم يسير

عن يمينهم وشمالهم السلاق ، ويسير عن يمين هؤلاء وشمالهم بلبدروش أهل اللقايف ، وتكيف من الجميع صورة تزرع الرعب فى القلوب ، وتسير الجنائب فيما بين سماطى هذه الدخلة بجنوبة صفا صفا الى ألوية عساكر النار ومنبعث حبالها الممدودة يقودها صنف يدعون السراجة ركبانا ، وكانت جنائب الحلفاء يقودها الرجل من الوزعة وهذا أكمل مزية ؛ وجيش الاصباحية الذى الى نظر بيلاربائى ينقسم كئيتين عظيمتين تسير احدهما ذات اليمين والاخرى ذات الشمال أمام الموكب الذى يرفع اللواء العظيم الابيض المدعو باللواء المنصور ، علامة على شعار الدولة على رأس المنصور يسامته من خلفه ؛ وهناك ألوية كثيرة ذات ألوان مختلفة . وأمامه الطبل العظيم الذى يسمع دويه من مسافة بعيدة ؛ ومن خلفه الطبول الاخر معها القيطات - واحدها غيطة - يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيد يعلمونها فينفخون فيها فتنبعث منها أصوات وتلاحين لا تحرك الطباع ولا تبعثها على شىء دون الحرب ، فانها تتسجع الجبان وتقوى جأش الحائف ، حكمة فيلسوفية ؛ وهناك مزامير أخر وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى الطرباط مما أحدثه أيضا فى دولته وزادت به دولته فخامة وضخامة ؛ ثم يردف هذه الألوية والآلات من خلف أمير المؤمنين موكبه العظيم . فهذا ترتيب جيش المنصور انتهى باختصار من كتاب « مناهل الصفا » ، وليس اتخاذ المظل مما أحدثته الدولة السعيدية كما زعم بعضهم ، بل كان ذلك موجودا فى الدول القديمة شرقا وغربا .

قال اليفرنى : « وما ذكره الامام الفشتالى من توافر أجناد المنصور وتكاثر جيوشه هو كذلك ، وقد أولعت العامة فى ذلك بأخبار واهية ، وزعموا ان المنصور خرج مرة الى الرميلة بظاهر مراكش ولم تعلم اصحابه بخروجه ، فحين علموا بخروجه تبعوه خفافا وثقلا قامر بعد ما معه هنا لك من الجيش فوجد ثمانين ألفا ، فقال : « ياسبحان الله ، قد خاطرنا بأنفسنا حيث ركبنا فى هذا العدد » يستقله ؛ ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الافراط ، والذى ذكره الشيخ أبو العباس أحمد أبقاى الاندلسى فى كتابه المسمى بـ « رحلة الشباب الى لقاء الاحباب » ما معناه قال : ان جزيرة الاندلس التى استردادها

من أيدي الكفار سهل ولاسترجاعها منهم قريب لما دخلت مراکش في أيام المنصور وجدت عنده من الخيل نحو من ستة وعشرين ألفا ، فلو تحركت همته لفتحها لاستولى عليها في الحين اه بالمعنى ، اه كلام اليفرنى .

وأما بيان حالة المنصور في السفر فقد قال شارح « زهرة الشماريخ » : « ان المنصور كان قليل الاسفار ، وانما سافر الى فاس مرتين لا غير ، وانما كان متفرغا لذاته واستيفاء شهواته مدة خلافته » . قال اليفرنى : « وبه يعلم أن ما شاع على اللسان من أنه كان يمكث بفاس ستة أشهر وبمراكش مثلها ليس بصحيح والله أعلم » .

وكان المنصور اذا سافر استعد غاية الاستعداد وأحسن في التهيئة ما شاء . قال صاحب النفحة المسكية : « كان له قصر من عود مسمر بمسامير ومخاطيف وحلق وصفائح مفضضة على هيئة عظيمة ، وقد احدث بذلك كله سرادق كالسور من نسيج الكتان كأنه حديقة بستان ، وزخرفة بنيان ، وفي داخل القصر المذكور القباب الملونة بيضا وسودا وحمرا وخضرا كأنها أزاهير الرياض قد نقش ذلك أحسن النقش وملى بأبهى الفرش ، وللسرادق الذى هو كالسور أبواب كأنها أبواب القصور المشيدة يدخل منها الى دهاليز وتعاريج ثم ينتهى منها الى القصر الذى فيه القباب وهذا القصر كأنه مدينة تنتقل بانتقاله وهو من الابيات الملوكة التى لم يوجد مثلها عند الملوك الماضين » اه .

ومما يتعلق به ما حكاه أبو فارس الفشتالى في المناهل قال : « خرج المنصور يوم الاثنين عاشر شعبان سنة اثنى وتسعين وتسعمائة لزيارة أضرحة الصالحين بأغمات » ، قال : « فتأخرت وراءه فلحقنى المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف وأنا في أخريات الناس فأشده :

أبا فارس بان الخليلط وودعوا ،

فقلت : وولوا وحسن الصبر منى شعوا

فقال :

وغرد حادى البين وانشقت العصا وكاد فؤادى للنوى يتقطع

فقلت :

الى الله أشكو فرقة منهم وقسد تجرعت من كأس النوى ما تجرعوا
ثم زدت :

لئن شرد السلوان عنى بعدهم ففى صحبة المنصور أنسى أجمع
ثم قال :

تدور عليه هالة لقبابه ومركزها قصر الخلافة يلمع
فقلت :

سياج به بحر الندى متموج ومن أفقه شمس الامامة تطالع
وكان المنصور خرج لزيارة أغمات فى شارة حسنة ، فلما بلغ أغمات
مكث فيه يومين وفى الثالث نهض الى زيارة الامام أبى عبد الله الهزميرى ،
وعاج على ضريح الشيخ سيدى عبد الجليل ووقف عند الجبانة الكبرى فدعا
ما تيسر وفرق أموالا على ذوى الحاجات على يد القاضى الشاطبى ، والفقير
الامين ابى الحسن على بن سليمان التاملى ، وكان معه الفقير القاضى أبو مالك
عبد الواحد بن أحمد الحميدى كان قد استقدمه من فاس برسم القراءة معه ؛
وكان الحميدى لودعيا خفيف الروح ، وفى هذه السفرة صدرت منه الايات
التي تبارى فى معارضتها شعراء الدولة ، وقد ذكرها فى النزهة فلتنظر هنالك ،
ومما يتعلق بأخبار الحميدى المذكور : أن المنصور سافر مرة الى
تارودانت ومعه جماعة من الاعيان كالقاضى الحميدى وأبى العباس المنجور
وغيرهما ، فخيم المنصور بباب تارودانت وضرب الناس أخيتهم ، فمر رجل
عليه أطمار بالية وهيئة رثة ، ويقال ان هذا الرجل هو أبو عثمان الهلالى
الرودانى ، فوطيء على طنب من أطناب خباء القاضى الحميدى فصاح القاضى
: من هذه البقرة التي قوضت على خيمتى ؟ ، متهمكا بالرجل ! فألقى اليه الرجل
فرطاسا فيه أبيات وقال : « البقرة من لا يجيب عن هذه » ونص الايات :
الى بابك العالى مسائل ترتقى تفطن لهن يا حميدى واصدق
فما الحكم فى الاوزاغ هل ساغ أكلها وما الحكم فى موتى المجانين فانطق
وهل جاز للمسبوق بعد تشهد دعاء اذا ما رام اكمال ما بقى

وما وزن ليس يا أديب وأصله وما وزنه شمر ولاتن واثنتا
 بجمع سواء والمقيد أطلق وبين لنا (من) في أعوذ برنا
 فبدا للحميدى ما لم يكن يحتسب وتوقف عن الجواب ، فرفعت القضية
 الى المنصور فاستغريها وقال : « هذا رجل من أهل البادية فضح قاضى قضاة
 الخواضر » وأمر المنجور فأجاب عنها ، يقال بعد أربع سنين وبعد موت
 السائل ، ونص الجواب :

جوابك فى الاولى اباحة أكلها بمذهبا فاجزم بذلك وصدق
 كذا ابن حبيب فى الخشاش أباحه لمحتاجه مثل المقارب فاسبق
 وقد قيل فى الاوزاغ يحرم أكلها وذلك فى الكافى ليوסף فاتق
 ومستقدر يحكى المخالف منعه وأنكره التنييه فافهم ودقق
 ورجح ما يحكى المخالف بعض من له الغزو للتحقيق لا للتشدد
 وميت مجنون جرى خلف حكمه بعلم كلام لا تكن غير متق
 وتحقيقها ان الجنون الذى طرا يصير كموت فصل الحق يعبق
 فأونة بعد البلوغ طروه وحينا يرى قبل البلوغ فطبق
 وآونة اثر الصلاح وقوعه وحينا بعصيان الكبيرة يلتقى
 وحينا يدوم للممات وتارة يفى فخذ حكم الجميع ووثق
 ويندب للمسبوق دعوى تشهد وفاق امام فى المناجاة فارتق
 وليس له فعل كقال وأصله بكسر لاء فاكسر العين ترتق
 وجمعك صاعا فى القليل لأصوع وأصوع بهمز الواو فانهج ونمق
 وان شئت فأقلبه فيرجع آصعا لضابط تصريف فللعلم شوق
 وصاع كعام عينه فرع ضمة وتحريكه فتح فزنه وحقق
 وجمع سواء فالذى منه جامد بأسوية علم يقاس ففرق
 ومشتقه وزن الخطايا قياسه سواسية ثقل فبالحق فانطق
 ومقصد (من) فى العوذ بدء لغاية فابليس مبدأ العوذ عند الموفق

انتقاض ولي العهد محمد الشيخ المأمون على أبيه المنصور وما آل إليه أمره في ذلك



كان المأمون كما تقدم ولي عهد أبيه المنصور ، وكان خليفته على فاس وأعمالها سائر مدة أبيه ، وكان للمنصور اعتناء تام به واهتمام بشأنه حتى قيل ان المنصور كان لا يختم على صندوق من صناديق المال الا قال : « جعل الله فتحه على يد الشيخ » رجاء ان يقوم بالامر بعده ، فلم يساعد القسدر وخرج الامر كما قال القائل :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
فأساء المأمون السيرة وأضر بالرعية .

قال اليفرنى : « وكان فسيقا خبيث الطوية ، مولعا بالبعث بالصبيان ، مدمنا للخمير سفاكا للدماء ؛ غير مكترث بأمور الدين من الصلاة وشرائطها . ولما ظهر فساد وبن للناس عواره ، نهاه وزير أبيه القائد أبو اسحق (*) إبراهيم السفيناني عن سوء فعله فلم ينته واستمر على قبج سيرته ، فأعاد عليه اللوم فلج في مذهبه ؛ ولما أكثر عليه من التقرير سقاء السم فكان فيه حنف القائد المذكور . ومما انكر عليه انه قبض على كاتب أبيه أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عيسى وهو مؤلف كتاب : « الممدود والمقصود من سنا السلطان المنصور » ووظف عليه أموالا وابتززه ذخائره حتى كان مما أخذ منه ثمانون حسكة مذهبة ومائة تخت من الملف المختلف الالوان . فلما كثرت قبائحه وترددت الشكايات لآبيه كتب اليه لينكف عن غيه وينزجر عن خبئه ، فما زاده التحذير الا اغراء ؛ فلما رأى المنصور انه لم يكثرث بأمره ولم ينزجر عن قبائحه عزم على التوجه الى فاس بقصد أن يمكر به ويؤديه بما يكون رادعا له ، فسمع الشيخ بذلك فجمع عساكره وهيا جنده ودفع المرتب لاصحابه ، وكان عدد

(*) بل ابو سالم كما في النسخة

جيشه فيما قيل اثنين وعشرين ألفا كلهم بكساوى الملف والحرير على أحسن سارة وأكمل زى ، وعزم انه ان بلغه خروج ابيه من مراكش أن يتوجه في أصحابه الى تلمسان ويستجير بالترك ؛ فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب الى تلمسان تخلف عن الخروج من مراكش ، وكتب الى الشيخ يلاطفه ويأمره أن لا يفعل ، وولاه سبجلماسة ودرعة وتخلي له عن خراجهما ، وقال له : « قد سوغتكم ولا أطلبك فيه » ومراده بذلك أن تسكن نفرتيه ويرجع اليه عقله ؛ فأظهر الشيخ امتثال الامر وخرج يؤم سبجلماسة ، فما انفصل عن فاس بشيء يسير حتى ندم ورجع اليها ، وعاد لما كان عاكفا عليه ؛ فبعث اليه المنصور أعيان مراكش وعلمائها فنصحوه ووعظوه وخوفوه سخط والده وحذروه عاقبة العقوق ، ولم يألوا جهدا في نصحه ، فوجدوه مشغول القلب عن نصيحتهم ، مغمور الذهن بخلاف قولهم ، الا أنه أظهر الرجوع عما كان عازما عليه من الفرار عن أبيه ، وأقصر في الظاهر عن بعض تلك المساوى . فرجع الوفد الى المنصور وقالوا له : « انه قد تاب وحسنت حاله واطمأنت نفسه وانه واقف عند الامر والنهى » ؛ فلم يطمئن المنصور لقولهم وقال لهم : « لعل هذا اطفاء ل نار الشحنة وكذب لاصلاح الباطن » وصمم على المكر بالشيخ ، فكتب اليه كتابا طويلا يلومه فيه على بعض الاشياء وفي ضمن ذلك تسكين خاطره حتى يبعثه على حين غفلة ، ونص الكتاب :

« من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله أوامره وظفر عساكره ، الى ولدنا وولى عهدنا الامير الاجل الافضل الاكمل الاعز بابا الشيخ وصل الله كمالكم وسنى من خير الدارين آمالكم وسلام عليكم ورحمة الله ؛ أما بعد ، فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراكش حاطها الله ولا جديد الا ما عوده مولانا من الخير لله الحمد وله المنة . هذا ، والذي أوجبه أسعدكم الله وكلاكتم انه بلغنا انكم قد استخدمتم هناك جماعة من أولاد طلحة كأولاد أخى على بن محمد وأخى على بن ملوك وغير هؤلاء وأنك قد فرضت لهم في إعطياتهم نحو خمسة آلاف ، والى هذا اى مصلحة ظهرت لك في

استخدام هؤلاء القوم حتى تتحمل كلفة فرض هذه الفروض ، بل ما فسى ذلك الا الفساد البين لان هذا الذى تعرضتم له لا يفى به المغرب ولا يقوم معه بكم شىء ، ومسئلة هؤلاء أولاد طلحة ان كنت رأيت استخدامنا وأردت تقليدنا فى ذلك واقفاء سيرتنا فيه فاعلم ان بيننا وبينكم فى هذه المسئلة فرقا من وجوه ، منها : ان مراكش ليست كفاس ، وان خدمتهم هنا لبعدهم عن بلادهم ليست كخدمتهم هناك ، وأيضا هؤلاء الناس أنا أعرفهم وكنت فى بلادهم ، وهذه الخدمة كانوا قد طلبوها منى وأنا هناك فوعدتهم اذ لا يمكننى وأنا ببلادهم الا مساعفتهم ، فلما جاءوا اليوم وطالبونا بالوعد لم يمكن الا الوفاء لهم به فعليه شرطنا عليهم مراكش وسكنها وعلى هذا الشرط استخدامهم ومع هذه الوجوه كلها والاعتبارات فقد ندمت والله على استخدامهم غاية الندامة ، وكنت فى ذلك على خطأ اذ كان الاولى ان كنا حاسناهم وتركناهم من الخدمة . وأما أنت ففى مندوحة عن هذا كله لانه لا وعد لك سابق حتى يلزمك الوفاء به ، ويمكنك أن تحيلهم على اذننا ومشورتنا فنكفهم عنك بالشرط الذى شرطنا عليهم من الخدمة هنا بمراكش وسكنها . وعلى هذا الشرط استخدامنا منهم من استخدامنا ، والى هذا فالذى نؤكد به عليك أن تنقصهم من الخدمة ولا تستخدم منهم حتى فارسا واحدا أصلا من الذين ذكرنا لك ومن غيرهم من كافة أولاد طلحة ، وأمرناك أن تنصل لهم فينا وتقول لهم : ان السلطان منعى من استخدامكم هنا وتقرأ عليهم كتابنا الواصل اليكم صعبة هذا لتفادى منهم ، ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره ، بل تحسن اللقاء بهم وتواليهم باظهار البشر والقبول وباب الطمع تسده دونهم .

والذى شق علينا أعظم من هذا كله واستكرناه ولم نجد صبرا عليه هو ما وجدناهم قد اطلعوا عليه ، اعنى أولاد طلحة على بن محمد وغيره ، من أحوالكم وأخباركم وألفيناهم قد توصلوا من ذلك الى ما لم يتوصل اليه أحد من كبار خدامكم أهل بلادنا وخواص أهل بساتنا ، لان أهل بلادنا أحناء ما لهم بحث الا فى مصالح أنفسهم ، هؤلاء انما ينتقدون ويبحثون عن الغرة وعورات المملكة . فاذا بكم تتخذونهم بطانة وأصدقاء وتطالعونهم

بأحوالكم وأموركم مع ان القوم لا زالوا ببلاد العدو وبين أظهرهم وما يطلعون عليه تحتاج تقطع وتجزم بأن الترك قد اطلعوا عليه حتى كأنهم شاهدوه ووقفوا بأنفسهم عليه . وأيضا لو كانوا أصدقاء ولا يريدون بنا الا خيرا فالقوم عرب لا يتحفظون على ما يطلعون عليه ولا يفهمون ما يحسن اخفاؤه ولا ابدائه ولا يتماكون قولاً ولا نطقاً ؛ وبالجمله ، فقد أحرقتنا هذه المسئلة وتفطرت لها أكبادنا ، وصارت قلوبنا منها مطعونة وما عندكم علم بأن الناس كانوا يتحفظون في أقل الامور أن يطلع عليها الاجانب وان كانوا أحب من كل محب وأقرب من كل قريب . وهل ما عندكم علم بأن أخانا بابا منصور كان عرض له غرض ضعيف جدا أراد أن يطلبه من أخينا بابا عبد الله وحضر في المجلس منصور بن المزوار فلم يرد بابا منصور انفطنته أن يذكر ذلك حتى يشاور من بازائه لئلا يكون عيب في ذكر ذلك بمحضره ، فعليه شاور القائد دحو بن فرج - كان بازائه - فقال له : « هذا رجل براني فلا تطلب شيئا قدامه ، على أن منصور بن المزوار هذا كان مع أسلافنا من أقرب ما اليهم من خواص الخدام أهل بساطنا محبة وقربا لانه أسلف معهم خدمة عظيمة ، فقد كان عدوا للترك وبينه وبينهم أرواح ، وحضر مع أخينا بابا حمو الحران جميع ما كان في تلك البلاد أيام استيلائه على المغرب الاوسط ، ثم مع بابا عبد القادر كذلك ، وشرب معهم الحلوة والمرة . ولما جاء من تلمسان جاء بأولاده منها راحلا كما جاء منها بابا عبد الله بأولاده ، وكما جاء معهم خدامنا أهل تلك البلاد ؛ وما زال على الخدمة والوفاء حتى حصلت له يد عظيمة مع أسلافنا وناهيك بمن بلغ الى ان قلده حاضرة تازا ثم بلاد الفحص التي لا تعطى كلتاها الا لأقرب الخدام الموثوق بمحبتهم وخدمتهم وقربهم ، ومع بلوغه الى هذا المبلغ كله محبة وصداقة وهجرة وانقطاعا حتى انه في دخول صالح رئيس مدينة فاس رحل بأولاده مع السلطان الى هنا كما فعل أهل هذه البلاد ، وحين دخلنا نحن من جهة الشرق لفاس رحلوا أيضا مع صاحب الجبل الى مراكش ، ولا يعدوا أنفسهم من هذا الجانب ابدا في الحديث والقديم ؛ ثم ان الناس استبعدوا أن يطلبوا أقل المسائل بمحضره ، وقالوا انه براني فضلا عن هؤلاء

الذين ما زالوا الى اليوم في بلاد العدو ياكرونه ويرأوحونه فاذا بكم تنزلون معهم الى ان تطالعوهم على اموركم ريتوصلوا الى المعرفة بأحوالكم فما لنا هذه المسئلة ولا وجدنا عليها صبرا . ومن جملة الامور التي غاظتنا وقلنا كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور أن على بن محمد كان يتكلم يوما معنا وأخذ يشي عليكم في نجدتكم وصبركم عند الشدة وسخائكم عند الحاجة ، ثم قال : «الا أن الخيل ليست عنده لا في الحركة الاولى ولا في الثانية لان القبائل أهل الخيل امتنعوا من الحركة معه ، وهى التى غاظتني وقلت : كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور حتى اتنا ما وجدنا الا الرد عليه وعكس ما عرفنا لانهم اعتقدوه وقلنا اللهم نسبة التقصير اليكم ولا اعتقادهم خلو البلاد من الخيل لاننا فهمنا منهم ذلك ، ولهذا أجبتهم وقلت له : ان ولدنا لم يعطهم شيأ وأعطى من لا يستحق من ضعفاء القواد المعروفين بأكل المال وعدم المخزنية ، ولو أعطى تلك القبائل لحشرها عليه لان أولاد مطاع عندهم من الخيل نحو الثلاثة آلاف ، وعند أولاد أبى عزيز نحو ألف ووصف ، وعند الغرية وعند اولاد عمران وعند عبدة وعند الشياظمة وعند أولاد أبى رأس وعند أحرر وعند المنابهة أهل سايس وعند المنابهة أصحاب عمر بن محمد عبو ، وجعلت اعدد له قبائل السوس وقبائل مراكنش وأحصى له خيلهم بما بهته ، وقلت له : لو أنصفهم لحرك منهم معه ستة عشر ألفا أو أكثر ، ويكون قد ملا بهم تلك البلاد ، وسال عليها من سيل العرم لا في الحركة الاولى ولا في الثانية ، ولو وجه اليهم المحركين والرماة لاثتوه أيضا بلا خلاص . والى هذا نوصيكم على المحافظة من أولئك الناس ومن رفع الحجاب لهم عن أموركم والاطلاع على أحوالكم وعدم الغفلة عن أمثال هذا . واعلم أن من جملة ما بلغنا أيضا ان الخلط رجعوا كلهم رماة على يد مصطفى باشا مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف ، وكنا انتشينا معهم بالعودات فاذا بهم اليوم بالمدافع وعدة النار ؟ وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه مع ان هذه المسائل ليست بغائبة عنكم سمعتموها بالسماع فقط ولا طويلة عهد حتى تنساها ، بالامس شاهدت وباشرت ورأيت فما الذى أنساك فعلهم وما

زال جرحهم الآن لم يبرأ ، لان خروج القائد مؤمن الخارج الآن ما كان الا اليهم . والآن نؤكد عليك أن تنقصهم من الخدمة ولا تسمع لمصطفى في هذه المسئلة ؟ وقد سمعنا أيضا أن قواد الفساد الذين عندكم من أولاد حسين قد صارت جملتهم من باب الحميس الى دار الديبيغ ، وكأنكم نسيتم أيضا ما عمل أولاد حسين بالامس دون بعد من النهب وأضرموا من الفساد في البلاد حتى ينزلوا تلك المنازل ؛ والى هذا فساعة وصوله اليكم تقبض على قواد الفساد هؤلاء خصوصا : أحمد بن عبد الحق من أولاد يحيى بن غانم الذى كان أبوه حاجبا عند المرىنى فهو أصل الفساد ، ثم لا تترك لقبائلهم جناحا واحدا . وزد للقائد مؤمن بن ملوك ألف رام ليستوفى لكم الغرض فى هؤلاء وأمثالهم من كل ما تأمر به ، لان بقضاء الرماة هنا لك ما فيه الا الاشتغال بالفساد فى المدينة فتحتاج أن تتولاهم بالقتل كل يوم باطلا فكان خروجهم اذذاك دفعا لمضرتهم وجلبا للمصالح بهم ؛ وحتى الكاتب اللائق بأمثالكم ورسائلكم لم يكن عندكم لان كتبكم تاتى بخط سالم وهو غير عارف بالانشاء وتارة بخط الكرىنى وهو جاهل ، مع انك لما كنت خليفتنا وولى عهدنا كنت بصدد ان يكتب لك كل أحد لا صاحب الجزائر ولا صاحب تونس وحتى صاحب الترك وصاحب النصارى ، وكل من يكتب لناس من ملوك الارض بصدد أن يكتب لك فتحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب عنك لكل من يكتب اليك ويكون أيضا ممن يوثق به فى المحافظة على أسراركم ، والى هذا فلا بد من تعيين قائد المحلة وحاجب وكاتب سرك وصاحب مشورك وصاحب المظالم كما هنا هو عندنا السيد على بن سليمان ، واعلم ان مما تحتاج ان تنبهك عليه مسئلة القواد الذين يريدون أن يحملوك أثقال أولادهم مثل ما فعلت فى أولاد القائد بركة (*) واخوتهم الذين استخدمتهم وجعلت لهم خمسمائة أوقية ، فنؤكد عليك أن لا تستخدم منهم أحدا فما أعطيتاه سلا الا ليرفع فيها أولاده واخوته وكذلك الحكم فى أمثاله ممن أعطيتاه عملا وقلدناه قيادة ومن جملة من نحذرك من استخدامهم فى الرماية اهل الجبال من أهل

(*) له الذى تنسب اليه عين بركة الداخل ماؤها لمدينة سلا .

الصحفة والدينار فلا تستخدموا منهم أحدا والا فاعلموا أنكم ما أردتم حينئذ ان يغرموا لكم ولا يعطوكم شيئا ، وان أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل السوس وأهل درعة وأهل مراكش ، فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم ، واذا لم يكن من هؤلاء وكان ولا بد من غيرهم فمن أهل فاس سكان الحاضرة ، وأما من عداهم فلا ؛ على ان الرماة أهل السوس هاهنا هنا عندنا كثيرة ، فكل ما تريد منهم عرفنا نبعثهم اليك ونضيفهم الى خدمتك ، ونؤكد عليك أن تكتب بجواب هذه الامور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل لهذا الكتاب ان شاء الله ولا بد ولا بد ، وهذا موجب اليكم ، والله يحرس بمنه علاكم والسلام . وفي مهل جمدى الاولى من عام أحد عشر وألف « اه :

ثم لم يلبث المنصور أن بعث الى ولده زيدلان - وكان خليفته على تادلا - يأمره أن يرسل مائة من الفرسان على طريق تاقبلات ، وكل من وجدوه قاصدا للغرب من ناحية مراكش بردونه ، وأرسل مولا مسعود الدورى على طريق سلا يفعل مثل ذلك ، وخرج المنصور من مراكش* فى اثنى عشر ألفا أوائل جمدى الاولى سنة احدى عشرة وألف ، وجد السير ، فلم يمض الا أيام قلائل حتى نزل بالدوح ، موضع قريب من فاس ، والشيخ فى جميع ذلك لا شعور له بخروج أبيه ولا بما هو عليه ؛ فبعث يوما عيونه يرصدون له من قدم من مراكش ، ويكشفون عن الخبر ، فما راعهم الا الاباطح تسيل بأعناق الجياد ، وأفواه الشعب تقذف بالجيوش من بطون الاودية والوهاد ، لانهم كانوا قد عجمت عليهم الانباء بقطع المنصور للسابلة . فرجعوا الى الشيخ مسرعين ، والرعب يفت فى أعضادهم ويطفئ جذوة عزائمهم ، فقصوا عليه ما دهمهم وأخبروه بما رأوا ، فعلم أنه محاط به فلم يمكنه الا الفرار ؛ فركب من حينه وفر الى زاوية الشيخ الصالح أبى الشتاء من بلاد فشتالة قرب نهر ورغة . وكان الشيخ أبو الشتاء قد توفى قبل ذلك سنة سبع وتسعين وتسعمائة كما فى المرأة . فنزل بالزاوية ومعه بطانته وأصحاب دخلته من الاحداث

* بعد ان استخلف عليها ولده ابا فارس

وَقَرْنَاءُ السَّوءِ ، فَبَلَغَ خَبْرَهُ الْمَنْصُورُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْبَاشَا جُؤْذُرًا مَعَ الْقَائِدِ مَنْصُورِ
النَّبِيلِي ، وَحَلَفَ لِهَمَا بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ أَنْ لَمْ يَأْتِيَا بِهِ لِيُمْكِرَنَّ بِهِمَا وَيَجْعَلَهُمَا
عَبْرَةً ؟ فَذَهَبَا إِلَيْهِ فَامْتَنَعَ مِنَ الدَّخُولِ فِي يَدِهِمَا ، وَانْعَزَلَ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى
نَاشَوْهُ لِلْقِتَالِ ، وَتَرَامَوْا بِالنَّبَالِ ، ثُمَّ قَبَضُوا عَلَيْهِ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَنْصُورِ فِي
حَبْرٍ طَوِيلٍ ، فَأَمَرَ بِهِ إِلَى مَكْنَسَةٍ فَسَجَنَ بِهَا .

وَدَخَلَ الْمَنْصُورُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْ حَضْرَةِ فَاسَ الْجَدِيدِ وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى مَا
أَوْلَاهُ مِنَ الظَّفَرِ وَالنَّصْرِ مِنْ غَيْرِ أَرَاقَةِ دَمٍ ، وَتَصَدَّقَ فِي ذَلِكَ بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ ،
وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي فَارِسٍ خَلِيفَتُهُ عَلَى مَرَائِشَ يَعْلَمُهُ بِمَا كَيْفَ اللَّهُ لَهُ
مِنَ الظَّفَرِ وَالنَّصْرِ ، وَنَصَّ الْكِتَابُ .

• إِلَى وَلَدِنَا الْأَجَلَ الْأَرْضِي "لَا كَمَلُ الْأَسْعَدِ الْأَصْعَدِ الْأَجَدِ الْأَسْمَى
الْأَسْنَى بَابَا أَبِي فَارِسٍ وَصَلَ اللَّهُ كَمَا لَمْ وَنَسْنِي بِمَنْهَ آمَالِكُمْ وَسَلَامٍ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ . وَبَعْدَ ، فَكُتِبْنَا هَذَا إِلَيْكُمْ أَسْعَدَكُمْ اللَّهُ مِنْ مَحَلَّتِنَا السَّعِيدَةِ
بِالْمُسْتَقَى وَلَا شَيْءَ إِلَّا مَا جَرَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ ، وَحَكَمَ بِهِ الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ ، وَمَا جَاءَ
بِهِ مِنْ عَجَائِبِ الدَّهْرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَهِيَ قَضِيَّةٌ أُخِيَكُمْ الَّتِي ثَارَتْ إِلَى بِهَا
صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ مَكْنَى ، وَطَلَعَتْ عَلَى مَنْ مَأْمَنَى ، إِلَّا أَنْ اللَّهَ تَعَالَى بِصُنْعِهِ
الْجَمِيلِ كَفَانَا أَوَّلًا ، ثُمَّ شَفَانَا آخِرًا اللَّهُ الْحَمْدُ دَائِمًا وَالشُّكْرُ وَاطْبَاءُ ، وَشَرَحَ
ذَلِكَ أَسْعَدَكُمْ اللَّهُ وَوَقَاكُمْ السَّوءَ أَنْ الْحَالُ كَانَ اتَّقَى فِي مَعَالِجَةِ أَمْرِهِ الَّذِي
تَجَاوَزْنَا فِي وَجْهِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ حَدَّ الْأَسْتَقْصَا ، وَأَتَيْنَا فِي مُحَاوَلَةِ اسْتِصْلَاحِهِ مِنْ
أَحْوَالِ السِّيَاسَةِ الْمَرْجُوءَةِ النَّجِيجِ بِمَا لَا يَحْصَى ، إِلَى مَا كُنَّا سَوْغَنَاءَ مِنْ وَلايَةِ
سَجْلَمَاسَةِ بِخَرَايجِهَا وَخَرَاجِ دَرَعَةٍ وَأَبْخَنَّا لَهُ التَّوَجُّهُ إِلَيْهِمَا بِجَمَلَتِهِ وَجَمْعِهِ ،
رَجَاءً أَنْ تَسْكُنَ بِالْإِتْبَازِ إِلَيْهِمَا نَفَرَتِهِ ، وَتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ وَيُثَوِّبَ إِلَيْهِ قَلْبُهُ الطَّائِرُ ،
وَيَرَاغِبَ أَنْسَهُ الْحَائِرُ ، فَأَظْهَرَ أَوَّلًا التَّوَجُّهُ إِلَيْهِمَا ، وَنَهَضَ مَرْتَحِلًا عَنْ فَاسَ
مُورِيَا بِالْقُدُومِ عَلَيْهِمَا ، ثُمَّ بَدَأَ عَلَى الْحَيْنِ فِكْرَ رَاجِعَا إِلَى فَاسَ ، وَرَجَوْنَا
أَنْ يَكُونَ قَدْ ذَهَبَ عَنْهُ الْفَارُ وَالشَّمْسُ ، وَثَابَ لِنَفْسِهِ السَّكُونُ وَالْإِسْتِثْنَاءُ ،
فَإِذَا بِهِ قَدْ انْطَوَى بِرَجُوعِهِ عَلَى خِلَافِ مَا أَظْهَرَ ، فَأَبْدَى مَا أَضْمَرَ ، فَمَا كَانَ
إِلَّا أَنْ طَرَأَ عَلَيْهِ خَبْرُ نَزُولِنَا بِالْدُوحِ فَلَمْ يَتِمَّالِكْ أَنْ أَقْلَعَ لَيْلَةَ الْحَمِيسِ خَامِسَ

عشر شهر تاريخه اقلعاً أزعجه من الدار فريدا ، وطارت به النفرة الى أن حل بزواية الشيخ ابي الشتاء وحيداً، فلاحق به من جيش رمانه اليكشارية ومتفرقة سماسرة الفتن وطلائع الشؤم والمحن جمع عظيم ، وعدد من كثرته لا يريم ، فبادرت حينئذ بتجهيز جوذر باشا من غير اغفال في خمسمائة صباحية ومعه القائد مؤمن بن ملوك في خمسمائة فارس ، ثم أردفناه ببعوث آخر نألت اليه وتنازلت عليه تناهز الالفين ورماة بابا زيدان حفظه الله فأحدثت به من كل الجهات ، وملكوا عليه الفجاج والثنيات ، ونحن مع ذلك خلال هذه الاحوال لم نهمل مقابلة نفره بالتسكين ، وما يخشن من أحواله بالتلين ، بارسال المرابطين تجاهه بموائيق تهنيه ، وعهود تؤنسه وتقرب أمانيه، رجاء أن يثوب اليه نائب استبصار ، أو يخطر له خاطر اقلع عما هو عليه واقصار ، وقرناء السوء المتلاحقون به من جيشه يقدحون للشر نارا ، ويزينون له عقوقا ونفارا ، فدهمتهم حينئذ عساكرنا المظفرة بالله في مصافهم دونه ودارت بين الفريقين حرب عظيمة فخدمت النار من وقت الظهر الى العصر فأظهر الله تعالى فئة الحق على فئة الباطل ، وقضى بما جرى به القضاء المحتوم الحكم العادل ، وكتبناه اليكم وقد حصل في القبضه كما سبق به القضاء والقدر، وجعل بمكان الاحتياط عليه من مكناسة فكانت مشيئة الله في ذلك من احدى العجائب والاعبر ، وعرفناكم أسعدكم الله لتستشعروا صنع الله في هذه الداهية التي فجئت بها الايام ودهمت ، والغاشية التي اعتكرت وادلهمت ، وتقدروا ما صنع الله في ذلك من حسن العاقبة حق قدره ، وتشكروه فهو الجدير بجميل حمد كل لسان وشكروه ، ونسأله تعالى أن يجعلكم في حيز الكفاية ، وجانب الوقاية حتى لا تساؤا بقريب مأمون ، ولا يبعد مظنون ، وفي ليلة الثلاثاء الموفى عشرين من جمدى الاولى عام أحد عشر وألف ، اه .

نم ان أم الشيخ واسمها الحيزران بعثت الى أعيان مراکش الذين قدموا مع المنصور. ترغب اليهم في أن يشفعوا لولدها عند أبيه ويعتذروا عنه بما يزيل ما في باطنه عليه ، فتقدموا الى المنصور وقالوا له : « ان الشيخ قد صلحت حاله ، وتاب مما كان عازما عليه ، وانه ندم على ما فرط منه ، (الاستقصا - خامس - 12)

فقال لهم : « اذهبوا الى مكناسة واختبروا أمره كافيا ، وانظروا هل رجع عن أباطيله ، وتنصل من أضاليله » : فلما أتوه وجدوه أخبت مما تركوه وعابوا منه من القبائح ما يقصر عن وصفه اللسان ، فلما جلسوا اليه في محبسه لم يسألهم الا عن اصحاب بطاتته وقرناء السوء من اهل غيه ، ولم يظهر الاسف الا على تلك العصابة ورآهم اهل الاصابة .

وكان من الاعيان الذين وجههم المنصور أولا وآخرها أولاد الشيخ ابي عمرو القسطلی ، وأولاد الشيخ ابي محمد عبد الله بن ساسی ، وأولاد الشيخ أبي زكرياء يحيى بن بكار وغيرهم . فلما رجعوا الى المنصور من مكناسة سألهم عن الخبر فوافق بعضهم وقال : « وجدناه تائبا نادما على ما صدر منه » وتكلم بعض اولاد الشيخ ابن ساسی فقال : « لا والله لا داهنت في حق الله ولا واجهت الامير بالحدیعة ، ان ولدك لا نأذن لك أن تؤمره على اثنين ولا تحكمه على عيال الله فانا وجدناه خبيث الطوية قبيح السريرة لم يندم على ما فرط منه ، فسكت الحاضرون ولم يتكلم أحد ، فقال لهم المنصور : « لا فتوني في أمر هذا الولد ؟ » فلم يجبه أحد الا باشاه عبد العزيز بن سعيد الوزكيثي فانه قال له : « الرأي أن تقتله ، فانه لا ينجبر أمره ولا يرجي صلاحه وقد رأيت ما صنع ، فلم يعجب المنصور ذلك وقال : « كيف أقتل ولدي ؟ » ثم بعث الى مكناسة بأمر بالتضييق على الشيخ والزيادة عليه في ذلك . ثم خرج المنصور فنزل بمحلته في ظهر الزاوية قاصدا مراکش بعد ان استخلف ابنه زيدان على فاس وأعمالها ، وقد كان كتب الى ولده أبي فارس خليفته على مراکش برسالة أجابه فيها عما كتب به اليه في شأن الوباء الذي ظهر بالسوس ومراكش هل يفر منه أم لا ونصها :

« من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنی أيد الله بعزيز نصره وأوامره وظفر عساكره ، وأسعد بمنه موارده ومصادره ، الى ولدنا الاجل الافضل الاكمل الاعز الابير الاسعد الامجد الارضى بابا أبي فارس ، وصل الله تعالى عنايتكم ووالى بمنه رعايتكم وسلام عليكم ورحمة الله . لا ما بعد ، فكتابنا هذا

اليكم من حضرتنا العالية بالله المدينة البيضاء حاطها الله عن الخير والعافية ،
ونعم الله المتوفية ، لله الحمد وله المنة ، وانه اتصل بعلى مقامنا كتابكم الاعز
عشية يوم الثلاثاء فكتبنا اليكم صبيحة يوم الاربعاء ، ولولا انه وصل يوم
الديوان ما كنا نؤخر كتب الجواب لكم عن ساعة وصوله في اليوم بنفسه
حرصا منا بذلك على المبادرة بوصوله اليكم في الحين ؛ والى هذا أسعدكم الله
ان أول ما تبادرون به قبل كل شيء هو خروجكم اذا لاح لكم شيء من
علامات الرباء ولو أقل القليل حتى بشخص واحد ، ويبقى في القسبة وصيفا
مسعود مع القائد محمد بن موسى بن أبي بكر ، وتركوا مائة رام تثقون بها
من رمايتكم مع أصحاب السقيف وتكلمون على الله وتخرجون بالسلامة ، ثم
لا تعملوا كعملنا في الاقتصار على الرميعة والتقلب بها ، بل لا تزيدوا اذا
خرجتم على المقام أكثر من يومين ، ثم اطووا المراحل الى ان تنزلوا بسلا
وتدخلوها دخول هناء وعافية ان شاء الله ، وهناك يكون لقاءنا بكم لقاء يمن
وسعادة ان شاء الله ، ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق اسعدكم الله فلازموه ،
واذا استشعرت من حرارة وتخوفتموها فاستعملوا من الوزن الوصف
المعروف منه ولا تهملوه . وأما ولدك حفظه الله فلما كان من سن الشبيبة
بحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق فهامى الشربة المعروفة النافسة
لذلك قد تركناها كثيرة هناك عند التونسي ، فيكون يستعملها هو والابناء
الصغار المحفوظون بالله ، حتى اذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق
المرتين على قدر الحاجة فيعود اليها والله تعالى بمنه وبحرمة صفوة
خلقه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم يتولى حمايتكم جميعا ويحلکم من
جميل كلاءته ورعايته حصنا منيعا ، وأر يعافى البلاد والعباد بمنه وفضله ؛
والسلعة أسعدكم الله تبادرون بارسالها إلينا ، وكذلك القائد مسعود النبيل
تعزمون بارساله الى حيث أمرناه بالمقام من خنق الوادى بالسوس وطريق
تأحطيشت ؛ واعلم أسعدكم الله ما قط أرضانا أن أمرها يتم ، وقبل عقلنا
الكریم ان أهل درن يتجرون بسببها ، ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم
ان شاء الله ، وأنتم تحاولون اسعدكم الله سلوك الناس على بوياون على العادة ،

وتجهدوا في أن تكون ان شاء الله سابلة ، وأولائكم أعنى أهل طريق تاحظيشت
يسكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلكم البلاد ان شاء الله . ومسألة ايسى
التي كتبت لكم من خنق الوادى على الزرع وانه ما عندهم ما يكفيهم منه
سوى شهر فلقد كنا كتبنا لكم أسعدكم الله على حل الزرع اليهم على البحر،
فان كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ اليهم وان لم يكن ذلك قد تيسر فلتأمر
ايسى هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء والزموه وعهده وشددوا عليه في
أمره ، وخالنا القائد حمو بن محمد الذي استأذنكم في الخروج عن ذلكم المرض
من المحمدية(*) فاذا تفاحش فلا عليه في الخروج ويلتحق بأهل تلك المحلة
بخنق الوادى ويترك في القصة أهل الاندلس مع قائدهم . ومسألة مؤمن بن
منصور مع هكسيمة التي ذكرتم أسعدكم الله ، ان مؤمنا قد تناقل بدمنات بسبب
مرض ألم به حتى جاء به شاوش ، وان أخاه ذلكم المفسود بعث اليه يلتقى
معه بتمام صلوحته فعلى بركة الله والحاضر بصيرة ، وهذا موجه اليكم ، والله
يصل بمنه رعايتكم والسلام . وفي يوم الاربعاء رابع عشر رمضان المعظم عام
أحد عشر وألف ، عرفنا الله خيرته وبركته . وبعد أن كتبنا لكم هذا بلغنا
كتابكم ونحن نجيئكم عما تحتاجون انى الجواب عنه ، والبطاقة التي ترد
عليكم من السوس من عند الحاكم أو ولد خالكم أو غيرهما لا تقرأ ولا تدخل
دارا بل تعطى لكتابكم هو يتولى قراءتها ويعرفكم مضمونها ، ولأجل ان كتابكم
يدخل مجلسكم ويلابس مقامكم حتى هو لا يفتحها الا بعد أن تغمس في خل
ثقيف وتشر حتى تيسر وحينئذ يقرأها ويعرفكم بمضمونها اذ ليس يأتيكم من
السوس - والله سبحانه أعلم - ما يوجب الكتمان عن مثل كتابكم ؟ وقد طالعنا
كتاب ولد خالكم أحمد بن محمد الصغير وصح عندنا من فحوى كلامه ما
ذكرتم عنه من أنه أكثر من خبر الوباء ليجده ذريعة للخروج من السوس ،
والذي تأمرونه به أنكم تحذرونه من القدوم عليكم بمراكش ، وإن ذلك لا

(*) المحمدية هي تارودانت نسبة الى محمد (فتحا) الشيخ بن القائم بأمر الله. وغالب

السمكة السعدية ضرب بها

يرضينا منه ، وكيف يروم الخروج من موضع عيناه له من غير أمرنا لاسيما مع غيبتنا عن البلاد ، وانه ان فعل ذلك لا محالة تسقط منزلته عندنا ، ثم لا يعود أبدا اليها ، الا ان تفاحش المرض بتلك الناحية فلا عليه في الخروج والتنقل قرب البلاد أو يلتحق بمحلة أصحابه الذين يخفق الوادى . وأما ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمن الوردى فقد طالعنا الجريدة التى جرد لكم وتصفحناها ورأينا أن جل ما يطلبه بها لا يمكن مع غيبتنا ، والذي نأمركم به فى مسئلته أنكم تحاولون فى رده لموضعه فانه بذلك الموضع أليق من أخيه بكثير ، وكل ما يمكنكم من أغراضه المسطرة فاقضوه له ، وما لا يمكن عدوه به عند قدومنا ان شاء الله . وأما أمر أخى أحمد بن الحسن الذى عيناه لجباية درعة وذكرتم أنه غير لائق بها وأنكم استصغرتموه عن تلك العمالة فلا شك انه كما ذكرتم ، ولكن انما وقع الاختيار عليه لأمرين : الاول الذمة لانه بماله ولا نخشى ان شاء الله على مالنا ، الثانى ان خراج درعة سهل معلوم ، ولعله يكره هذه الولاية ويحب الجلوس بداره ويفرى من يتكلم فيه عندهم ، فان كان من ذكره لكم مثل مسعود أو تاودى فاتهمه ؛ وقد طالعنا فى جريدتكم انكم وجهتم مع زرع المعاصر مائة رام ، وهذا الذى ذكرتم ما نعلم انا كتبنا لكم عليه قط ، وانما كتبنا لكم على الزرع تحملونه فى البحر برسم المحلة التى هناكم يخفق الوادى ، فان كان هو هذا فنحن أردناه للمحلة ، وان كان غيره فعرفنا بقضيته ، فان زرع المعاصر انما يلزم اليهود والنصارى المكثرين للمعاصر ، وفيها أيضا ما أخبركم به أحمد بن محمد بن موسى بخبر ما سقط من القنطرة ، وانكم عنقتموه على عدم المبادرة وقد أشكل علينا الامر لانكم لم تعرفوا مقامنا بالساقط هل هو من القديم أو من هذا الاصلاح الذى أمرنا به فعرفنا لنكون على بصيرة من ذلك ؛ وفيها أيضا مسئلة أولاد طاححة قدبروا عليهم اما من عند ايسى أو غيره حتى لا يرجعون الينا شاكين . وولد ابراهيم بن الحداد الى الآن لم يصل ، وزمام الاسرى وصل . واما الدراقة التى ذكرتم فيها السلطة المعدة لها عند صاحب بيت ثيابنا ، فوجه ليوسف العبد حتى تكلمه ومره يخرجها من عنده وركبها فى موضعها ولا تتركب التى عندهم

بل تمسكونها لانفسكم . واعلم انى تركت عند اولئك المعلمين أعنى معلمى
بركاضو سلاتى برسم ابنتنا العزيزة طاهرة صانها الله وكلاها ، وحيث يفرغون
من الدراقه اجمعهم عليها كى نجد ذلك طالعا ان شاء الله فاننا قد أمرنا بنسج
درارق تلكم السلاتى* . هذاء والمراد أن نجد السلاتى قد فرغ منها ان شاء الله .
وقصر الخيل مع الحمام حرض المعلمين على المبادرة باشتغالهما بهما ، وحاول
ان تسقفوا ذلك البلاط الذى يوالى سور القصبة من قصر الخيل والقبه التى
فيه لنجده كاملا ان شاء الله عند قدومنا عليكم ، وحتى سوارى الرخام
ركبوها فى تلك الجهة اذا سققتم ، ولا تزالوا تعرفونا بما تزايد من الاشغال فى
الموضعين المذكورين . وأوصيكم أعزكم الله أن تفقدوا فرسنا الاحمر الصغير
ولا تتركوه يعطونه القصيل لثلا يكثر لحمه ويزداد ألمه ، بل انظر له من
يركبه كل يوم بل لا تنزع السرج بالكلية عن ظهره بياض النهار كله .
أو أعطوه لصاحب المسرة يركبه فى ذهابه وإيابه لداره والمسرة ، وأوصوه
أن لا يركبه غيره ولا ينزل عن ظهره النهار كله . وأوصيكم أيضا اذا ظهر
المرض بتلكم الناحية وخرجتم خروج يمن وسلامة بحول الله وقوته أن لا تتركوا
وراءكم بنت عمكم والدنا العزيز بابا عبد الملك حفظه الله . وامر يوسف
العبد أن يخرج لكم من عند صاحب بيت الثياب القدر المحتاج اليه من الترياق
الجديد الذى كان بقبة المشور ويدخل على أيديكم لدارنا ، واستدعوا أم المال
قهرمانة الدار واعطها اياه برسم أهل دارنا ، وأمرها أن تعطيهم اياه فى كل
رابع من اليوم الذى يأكلونه فيه ، وهى أيضا تأكل منه ، والعبد يوسف أيضا
يأكل منه وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعنى مسعود بن مبارك ، والله
سبحانه يرعاكم ويتولى حفظكم أتم وأولادكم وقد استودعناكم الله الذى لا
تضيع لديه الدوائع ، وأتم فى أمان الله وحفظه ، والله سبحانه خليفتى عليكم
أتم فى يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، والسلام الاتم عائد عليكم ورحمة الله
تعالى وبركاته ، ونسلم على ولدنا الاعز الارضى بابا عبد الملك ، وعلى ابنتنا
الرضية سيدة الملك ونحن فى غاية الاشتياق والتوحيش لها جمع الله بكم الشمل

* لعل العبارة فيها قلب وأصلها : بنسج سلاتى تلكم الدراق .

جميعا آمين، بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله خير آل والسلام، اه
قال مؤلفه عفا الله عنه : قد وقع فى كلام المنصور رحمه الله أمران
يحتاجان الى التنبية عليهما ، الاول : اذنه لولده ابي فارس فى الخروج من
مراكش اذا ظهر بها أثر الوباء ولو شيئا يسيرا وهذا الامر محظور فى الشرع
كما هو معلوم ومصرح به فى الاحاديث ، والثانى : أمره أياه أن لا يقرأ
البطائق الواردة عليه من السوس وانما يتولى قراءتها كاتبه بعد أن تنفس فى
الحل ، وهذا عمل من أعمال الفرنج ومن يسلك طريقهم فى تحفظهم من
الوباء المسمى عندهم بالكرتينة ، وقد اتفق لى فيها كلام أذكره هنا تسميما
للفائدة ، وذلك انه لما كانت سنة ست وتسعين ومائتين وألف عرض لنا سفر
الى حضرة السلطان المولى أبى على الحسن بن محمد الشريف أيدى الله عز
وجل بمراكش المحروسة بالله فخرجنا من سلا أواخر ربيع الاول من السنة
المذكورة ، ومررنا فى طريقنا على المحب القائد الانبل أبى عبد الله محمد بن
ادريس الجرارى بئر الجديدة ، وهو يومئذ متول لعملها ، فأجل قدومنا على
عادته حفظه الله فى محبة العلم ومن ينتمى اليه ، وحضر معنا عنده بعض فقهاء
الوقت ، وكانت السنة سنة وباء ، فجرت المذاكرة فيما يستعمله النصارى فى
أمر الكرتينة من حبس المسافرين وشذاذ الاتفاق عن المرور بالسبل والدخول
الى الامصار والقرى ومنع الناس من مرافقهم وأسباب معاشهم ؛ وحصل
التوقف تلك الساعة فى حكمها الشرعى ما ذا يكون لو أجريت على قواعد
الفقه ، ثم بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر وقفت على رحلة العلامة الشيخ رفاة
الطهطاوى المصرى فى اخبار باريز فرأيت ذكر فى صدرها : انه وقعت
المحاورة بين العلامة الشيخ أبى عبد الله محمد المناعى التونسى المالكى المدرس
بجامع الزيتونة ، ومفتى الحنفية بها العلامة الشيخ أبى عبد الله محمد البيرم
فى اباحة الكرتينة وحظرها ، فقال المالكى بحرمتها وألف فى ذلك رسالة ،
واعتماده فى الاستدلال فيها على ان الكرتينة من جملة الفرار من القضاء .
وقال الحنفى باباحتها ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة أيضا . فلما
وقفت على هذا الكلام تجدد لى النظر فى حكم هذه الكرتينة وظهر لى أن

القول باباحتها أو حرمتها منظور فيه الى ما اشتملت عليه من مصلحة ومفسدة ولو مرسل على ما هو المعروف من مذهب مالك رحمه الله ، ثم يوازن بينهما وأيتهما رجحت على الاخرى عمل عليها ، فان استوتا كان درء المفسدة مقدما على جلب المصلحة كما هو معلوم في أصول الفقه ، ونحن اذا امعنا النظر في هذه الكرنتينة وجدناها تشتمل على مصلحة وعلى مفسدة ، اما المصلحة فهي : سلامة أهل البلد المستعملين لها من ضرر الوباء ، وهذه المصلحة كما ترى غير محققة بل ولا مظنونة ، لانه ليست السلامة مقرونة بها كما يزعمون وانه مهما استعملها أهل قطر أو بلد الا ويسلمون لا دائما ولا غالبا بل الكثير أو الاكثر انهم يستعملونها ويبالغون في اقامة قوانينها ثم يصيبهم ما فروا منه كما هو مشاهد ، ومن زعم ان السلامة مقرونة بهذا دائما أو غالبا فعليه البيان لاذالبينة على المدعى ، فنتج من هذا أن مصلحة الكرنتينة مشكوكة أو معدومة ، واذا كانت كذلك فلا يلتفت اليها شرعا بل ولا طبعا لانها حينئذ من قبيل العبث . وأما المفسدة فهي : دنيوية ودينية ، أما الدنيوية فهي الاضرار بالتجار وسائر المسافرين الى الاقطار بحبسهم وتعويقهم عن أغراضهم وتعطيل مراقبتهم على أبلغ الوجوه وأقبحها كما هو معلوم ، واما الدينية فهي تشويش عقائد عوام المؤمنين والقدح في توكلهم وإيهام ان ذلك دافع لقضاء الله تعالى وعاصم منه ، وناهيك بهما مفسدتين محققتين ترتكبان لشيء يكون أو لا يكون ، فان العامة - لقصور افهامهم - قد تذهب او هامهم مع هذه الظواهر فيقفون معها ويقعون في ورطة ضعف الايمان عياذا بالله فان قلت : هذا الكلام فيه ميل الى سوء الظن بالعامة وهم جمهور الامة . قلت : ليس فيه ميل الى سوء الظن بهم وانما فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لا تتركهم هملا يفعلون ما شاؤوا أو يفعل بهم ما يضرهم في دينهم ودنياهم مع ان سد الذريعة قاعدة من قواعد الشرع لاسيما في المذهب المالكي ، ولامر ما جاءت الشريعة المطهرة ممثلة من التحذيرات من مكامن هذه المفاسد ونحوها ورد الاسباب والمسببات كلها الى الله تعالى . مع ما في استعمال هذه الكرنتينة من الاقتداء بالاعاجم والتزيى بزي الكفرة الضلال ورمقهم بعين التعظيم ونسبتهم الى الاصابة والحكمة كما

قد يصرح به الحمقى من العوام . فاما اذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعياذ بالله ؟ فاي مفسدة اقبح من هذه ؟ فالحاصل ان الكرتينة اشتملت على مفسد كل منها محقق فتعين القول بحرمتها ، وجلب النصوص الشاهدة لذلك من الشريعة لا تعوز البصير . وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة النساء من الجامع الصحيح عند قوله تعالى : « ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم » ما نصه : « دل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ومن ثم علم أن العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب » اهـ . وهو يقتضى بظاهره أن الاحتراز عن الوباء واجب بأى وجه كان ، ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذى ليس فيه مفسدة شرعية ، كعدم القدوم على الارض التى بها الوباء ونحو ذلك مما وردت به السنة ولا تأباه قواعد الشريعة كبعض العلاجات المستعملة فى ابائه المنقولة عن أئمة الطب ، اما بالوجه الذى يشتمل على مفسدة أو مفسد كهذه الكرتينة فلا . هذا ما تحرر لنا فى هذه المسئلة والله أعلم .

ولما وقف على هذا الكلام اخونا فى الله العلامة الاستاذ أبو محمد عبد الله بن الهاشمى بن خضراء السلاوى وهو اليوم قاضى حضرة مراکش كتب الى ما نصه : « وأما حكم الكرتينة فهو ما ذكرتم من الخطر وبه أقول لما فيه من الفرار من القضاء مع المفسد العظيمة التى لا تنفى بها مصلحتها على فرض تحققها أو غلبة ظن حصولها سيما وقد انتفيا بعد التجربة المتكررة فى الجهات المتعددة ، ولا يخالف فى هذا الحكم الا مكابر متبع للهوى فماذا بعد الحق الا الضلال » ثم جلب حفظه الله من النصوص ما يشهد لذلك ، تركناها اختصارا والله تعالى الموفق بمنه .



وفاة المنصور رحمه الله



كان المنصور رحمه الله بعد فراغه من قضية ابنه المأمون قد عزم على الرجوع الى مراكش ، فلما بلغه ظهور الوباء بتلك الناحية تربص الى أن دخلت سنة اثنتى عشرة وألف فانتشر الوباء فى بلاد الغرب أيضا فكان مصاب المنصور به على ما نذكره .

قال، صاحب الاصلية وهو الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسى المعروف بأبى محلى : « كنا نسمع أن السلطان المنصور اذا خرج من مراكش قاصدا مدينة فاس لا يرجع الى مراكش ، وذاع هذا الخبر فى الناس قبل نزوله فكان الامر كذلك ، ثم لا أدري من أين للناس بذلك ، هل أنطقهم الله به أو عن علم تلقوه عن أربابه وكأنه الاشبه والله أعلم » قال : « ومن هذا ما ذكره بعضهم أيضا لكن بعد الوقوع والنزول ، ان دخول رابات أبى العباس المنصور فى حياته للسودان واستيلاءه على سلطانها سكية فى دار امارته كاغو مع تنبكو وأعمالها ، كل ذلك من امارات خروج الامام المهدي الفاطمى ؛ وكذلك الوباء المنتشر فى هذه الاعوام وكثرة الهرج والغلاء فى سائر البلاد حتى الآن ، وبقي من امارات خروجه فيما نسمع فتح وهران اما على يده أو باذنه فيما يقوله من لا علم عنده بحقيقة الامر » اه .

وكان ابتداء مرض المنصور بمحلته خارج فاس الجديد قرب سيدى عميرة يوم الاربعاء حادى عشر ربيع النبوى سنة اثنتى عشرة وألف ، ودخل الى داره بالمدينة البيضاء عشية ذلك اليوم واحتل بها بعد الغروب وتوفى هنالك ليلة الاثنين الموالى لتاريخه ، ودفن بازاء مقصورة الجامع الاعظم هنالك ضحوة يوم الاثنين المذكور ، وحضر جنازته ولده زيدان وقدم للصلاة عليه مفتى فاس وخطيب جامع القرويين بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار قال اليفرنى : « كانت وفاة المنصور بالوباء » وقال الشيخ أبو محمد عبد الله بن يعقوب السملالى فى شرحه للجامع شامل بهرام : « كان بالمغرب وباء

استطال به من سنة سبع الى سنة ست عشرة وألف ، وعم سهل المغرب وجبله
 حتى أفنى أكثر الخلق ومات به جمع من الاعيان ، وبه مات السلطان أبو العباس
 أحمد المنصور رحمه الله ، ونحوه ذكره صاحب الفوائد وغيره . قال اليفرنى :
 « وبه تعلم أن ما شاع على اللسان من ان المنصور سمه ولده زيدان بإشارة من
 أمه الشبانية فى باكور أوائل ظهوره ، وقطع عنه الأطباء الى أن هلك ، وان
 المنصور لما أحس بذلك قال : استعجلتها يازيدان لا هناك الله بهما ؟ أو كلاما
 هذا معناه ، : قالوا : وبسبب ذلك لم تنصر لزيدان راية ، فانه انهمزم فى
 زهاء سبع وعشرين معركة كله كذب لا أصل له ، لان المنصور طعن بالوباء
 ولم يذكر أحد ممن يوثق به ما شاع على السنة العامة وأضرابهم من الطلبة ،
 اه . ثم نقل المنصور رحمه الله بعد دفنه الى مراکش فدفن بها فى قبور الاشراف
 قبلى جامع المنصور من القصبة ، وقبره هنالك شهير عليه بناء حزيل ، ومما
 نقش على رخامة قبره هذه الايات .

به المعالى تقتخر	هذا ضريح من غدت
لكل مجد مبتكر	أحمد منصور اللوا
بكل نعمى تستمر	يا رحمة الله اسرعى
من رضاه منهمر	وباكرى الرمس بما
ند كذكره العطر	وطيبى ثراه من
ة دون تفنيد ذكر	وافق تاريخ الوفا
عند ملك مقتدر	مقعد صدق داره



بقية اخبار المنصور وبعض سيرته



كان المنصور رحمه الله حسن السياسة حازما يقظا مشاورا فى مهمات الامور ، وكان قد اتخذ يوم الاربعاء للمشورة ، وسماه يوم الديوان ، تجتمع فيه وجوه الدولة ويتطرحون فيه وجوه الرأى فيما ينوب من جلائل الامور وعظيم الوازل ؛ وهناك يظهر شكايته من لم يجد سبيلا للوصول الى السلطان ، قالوا : ومن حزمه انه كان متطلعا لخبار النواحي بحائنا عنها ، غير مترائخ فى قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولا يبطىء بالجواب ، ويقول : « كل شىء يقبل التأخير الا مجاوبة العمال عن رسائلهم » . وكان الكتاب لا يفارقون مراكزهم الا فى اوقات مخصوصة .

قال الفشتالى : « ولقد كنا بالباب يوما - يعنى معشر الكتاب - قبل أن يخرج المنصور فورد النذير على الكاتب أبى عبد الله محمد بن على الفشتالى بأن ولدا له فى النزاع فلم يملك نفسه أن ذهب الى داره ، فخرج المنصور على اثره فسأل عنه ، فقليل انه ذهب الى داره ، فاستشيط غضبا وبعث اليه فجىء به مزعجا ، وما شككنا فى عقوبته ، فلما مثل بين يديه قال له : « ما الذى ذهب بك ؟ » فذكر له أمر ولده وانه اشتد به المرض ولم ينجع فيه دواء طبيب ، فرق له وقال : « ان امراض الصبيان قلما ينجع فيها الا طب العجائز ، ولا كعجائز دارنا فابعث من يسألهن » .

ومن حزمه انه اخترع أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم وكان يكتب بها فيما يريد أن لا يطلع عليه أحد يمزج فيها الخط المتعارف فيصير الكتاب مغلقا ، فاذا سقط ووقع فى يد عدو أو غيره لا يدري ما فيه ولا يعرف معنى ما اشتمل عليه ؛ فكان اذا جهز أحد أولاده ناوله خطا من تلك الخطوط يفك بها رسائله اليه ويكتب عنوانه كذلك .

ومن ضبطه أنه تعلم الخط المشرقى فكان يكتب به علماء المشرق كتابة كالحسن ما يوجد فى خط المشاركة ، ومما وقع له فى ذلك : أنه بعث بطاقة

بخط يده على طريقة أهل المشرق لكاتبه أبى عبد الله ابن عيسى يسندعى منه كتابا ، فبعثه ابن عيسى ليه وبعث معه بهذين البيتين :

سقتنى كؤس السرور دهاقا خطوط أتنسى فى مهرق

رأت كف أحمد فى الغرب بحرا فجاءت اليه من المشرق

وكان المنصور على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج يوظف على الرعية أموالا طائلة يلزمهم بأدائها ، وزاد الأمر على ما كان عليه فى عهد أبيه حسبما مر ، وكانت الرعية تشتكى ذلك منه ونالها اجحاف منه ومن عماله ، وكان غير متوقف فى الدماء ولا هيب للوقعة فيها . قال اليفرنى : « وتبع ما وقع فى ذلك يناقض المقصود من الاغضاء عن العورات والسر على الفضائح ، وقد ألعنا لك بما يكون دلا على ما وراءه » . وذكر أن بعض عمال المنصور عدا على امرأة من دكالة فأخذ منها أموالا فقدمت المرأة على المنصور بمراكش تشكو له ما نالها من عامله ، فلم يشكها ولا كشف ظلامتها فخرجت الى أولادها بالباب وقالت لهم : « انصرفوا فانى كنت أظن ان راس العين صافية فاذا بها مكدرة فلذا تكدرت مصارفها » .

ويحكى أن الفقيه القاضى أبا مالك عبد الواحد الحميدى قد سافر فى جمع من فقهاء فاس وأعيانها الى مراكش بقصد العيد مع المنصور كما هى العادة ، فمروا فى طريقهم على جماعة رجال ونساء قد سلخوا فى سلسلة واحدة ، وفيهم امرأة أخذها الطلق وهى فى كرب المخاض ، فرأوا من ذلك ما أهمهم وأحزنهم ؛ فبقى ذلك فى نفس القاضى ، فلما جلس الى المنصور ذكره له وأظهر الشكاية منه ، فسكت المنصور عن جوابه وهجره على ذلك أياما ، ثم ان القاضى تطف فى القول وأظهر التوبة مما صدر منه وعدها بادرة ، فقال له المنصور : « لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع أصحابك مسيرة عشرة أيام فى أمن ودعة ، فان أهل المغرب مجانين مارستانهم هى السلاسل والاغلال » .

واقدم وفد القاضى المذكور على المنصور فى بعض المواسم مع الفقهاء فلما انصرفوا من الحضرة جمعهم الطريق بأرباب الموسيقى وأصحاب الاغاني

من أهل فاس ، وقد كانوا وفدوا أيضا على المنصور على سبيل العادة ، فأخرج بعضهم شبابة من الأبريز مرصعة أعطاه إياها المنصور ، وبعضهم قال أعطاني كذا ، وقال الآخر أجازني بكذا ؛ مما لم يعط مثله للقاضى وشيعته من الفقهاء ، فقال القاضى : « لئن بلغت فاسا لأوردن أولادى الى صنعة الموسيقى ، فان صنعة العلم كاسدة ، ولولا ان الموسيقى هى العلم العزيز ما رجعنا مخفقين ، ورجع المغنى بشبابة الأبريز » فنقل الى المنصور هذا الكلام فلذعه عليه يسير من الملام .

وذكر أبو زيد فى الفوائد ما صورته : « عدا محمد الكبير خال المنصور على رجل بدرعة فى ضيعة له فنسكاه الى المنصور ، فقال له : « كم تساوى ضيعتك ؟ » قال : « سبعمائة اوقية » قال : « خذها وقل لحالى الموعد بينى وبينك الموقف الذى لا أكون أنا فيه سلطان ولا أنت خال السلطان » فرجع صاحب الضيعة وأبلغ الى العامل كلام المنصور ، فأمسك برأسه ساعة ثم قال له : « ألحق بضيعتك ، وغرم له كل ما أكل منها » اه .

وقال فى المناهل : « كان للمنصور مصانع اخترعها ومآثر خلفها منها : المعقلان الكبيران اللذان أنشأهما بفاس ، أحدهما خارج باب عجيصة ، والآخر قبالة باب الفتوح ؛ وهذان المعقلان يعرفان عند العامة بالبستون ، وهما من الاتقان بحيث لا يعرف قدرهما الا من وقف عليهما ، وكان الشروع فى بنائهما يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة تسعين وتسعمائة . ومن ذلك الحصنان اللذان بناهما بثمر العرائش أحدهما يعرف بحصن الفتح ، وهما أيضا فى نهاية الوثافة والحسن . ومن ذلك معاصر السكر فانه أحدثها بمراكش وبلاد حاحة وشوشاوة . قال الفشتالى : « وكان ابتداء ذلك والسده أبو عبد الله الشيخ فكثر السكر فى أيامه بالبلاد المغربية حتى لم تكن له قيمة ، وقد تقدم انه كان يشتري الرخام من النصارى بالسكر ؛ ومن مآثره الليلة العظمى مع كرسىها من المرمر بجامع القرويين تحت منار الجامع المذكور ، وقد تقدم الخبر عنها . وقال ابن القاضى فى «المنتقى المتصور» : « ان اللباس المسمى بالمنصورية - وهو لباس من الملف - لم يكن مستعملا قبله ، وهو أول

من اخترعه واضيف اليه قليل المنصورية .

وكان فى مدة المنصور من الاحداث أنه :

فى سنة سبع وثمانين وتسعمائة وقع غلاء عظيم بالمغرب حتى عرف ذلك العام بعام البقول ، قال فى المرأة : « لما انتهب الناس غنيمة وادى المخازن كان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الاموال بالحرام فظهر أثر ذلك من غلاء وغيره وكنا نسمع ان البركة رفعت من الاموال من يومئذ . وفى هذه السنة ايضا أصاب الناس فى بعض فصولها سعال كثير قل من سلم منه ، وكان الرجل لا يزال يسعل الى أن تفيض نفسه فسمى العامة تلك السنة سنة كحكة .

وفى سنة احدى وتسعين وتسعمائة توفى الشيخ العارف بالله تعالى الكبير الشأن أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوى نسبة الى جنوة من بلاد الفرنج ، كان أبوه نصرانيا وأمه يهودية ؛ وسبب اسلام والده ما حكاه أبو العباس الاندلسى فى رحلته : انه كان له فرس ببلده جنوة فانطلق ليلا ودخل الكنيسة العظمى وراث فيها من غير أن يشعر بذلك أحد من السدنة ولا غيرهم ، ثم بادر باخراج الفرس ؛ ولما أصبح أهل الكنيسة ورأوا الروث قالوا : « ان المسيح جاء البارحة على فرسه الى الكنيسة وراث فيها » فاهتز البلد لذلك وتنافس النصارى فى شراء ذلك الروث حتى بيع قدر الذرة منه بمال جزيل ، فعلم أن النصارى على ضلال وهاجر الى بلاد الاسلام فنزل برباط الفتح من أرض سلا فوجد هناك امرأة يهودية فتزوج بها وولدت له الشيخ أبا النعيم ، فنشأ مثلاً فى العلم والولاية ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم . وكان رضى الله عنه يقول : « خرجت من بين فرث ودم » ؛ أخذ الطريقة عن أبى محمد الغزوانى وقدم عليه مراکش ثم عاد الى فاس فمات بها فى السنة المذكورة ودفن خارج باب الفتوح .

وفى سنة خمس وتسعين وتسعمائة توفى الشيخ العلامة الامام أبو العباس أحمد بن على المنجور ، كان متبحرا فى العلوم خصوصا أصول الفقه ، أخذ عن اليسيتى وأبى زيد سقين العاصمى وأبى الحسن بن هرون وأبى مالك الوائيسى وغيرهم .

وفى سنة سبع وتسعين وتسعمائة توفى الشيخ أبو الشتاء الشاوى دفين جبل آمركو من بلاد فشتالة ويقال اسمه محمد بن موسى وكنى بأبى الشتاء لان الناس قحطوا ولجأوا اليه فسقوا فى الحين ، وهو من أصحاب الشيخ الغزوانى . ويقال : ما لقيه الا مرة بقيلتها الشاوية فعينه ومكنه فهم على وجهه وكان من أمره ما كان .

وفى ثامن عشر ربيع الثانى سنة ثلاث وألف توفى القاضى أبو محمد عبد الواحد بن احمد الحميدى ودفن بروضة الشيخ أبى زيد الهزميرى خارج باب مصمودة من عدوة فاس الاندلس وقد تقدمت بعض أخباره .

وفى سنة أربع وألف توفى الشيخ أبو الحسن على بن منصور البوزيذى المعروف بأبى الشكاوى دفين شالة وبها كان سكناه ، أخذ عن الشيخ المجذوب وأبى الرواين المحبوب وغيرهما ، وأولاده يتسبون الى عيسى بن ادريس الحسنى دفين آيت عتاب والله تعالى أعلم .

وفى سنة ست وألف توفى الشيخ الربانى أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعرى دفين تاستاوت من مشاهير الاولياء ، كان أول نشأته بمكناسة الزيتون ثم خرج الى البادية بعد أن صعبت عليه القراءة ، ورأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : « انك لن تقرأ ولكنك شيخ » فخرج الى البادية وكان يظن انه يكون من اشياخ القائل حتى هبت عليه نفحة رحمانية فقدم مراكش وأخذ عن الشيخ أبى عمرو القسطلى ورجع الى باديته فبنى مسجدا فى الموضع الذى عين له شيخه لسكناه ، فيقال انه لما قيل له جعلت محرابه منحرفا عن القلة اشار بيده الى جهة مكة فترحزحت الجبال حتى شاهد الحاضرون مكة والله على كل شىء قدير وكان الشيخ ابو عبد الله محمد الشرقى معاصرا له فقليل له : ان الشيخ ابن مبارك قال : « أهل زماننا محسوبون علينا » فقال : « اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك . وفى هذه السنة أيضا كان الطاعون العظيم بمراكش وغيرها بحيث عم تلول المغرب واستطال فيها ومات به جمع من الاعيان منهم الشيخ ابن مبارك المذكور .

وفى سنة تسع وألف فى جمدى الآخرة منها كان سيل عظيم بفاس ،

ثم فى شعبان من السنة المذكورة كان سيل أعظم من الاول تهدمت منه الدور والخوانيت ، وتهدم سد الوادى بفاس على وثاقته وأحكامه ، وهذا السد هو الذى كان جدده السلطان أبو العباس أحمد الوطاسى ، ثم جدده المنصور فى هذه المرة من أحباس القرويين .

وفى سنة عشر وألف توفى الشيخ العارف بالله الربانى أبو عبد الله ، ويقال أبو عبيد محمد (فتحا) الشرقى ابن الولي الصالح أبى القاسم الزعرى الجابرى ثم الرثمى (*) ، هكذا نسبه صاحب المرأة وغيره ، ورفع أبو على المعدانى فى كتابه « الروض الفائح » نسبه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم نقل عن حفيده العارف بالله تعالى أبى عبد الله محمد الصالح ابن المعطى ما نصه : « ان الشيخ سيدى محمد الشرقى لم توجد هذه النسبة العمرية بخطه فيما عثرنا عليه ، أما بنو أخيه وبنوه وحفدته فقد وجدت بخط الثقة منهم وتواتر نقلها عنهم وكتبت فى اجازاتهم وكذا فى تمليكاتهم » اه وهذا الشيخ - أعنى أبا عبد الله الشرقى - كان من أكابر أهل وقته ، يقال انه بلغ درجة القطبانية وتخرج به جماعة من الاولياء ، وبعث اليه المنصور جماعة يختبرونه فظهرت لهم كراماته ، واتفقت له مع الشيخ المنجور كرامة حملته على أن وفد عليه زائرا ومدحه بقصيدة ذكر بعضها اليفرنى فى الصفوة ، وله مع أبى المحاسن الفاسى مراسلات ومواصلات ، ووقع بينهما كلام طويل انظر « ابتهاج القلوب » ؛ أخذ رضى الله عنه عن والده عن الشيخ التباع واعتمد على الشيخ الكبير أبى عبد الله محمد بن عمرو المختارى من أحواز

(*) وفى (نشر المثنى) عن الشيخ أنى عبد الله المسناوى فى نسب الشيخ المذكور السمرى هكذا بلفظ التصغير قال وأولاد سمير بالتصغير ينتسبون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى تقييد المؤلف الممتع : ما نصه : (هو من بنى جابر ثم من ورديفة ثم من الرثمة ثم من اولاد بحر ثم من أولاد سمير وكلهم ينتسبون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اه من خط مؤلفه

مكناسة ، وأخذ أيضا عن ابن مبارك الزعري وأبى محمد بن ساسى ، وتوفى
أوائل المحرم من السنة المذكورة ودفن بجعيدان وقبره شهير نفعا الله به
وبسائر أهل الله .



تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس
وأولـه :

الخبر عن دولة السلطان أبى المعالى زيدان بن أحمد المنصور رحمه الله تعالى

فهرس الموضوعات

محمدة

- ٣ الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان وذكر اوليتهم وتحقيق نسبهم
- ٦ الخبر عن دولة الامير ابي عبد الله محمد القائم بأمر الله وبيعته والسبب فيها
- ٨ أول نائبة فرضت في دولة السعديين
- ١٢ أخبار الامير ابي عبد الله القائم في الجهاد وما هيا الله له من النصر فيه
- ١٣ عقد الامير ابي عبد الله القائم ولاية العهد لابنه ابي العباس الاعرج رحمهما الله تعالى
- ١٣ انتقال الامير ابي عبد الله القائم الى آفغال من بلاد حاحة ووفاته بها رحمه الله
- ١٤ الخبر عن دولة السلطان ابي العباس الاعرج ابن الامير ابي عبد الله القائم رحمه الله
- ١٥ دخول السلطان ابي العباس الاعرج مراكش واستلاؤه عليها
- ١٥ نقل الشيخ الجزولي رضى الله عنه من مدفنه بافغال الى مراكش والسبب في ذلك
- ١٦ مجيء السلطان ابي عبد الله الوطاسي الى مراكش وحصاره للسلطان الاعرج بها ثم افلاعه عنها
- ١٦ خبر آسفي والثغور
- ١٧ حدوث النفرة بين الاخوين السلطان ابي العباس الاعرج ووزيريه ابي عبد الله الشيخ وما نشأ عن ذلك

- ١٨ امر زيدان ابن السلطان ابي العباس وما كان منه
الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المهدي
- ١٩ المعروف بالشيخ ابن الامير ابي عبد الله القائم بأمر الله
فتح حصن فوتي وآسفي وآزمور وما قيل في ذلك
- ٢٠ بناء حصن آكادير
- ٢١ - باستيلاء السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ على مراكش
وتجديد البيعة له بها
- ٢١ نهوض السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ لحرب بنى
وطاس واستيلاؤه على مكناسة وما اتفق له في ذلك
- ٢٢ حصار السلطان ابي عبد الله الشيخ حضرة فاس ومقتل
الشيخ عبد الواحد الوائش رضى الله عنه
- ٢٤ - لاستيلاء السلطان ابي عبد الله الشيخ على فاس وقبضه
الوطاسيين وتغريبهم الى مراكش
- ٢٥ نهوض السلطان ابي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه
عليها
- ٢٦ امتحان السلطان ابي عبد الله الشيخ ارباب الزوايا والمنتسبين
والسبب في ذلك
- ٢٧ وفادة الامام ابي عبد الله الحروبي من جانب دولة الترك
في شأن قسم البلاد وتحديدها
- ٢٨ قدوم ابي حسون الوطاسي بجيش الترك واستيلاؤه على
فاس ونفيه الشيخ عنها
- ٢٨ - عود السلطان ابي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها
مقتل الفقيهين ابي محمد الزقاق وأبي علي حرزوز
- ٢٩ والسبب في ذلك
- ٣٠ ترتيب السلطان ابي عبد الله الشيخ امر دولته وما قيل
في ذلك

- ٣٠ - بناء جسر وادى سبو وام الربيع
- ٣٠ - وضع الوظيف المسمى فى لسان العامة بالنائبة
- مراسلة لسلطان سليمان العثمانى لسلطان ابي عبد الله
- ٣١ - الشيخ وما نشأ عن ذلك
- قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثمانى
- ٣٢ - واغتيالهم للسلطان ابي عبد الله الشيخ رحمه الله
- ٣٥ - بقية اخبار السلطان ابي عبد الله الشيخ وسيرته
- الخبر عن دولة السلطان ابي محمد عبد الله الغالب بالله
- ٣٨ - ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله
- مجيء حسن بن خير الدين التركى الى فاس ورجوعه
- ٣٩ - منهزما عنها
- بناء جامع المواسين بحضرة مراکش والبركة المتصلة به
- ٣٩ - والمارستان وغير ذلك
- ٤١ - فتح مدينة شفشاون وانقراض امر بنى راشد منها
- ٤٢ - حصار البريجة المسماة اليوم بالجديدة
- وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ ابي العباس أحمد
- ٤٧ - ابن موسى السملالى رضى الله عنه
- ٤٨ - وفاة الشيخ أبى عمرو القسطلى دفين مراکش رضى الله عنه
- ٤٩ - استيلاء النصارى على حجر باديس والسبب فى ذلك
- ٥٠ - فتنة الفقيه ابي عبد الله الاندلسى ومقتله
- ٥٠ - ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية وما قيل فيهم
- لاحتيال النصارى بمكيدة البارود بجامع المنصور من مراکش
- ٥٢ - وما وقى الله تعالى من شرها
- ٥٢ - وفاة السلطان ابي محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله
- ٥٣ - بقية اخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

- الحزب عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المتوكل على
 ٥٧ الله ابن السلطان الغالب بالله رحمه الله
- الحزب عن دولة السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم بالله
 ٥٩ ابن محمد الشيخ واولية امره وما له
- مجيء السلطان ابي مروان عبد الملك بن الشيخ السعدي
 ٦١ بعسكر الترك واستيلاؤه على المغرب
- استيلاء السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم على حضرة
 ٦٤ فاس وما يتبع ذلك
- نهوض السلطان ابي مروان الى مراكش واستيلاؤه عليها
 ٦٥ وفرار ابن اخيه الى السوس وما نشأ عن ذلك
- استخلاف السلطان ابي مروان لاختيه ابي العباس احمد
 ٦٦ على فاس واعمالها
- ظهور ابي عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه الى مراكش
 ٦٧ واستيلاؤه عليها
- الغزوة الكبرى بوادي المخازن من بلاد الهبط والسب
 ٦٩ فيها
- بقية اخبار السلطان ابي مروان وسيرته
 ٨٦ وفاة الشيخ عبد الله بن سامي
- ٨٧ وفاة الشيخ عبد الله الهبطي
- ٨٧ وفاة الشيخ احمد بن موسى
- ٨٨ وفاة الشيخ عبد الرحمن المجذوب
- ٨٨ وفاة الشيخ عبد الله بن حسين دفين تامطلوحت
- الحزب عن دولة السلطان ابي العباس احمد المنصور بالله
 ٨٩ السعدي المعروف بالذهبي واوليته ونشأته
- ٩١ هدية الاصبول والبرتغال للمنصور السعدي
- ٩٣ عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ المدعو المأمون

- ٩٤ ثورة داود بن عبد المومن بن محمد الشيخ والسبب
فى ذلك
- ٩٥ حدوث النفرة بين المنصور والسلطان مراد العثماني وتلافى
المنصور لذلك
- ٩٧ ايقاع المنصور بعرب الخلط والسبب فى ذلك
استيلاء المنصور على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات
٩٨ وغيرهما
- ٩٩ تلخيص القول فى السودان المغرب والاشارة الى ممالكهم
ودولهم من لدن الفتح الاسلامى الى هذا التاريخ
- ١٠٣ وصول هدية صاحب برنو الى المنصور بحضرة فاس وما نشأ
عن ذلك من بيعته له والتزام ملاعته
- ١١١ بعث المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكية وما دار بينهم
فى ذلك
- ١١٢ مفاوضات المنصور الملا من أصحابه فى غزو آل سكية وما
دار بينهم فى ذلك
- ١١٥ استجازه المنصور لعلماء مصر رضى الله عنهم وتلمذه لهم
- ١١٦ تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المأمون وما وقع فى ذلك
- ١١٧ ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله
- بناء المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراکش
١١٧ حرسها الله
- بعث المنصور ببيلة الرخام الى جامع القرويين من فاس
١١٨ حرسها الله
- غزو السودان وفتح مدينة كاغو ومقتل سلطانها اسحق
١٢١ سكية رحمه الله
- ١٢٦ وفاة ام المنصور الحرة مسعودة الوزكيتية رحمه الله
- ١٢٦ حكم شرب الدخان

- ١٢٩ نكبة الفقيه ابي العباس احمد بابا السودانى وعشيرته من
آل آقيت والسبب فى ذلك
- ١٣١ حكم لاسترقاق اهل السودان
- ١٣٤ بناء قصر البديع بحضرة مراكش حرسها الله
- ١٤٥ ثورة الناصر ابن السلطان الغالب بالله ببلاد الريف ومقتله
- ١٥١ ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم واعتنائه بسائر الاعياد
- ١٦٣ ذكر سيرة المنصور فى ترتيب جيوشه وحالات اسفاره
- انتفاض ولى العهد محمد الشيخ المأمون على ابيه المنصور
- ١٦٩ وما آل اليه أمره فى ذلك
- ١٧٥ وفاة الشيخ أبى الشتاء رحمه الله
- ١٨٣ حكم الكرنتينة
- ١٨٦ وفاة المنصور رحمه الله
- ١٨٨ بقية أخبار المنصور وبعض سيرته
- ١٩٠ البرجان المعروفان بالبستيون بفاس
- ١٩١ وفاة الشيخ ابي النعيم الجنوى
- ١٩١ وفاة الشيخ ابي العباس المنصور
- ١٩٢ وفاة القاضي ابي محمد عبد الواحد الحميدى
- ١٩٢ وفاة الشيخ أبى الحسن البوزيدى المعروف بأبى الشكاوى
- ١٩٢ وفاة الشيخ محمد بن مبارك الزعرى
- ١٩٣ وفاة الشيخ أبى عبيد الشرقى

فهرس الاعلام والقبائل



ابن غانية ١١٣	حرف (أ)
ابن النحاس ١٢٠	آل آقيت ١٣٠
ابن اليسع ١٤٣	آل سكية ١٠١-١٠٢-١١١
ابو اسحاق ابراهيم بن يعقوب	آل عثمان ٩٧
الكانمي ١٠٢	أبرويز ١٦٤
ابو اسحاق ابراهيم السفيناني ١٦٩	ابن الابار ١٤٤
ابو اسحاق التونسي ٤٠	ابن بطوطة ٣٩
أبو اسحاق الطويجن ١٠١	ابن تودة ٥٤
ابو البقاء عبد الوارث الياصلوني	ابن حجر ٣٦
٥١ - ٨٧	ابن حزم الظاهري ٥٠
ابو بكر بن عمر اللمتوني ١٠٠	ابن حسين ٥٤
١١٤ -	ابن الخطيب ٣٠
ابو تمام ١٢٢	ابن خلدون ٢٢ - ١٣٣
ابو حامد الغزالي ١٣٢	ابن خلكان ١٠٢
ابو الحجاج التليدي ٨٧	ابن سيناء ٤٠
ابو الحسن بن المنصور السعدي	ابن شقراء ٥٤ - ٥٨ - ٦٤
١١٧	ابن عباد ٧٥
ابو الحسن بن ابى بكر آزنالك	ابن عباس ١٣٠
الحاحي ٣٤ - ٣٧	ابن عبد السلام ٥
ابو الحسن على بن ابى بكر السكتاني	ابن عبد الله ٥٠
٣٤ - ٣٧	ابن عرفة ٥

- ابو الحسن على بن ابي طالب ٧٤
 ابو الحسن على بن احمد الخصاصي ٣٧
 ابو الحسن على بن احمد المسفيوي ١٥٢
 ابو الحسن على بن سليمان التاملي ١٦٧
 ابو الحسن على بن عبد الله ٥١
 ابو الحسن على بن عثمان التاملي ٣٦ - ٨٧
 ابو الحسن على بن محمد التامجروتي ١٥٣
 ابو الحسن على بن منصور البوزيدي - ابو الشكاوي - ١٤٦ - ١٩٢
 ابو الحسن على بن منصور الشيعمي ٦٨ - ١٤١ - ١٥٢ - ١٥٦
 ابو الحسن على بن موسى بن راشد ٤١
 ابو الحسن على بن مرون ٣٥
 ١٩١ -
 ابو الحسن المريني ٣٩ - ١٠١
 ابو حسون الوطاسي ٢٥ - ٢٨
 - ٢٩ - ٣٢ - ٩٧
 ابو حفص عمر بن الشيخ ١٢١
 ابو حيان ٧٥
 ابو داود ١٥٦
 ابو راشد يعقوب البدرى ٣٥ -
 ٨١
 ابو الرواين المحجوب ٢٤ -
 ١٩٢
 ابو زكرياء بن عبد المنعم ١١٦
 ابو زكرياء يحيى بن عبد الله
 الحاحي ٥٤
 ابو زيان المريني ٣٠
 ابو زيد ١٩٠
 ابو زيد سقين العاصمي ١٩١
 ابو زيد عبد الرحمن بن تودة
 العمراني ٤٢
 ابو زيد عبد الرحمن بن عباد
 الضهاجي - المجذوب - ٨٨ -
 ٩٠ - ١٩٢
 ابو زيد عبد الرحمن التامنارتي ٩٠
 ابو زيد عبد الرحمن التلمساني
 ٥٣
 ابو زيد عبد الرحمن الفاسي ٧
 ابو سالم المريني ١٠١
 ابو السرور عباد السومسي ٥٣
 ابو سليمان داود بن عبد المومن
 ابن محمد الشيخ ٩٤
 ابو الشتاء الشاوي - محمد بن
 موسى - ١٧٥ - ١٩٢

٤٧ - ٥٣ - ٥٧ - ٨٨ -	أبو العباس أحمد الأعرج بن أبي
أبو العباس أحمد بن يحيى الهوزالى	عبد الله محمد القاسم بامر الله
٩٦	السعدى ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢
أبو العباس أحمد بن يوسف	١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ -
الراشدى ٥٠ - ٥١ - ٨٨	١٧ - ١٨ - ١٩ - ٣٤ -
أبو العباس أحمد الزمورى ٥٦	٣٧ - ٥٢
أبو العباس أحمد المنصور بالله بن	أبو العباس أحمد آفغاي ١٦٥
أبي عبد الله الشيخ السعدى ٤ - ٥	أبو العباس أحمد بابا السودانى ١٠٣
٣١ - ٣٤ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ -	١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٣ -
٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ -	أبو العباس أحمد بن أبي القاسم
٦٧ - ٦٨ - ٧٩ - ٨٠ -	الصومعى ١٤٦
٨٢ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٩ - ٩١ -	أبو العباس أحمد بن الحداد العمري
٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ -	٩٨
٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩	أبو العباس أحمد بن عبد الله
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ -	الدغوغى ٩٠
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ -	أبو العباس أحمد بن عبد الله
١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ -	السجلماسى أبو محلى ١٨٦
١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ -	أبو العباس أحمد بن عبد الله
١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ -	الوزكىتى ١١٧
٢٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٤ -	أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن
١٣٥ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ -	القيسى الشريشى ٩٩
١٤٦ - ١٤٧ - ١٥١ -	أبو العباس أحمد بن على المنجور -
١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٣ -	٢٣ - ٣٦ - ٣٧ - ٥٦ -
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ -	١٦٧ - ١٦٨ - ١٩١ - ١٩٣ -
١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٥ -	أبو العباس أحمد بن
١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٣ -	موسى الجزولى السملالى ٣٩ -

- ١٨٩-١٨٨-١٨٧-١٨٦
 ١٩٣-١٩١-١٩٠
 ابو عبد الله محمد بدر الدين
 القرافي - ١١٥ - ١٤٧
 ابو عبد الله محمد بن ابراهيم
 ابو شامة - ٢٣
 ابو عبد الله محمد بن يحيى ٩٤
 ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن
 البكري ١١٥
 ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن
 ابن راشد ٤١
 ابو عبد الله محمد بن ابي عبد
 القادر السعدي ٣٦
 ابو عبد الله محمد بن احمد بن
 عيسى ١٦٩
 ابو عبد الله محمد بن ادريس
 الجراري ١٨٣
 ابو عبد الله محمد بن بركة ٩٨
 ابو عبد الله محمد بن الحسن - ابو
 الليف - ١٢٠
 ابو عبد الله محمد بن حسن
 الامغاري ٥٣
 ابو عبد الله محمد بن سليمان
 الجزولي ١٤ - ١٥ - ٣٤
 ابو عبد الله محمد بن الشيخ ابي
 زكرياء للمالكي - كدار - ٩٠
 ابو عبد الله محمد بن الطيب ٩٢
 ابو عبد الله محمد بن عبد القادر
- ١٨٩-١٨٨-١٨٧-١٨٦
 ١٩٣-١٩١-١٩٠
 ابو العباس احمد النقيس ١١٩
 ابو العباس احمد الوطاسي ١٧ -
 ١٩٣-٢٢
 ابو العباس الاندلسي ١٩١
 ابو العباس بن افاضي - ٦ - ٨
 ٣٩-٢٠-١٩-١٧-١٤
 ١١٨-٨٦-٦٩-٥٨-٥٢
 ١٩٠-١٤٦-١١٩
 ابو العباس بن ودة العمراني ٩٦
 ابو العباس المقرئ ٤
 ابو عبد الله ابن الاحمر ١٢
 ابو عبد الله بن عيسى ٦٨-١٨٩
 ابو عبد الله الترغفي ٤٧
 ابو عبد الله الحروبى ٣١-٥١
 ابو عبد الله الشرفي ١٩٢
 ابو عبد الله العوفي ٥٧
 ابو عبد الله المزوار ٣٨
 ابو عبد الله المتوكل على الله بن عبد
 الله الغالب بالله - المسلوخ - ٤٢
 ٦٩-٦٥-٦٤-٥٨-٥٧
 ٨٤-٨٣-٨٢-٨١-٧٩
 ١٦٣-٨٥
 ابو عبد الله محمد الاندلسي ٥٠

السعدى ٥٥	ابو عبد الله محمد الشيخ السعدى
ابو عبد الله محمد بن عذارى	- المهدي - بن ابي عبد الله القائم
الاندلسى ١٤٢	بأمر الله - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٣
ابو عبد الله محمد بن عسكر ٨١	١٧ - ١٨ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤
ابو عبد الله محمد بن على بن	٢٥ - ٢٦ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠
ريسون ١٤٥	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤
ابو عبد الله محمد بن على الفشتالى	٣٥ - ٣٧ - ٥٢ - ٧٠ - ٧٨
١١٩ - ١٥٢ - ١٨٨	٧٩ - ٩٠ - ٩٧ - ٩٨
ابو عبد الله محمد بن على الهوزالى	ابو عبد الله محمد الشيخ المامون
- النابغة - ٩٢ - ١٥٢	بن المنصور ٩٣ - ٩٤ - ١٠٤
ابو عبد الله محمد بن عمر	١١٦ - ١١٧ - ١٢٦ - ١٤٦
الشاوى ١٤٦	١٤٨ - ١٨٦ - ١٩٠
ابو عبد الله محمد بن عمرو	ابو عبد الله محمد الصالح بن
المختارى ١٩٣	المعطى - ١٩٣
ابو عبد الله محمد بن قاسم	ابو عبد الله محمد العربى
القصار ١٤٥ - ١٨٦	الفاسى ٦٩
ابو عبد الله محمد بن مبارك	أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله
الزعرى ١٩٢ - ١٩٤	السعدى ٣ - ٦ - ٨ - ١٢
أبو عبد الله محمد بن مبارك	١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٦ - ٧١
الاقاوى - ٧	أبو عبد الله محمد المناعى ١٨٣
أبو عبد الله محمد البيرم ١٨٣	أبو عبد الله محمد الهبطى ٨١
أبو عبد الله محمد الحوران	أبو عبد الله النيجى ٥١
السعدى ٣٧	أبو عبد الله الهزميرى ١٦٧
أبو عبد الله محمد زين العابدين	أبو عبد الله الوطاسى البرتغالى ٨
البكرى ١٤٧	٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٦
أبو عبد الله محمد الشرقى ١٤٦	أبو عبد الله اليستنى ٣٧

- ١٤١ - ١٤٣ - ١٥١ - ١٥٢
 ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٨٨
 ١٩٠
 أبو فارس عبد العزيز الوزكي
 ٦٨ - ٦٩
 أبو فراس الحمداني ٦٨
 أبو الفرج بن الجوزي ٤٠
 أبو الفضل القاضي عياض ٧٢ - ٧٧
 أبو القاسم بن علي الشاطبي ٥٧
 ٩٦ - ١١٦ - ١٥٤
 أبو القاسم الزعري ١٩٣
 أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدي
 ٤٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ -
 ٦٥ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٨٦
 أبو مالك عبد الواحد بن أحمد
 الشريف السجلاسي ١١١ - ١٥٢
 ١٥٥ - ١٦٦
 أبو مالك الوائشريسي ١٩١
 أبو المحاسن حسن بن أبي نمي ١٥٠
 أبو المحاسن يوسف القاسبي ٧٨
 ٨٠ - ٨٢ - ١٢٠ - ١٩٣
 أبو محفوظ محرز بن خلف ٦٠
 أبو محمد بن إبراهيم التمارتي ٥٤
 أبو محمد بن ياسين ١٩٤
 أبو محمد الحياط ٥١
 أبو محمد عبد القادر بن الشيخ
 السعدي ٢٤
- أبو عثمان سعيد بن أبي بكر
 المشترك ٢٦
 أبو عثمان الهلالي الروداني ١٦٧
 أبو العلاء ادريس ١٠٨ - ١١٠
 ١١١
 أبو علي حرزوز المكناسي ٢٩
 أبو علي حسن بن عيسى المصباحي ٢٦
 أبو علي الحسن بن محمد
 الشريف ١٨٣
 أبو علي القوري ٨٣
 أبو علي اليوسي ١٤٦
 أبو عمران موسى بن أبي جمدي
 العمري ٣٧
 أبو عمران موسى بن مخلوف
 الكنسوسي ٥٧
 أبو عمران الوجاني ٣٤
 أبو عمرو القسطلي ٣٤ - ٤٨ -
 ١٩٢ - ٥٤
 أبو فارس بن المنصور السعدي
 ١٧٦ - ١٧٨ - ١٨٣
 أبو فارس عبد العزيز التباع ٨٨
 أبو فارس عبد العزيز الدباغ ١٠٣
 أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ٩٠
 ٩١ - ٩٣ - ١٠٦ - ١١٢
 ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢
 ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٦ - ١٤٠

- ابو محمد عبد القادر البرنوى ١٠٣
 ابو محمد عبد الله بن حسين
 الامغارى ٤٨ - ٨٨
 ابو محمد عبد الله بن ساسى
 ٢٠ - ٨٧
 ابو محمد عبد الله بن عمير
 المضرى ٣٦
 ابو محمد عبد الله بن على بن طاهر
 السجلماسى ٤ - ٥
 ابو محمد عبد الله بن محمد
 الجزولى ٨٩
 ابو محمد عبد الله بن محمد الفاسى
 ٥٥
 ابو محمد عبد الله بن محمد بن
 الهاشمى بن خضراء السلاوى ١٨٥
 ابو محمد عبد الله بن يعقوب
 السمالى ١٨٦
 ابو محمد عبد الله الغالب ٣١ -
 ٣٤ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩
 ٤٢ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٩
 ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤
 ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ - ٨٨ - ٩٠
 ١٤٥ - ١٦٣
 ابو محمد عبد الله الكوش ٢٠ -
 ٢٦
 ابو محمد عبد الله الهبطى ٨٧
 ابو محمد عبد الواحد بن احمد
 الحميدى ١٩٢
 ابو محمد عبد الواحد بن احمد
 الشريف السجلماسى ٥٦
 ابو محمد عبد الواحد بن احمد
 الوائشريسى ٢٢ ٢٣
 ابو محمد عبد الوهاب بن محمد
 ابن على الزقاق ٢٩
 ابو محمد الغزوانى ١٦ - ٨٧ -
 ١٩٢
 ابو محمد مؤمن بن الغازى ٨٩ -
 ٩٣
 ابو مروان عبد الملك المعتصم بالله
 ابن ابى عبد الله الشيخ السعدى
 ٣١ - ٣٤ - ٣٧ - ٥٨ -
 ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤
 ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ -
 ٧٢ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢
 ٨٣ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٥
 ١٤٥ - ١٦٣
 ابو المعالى زيدان بن المنصور ٥٤
 ابو مهدى عيسى بن الحسن المصباحى
 ٥٨
 ابو مهدى عيسى بن عبد الرحمن
 السكتانى ٥٣
 ابو ميمونة ٨٩

الافرنج الفرنج ١٦ - ٦٩ - ٧٥	ابو النعيم رضوان بن عبد الله
١١٣ - ١٨٣	الجنوى ٦٥ - ١٩١
الالمان ٨٢	ابو الوليد بن رشد ٧٧
الانصار ١٠٨	أحمد بن الحسن الحفصي ٥٩ - ٦٠
أهل أزمور ٤٤ - ٤٥	أحمد بن الحسن ١٨١
أهل الاندلس ١٦٣ - ١٨٩	أحمد بن حمو الدرعي ٥٨
أهل برنو ١٠٣	أحمد بن عبد الحق ١٧٤
أهل بلاد الهبط ١٢٠	أحمد بن علي السوسي البوسعيدى ٧
أهل البيت ٩٦	أحمد بن عمر بن موسى ٨٣
أهل تونس ٥٩	أحمد بن محمد الصغير ١٨٠
أهل الجزائر ٦٢ - ٦٣	أحمد بن محمد بن موسى ٥٤ -
أهل درعة ٣ - ٩٥ - ١٧٥	١٨١
أهل درن ١٧٩	أحمد الهبطى ٥٧
أهل سجلماسة ٣	أحمد اليستنى ٣٦
أهل السوس ٦ - ٧ - ٨ - ١٠	أحمر ١٧٣
١٨ - ١٧٥	اسماعيل بن الشريف ١٤٣
أهل السوس الاقصى ٢٩ - ٧٤	اسحق بن داود ١٠٢ - ١١١
أهل السودان ١٠٣ - ١١٤ -	اسحق سكينة ١١٢ - ١٢٢ -
١٢٦ - ١٢٩ - ١٣١	١٢٣
أهل الشام ٧٤	الاصنيول ٥٩
أهل طرابلس ٦٢	الاصنيوليون ٨٥
أهل العدو ٧٠ - ٧٥	الاصطنبوليون ٨٥
أهل غانة ١٠٠ - ١٠٣ - ١٣٣	الاروام ١١٣
أهل غرناطة ٥٤	الزريديانيون ٥
	اعراب المغرب ١٣٢
	الاغا ٦٣

أهل فاس ١١ - ٢٢ - ٢٣ - ١٧٨	أولاد طلحة ١٧٠ - ١٧١ - ١٨١
أهل القص ٧٨	أولاد عمران ٦٤ - ١٧٣
أهل كانم ١٠٣	أولاد القائد بركة ١٧٤
أهل كنوا ١٠٣	أولاد مطاع ٩٠ - ١٧٣
أهل مالى ١٠٠ - ١٠٣	أولاد النقيس ١١٩
أهل مراکش ٣٤ - ٣٨ - ٧٨	أولاد يحيى بن غانم ١٧٤
١٧٥	حرف (ب)
أهل المشرق ١٨٩	البابا ٨٢
أهل المغرب ٥٤ - ٧٠ - ٨٢ -	بابا حمو اكران ١٧٢
١٨٩ - ١٣٣	بابا عبد القادر ١٧٢
أهل مملكة كوكو ١٠١	بابا عبد الله ١٧٢
أولاد ابى راس ١٧٣	بابا عبد الملك ١٨٢
أولاد ابى السباع ٨٧	بابا منصور ١٧٢
أولاد ابى الليف ١١٩ - ١٢٠	الباشا جـؤدر ١٢١ -
أولاد ابى محمد عبد الله بن ساسى	١٢٢ - ١٢٣ - ١٦٣ - ١٦٤ -
١٧٨	١٧٦ - ١٧٧ -
أولاد ابى عزيز ١٧٣	الباشا محمود ١٦٣ - ١٦٤
أولاد جلول ٧٩	البخارى ٢٣ - ٣٦ - ٧٧
أولاد حسين ١٧٤	٩٠ - ٩٧ -
أولاد الشيخ أبى البقاء خالد	بختيار ١٦٣
المصمودى ٣١	البرانس ١٤٥
أولاد الشيخ أبى زكرياء يحيى بن	البربر ٩٤ - ١٠٠ - ١٣٤
بكار ١٧٨	البرتغال ٦ - ٩ - ١٠ - ١١
أولاد الشيخ أبى عمرو القسطلى	١٢ - ١٣ - ١٦ - ٤٢ -

حرف (ت)

تاج الدين السبكي ٥٥
الترك - الاتراك ٢٥ - ٢٨ - ٣١
٣٣ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٢ -
٤٣ - ٤٩ - ٥٤ - ٦٣ - ٦٤
٦٥ - ٨٥ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٧ -
١١٤ - ١٣٠ - ١٤٥ - ١٧٠
١٧٢ - ١٧٤
التكروري ١٠١

حرف (ج)

جراوة ٦٨
جرمون ٦٤
جسيمة ٧
جلال الدين السيوطي ١٠٢

حرف (ح)

الحاج قرقوش ١١٧
الحاج محمد سكية ١٠١ - ١٠٢
حاجة ١٣
حام بن نوح ٩٩
الحبشة ١٠٨
الحران ٢٤ - ٢٥
حسن بن خير الدين التركي ٢٥ -
٣٩ - ٥٩
الحسن بن قاسم ٣

٦٩ - ٧٨ - ٨١ - ٨٢ -
٨٤ - ٨٥ - ٨٨ -

البرتغاليون ١٩ - ٢٠

البرزلي ٧٥

بغا ١٦٣

بركات ٧

بنو آقيت التكروريون ١٢٩

بنو ابي حفص ٥٩

بنو امغار ٨٨

بنو حسن ٩٨

بنو صالح ١٠٠

بنو صالح بن منصور الحميري ٢٢

بنو راشد ٤١ - ٥٧

بنو سعد بن بكر ٤ - ٦

بنو العباس ١٠٩

بنو عبد الواد ١١٣

بنو مرين ٢٦ - ٣٠ - ١٠٣ -

١١٤

بنو معقل ٩٥

بنو وطاس ٧ - ١٠ - ٢٤ - ٢٨

٣٢ - ٣١

البليدروش ٤٣

بهرام ١٨٦

يلاربای ١٦٥

رفاعة الطهطاوى ١٨٣

رمضان العليج ٨٦

الروافض ٥١

الروم ٧٧

الريكى ٨٤ - ٩١

حرف (ز)

الزرهونى ٥٤

زيدان بن ابى العباس أحمد الاعرج

السعدى ٣ - ١٢ - ١٨

زيدان بن المنصور ١١٦ - ١١٧

١٣٠ - ١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٨

١٨٦ - ١٨٧

الزيدانيون ٩

حرف (س)

سبستان ٦٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣

٨٤ - ٨٦ - ٩١

سحابة الرحمانية ٦٢ - ٦٣

السعديون ٣ - ٤ - ٥ - ٦ -

٢٤ - ٣٠ - ٣١ - ٤٣

سعيد بن صالح ٢٢

سعيد بن على الحامدى ١٨

سعيد الرغالى ٦٤

السفاح ١٠٩

سكية ١٨٦

سلمان ١٦٢

الحسن بن محمد الحفصى ٥٩

الحسين العليج ٨٣

الحفصيون ٥٩

حليمة السعدية ٤

الحنفية ٧٦ - ٧٧

حيدر باشا ٦٠

حرف (خ)

الحزندار ٦٣

خير الدين باشا التركى ٥٩

الحيزران ١٧٧

خلفاء بنى العباس ١٣٠

حرف (د)

داود بن محمد ١٠٢

الدولاتى ٦٢ - ٦٣

دولة ابى حفص ٦١

دولة بنى زيان ٢٥

الدولة الحفصية ١٠٣

الدولة السعدية ١٦٥

دولة السعديين ٨ - ٥٥

دولة الشرفاء ٧

الدولة المرينية ٩٧ - ١٠١

الدولة الوطاسية ٣١

حرف (ر)

رضوان العليج ٨٠ - ٨٦

- سليمان العثماني ٣١ - ٣٢ - ٣٣
 ٣٤ - ٣٣
 سليم بن سليمان العثماني ٣٤ -
 ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٨٥ -
 ١٠١
 سنان باشا ٦٠
 السودان ٩٩ - ١١١ - ١١٢
 ١١٤
 سيدة الملك ١٨٢
 حرف (ش)
 الشاطبي ١٥٢
 الشاطبي - القاضي - ١٦٧
 الشاوية ١٩٢
 الشراقة ٥١
 الشرقي ٥٤
 الششتري ١٥٢
 الشطبي ٥١
 الشياظمة ١٠ - ١٣ - ١٧٣
 الشيخ ابن زيدان ٤
 الشيخ التباع ١٩٣
 الشيخ عبد الجليل ١٦٧
 الشيعة ٥١
 حرف (ص)
 صالح باي ٣٢
 صالح بن عبد الله ١٠٠
- صالح التركماني ٢٨ - ٣٣
 الصدر الاعظم ٦٢
 ضهاجة ١٠١
 حرف (ط)
 طاهرة ابنة المنصور السعدي ١٨٢
 الطليان ٨٢
 الطليطي ٢٢
 حرف (ع)
 عبدة ١٧٣
 عبد الرحمن بن تودة ٥٧
 عبد الصادق بن ملوك ٥٤
 عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي
 ١٧٨
 عبد الكبير بن ابي عبد الله محمد
 القائم بامر الله السعدي ٩ - ١١
 عبد الكريم بن الشيخ ٥٤
 عبد الكريم بن مؤمن العلج الجنوي
 ٥٤ - ٥٧
 عبد الله بن حسين ١٠٠
 عبد المومن بن ابي عبد الله محمد
 الشيخ السعدي ٣٧ - ٥٩
 عبد المومن بن علي ٣٠ - ١٤٢ -
 ١٤٣
 عبيد الله المهدي السعدي ٢٢
 عثمان بن ابي عبد الله محمد الشيخ

حرف (ف)

برنسا ٩٢
فيليب الثاني ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ -
٩١

حرف (ق)

قاسم بن حسن ٤
قاسم بن محمد ٤
قاسم الزرهوني ٣٠ - ٥٧
قائل الحوز ٤٢
قائل السوس ٧ - ٢٨ - ١٧٣
القبايل السوسية ١٢ - ١٨
قبايل المغرب ٣١
قبيلة زمور ٧٩
قرش ١٠٨

حرف (ك)

كاغو ١٠١
الكريني ١٧٤

حرف (ل)

لسان الدين بن الخطيب ١٦٢
للم ١٣٣
لوزير مارية ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ -
٤٥ - ٤٦ - ٨٥

حرف (م)

الموردي ٧٢
ماري زاطة ١٠١
مالك ٧٧

السعدي ٣٧

المعجم ٧٦ - ١٦٣
المغرب ٥٠ - ٧٦ - ١١٦ -
١٦٣

عرب الودايا ٩٥

العارفة بنت خجو ٣٠
عزوز بن سعيد الوزكيتي ١١٦
عقبة بن نافع الفهري ١١٦
علوج ٩٦ - ١٦٣
العلويون ٣ - ٤ - ٥
على باشا ٦٠

على بن ابي بكر ٥٨
على بن مؤمن ٨٣
على بن محمد ١٧١ - ١٧٣
عمار ٧٤ - ١٦٣

عمر بن ابي عبد الله محمد الشيخ
السعدي ٣٧

عمر بن الحسن ابو الليف ١٢٠
عمر بن الخطاب ١٩٣
عمر بن محمد بن عبو ١٧٣
عمر بن محمود آقيت ١٣٠
عمرو الساف ١٥
عميرة ١٨٦

عيسى بن ادريس الحسني ١٩٢
عيسى بن مريم ١٠٦

- المالكية ٧٧
 مؤمن بن ملوك ١٧٤ - ١٧٧
 مؤمن بن منصور ١٨٠
 المتنبى ٣٦
 محمد ابو طيبة ٨٣
 محمد الامين الدفترى ٩٧
 محمد بن ابى القاسم ٣
 محمد بن احمد بن عيسى ٥٧
 محمد بن الحسن الحفصى ٦٠ -
 ٦١
 محمد (فتحا) بن الشريف ٤
 محمد بن عبد الرحمن السجلماسى
 ٥٧
 محمد بن عبد الرحمن الوردى
 ١٨١
 محمد بن عبد القادر ١٥٠
 محمد بن على الانكراتى اليملالى
 ١٨
 محمد بن عمر الشاوى ٨٦
 محمد بن عيسى ٨٦
 محمد بن الغالب بالله ٤٩
 محمد بن موسى بن ابى بكر ١٧٩
 محمد الكبير ١٩٠
 محمد النفس الزكية ٣ - ٤
 محمود آقيت ١٢١
 محمود باشا ١٢٣
 محيى الدين بن عربى ١٤٤
 مخلوف بن صالح ١٤
 المرباط الاندلسى ٥٤
 المرباطون ١١٣ - ١٣٤
 مراد بن سليم العثمانى ٩١ - ٩٢
 ٩٦ - ٩٧ - ١٠٤
 مريم السعدية ٦٧
 المرينيون ١١٣
 المسيح ١٩١
 معاوية ٧٤
 مسعود أوتادى ١٨١
 مسعود بن مبارك ١٨٢
 المسعود بن الناصر ١٦ ٨٩
 مسعودة الوزكيتية ٦٢ - ١١٧
 ١١٨ - ١٢٦
 مسعود الدورى ١٧٥
 مسعود الوصيف ١٧٩
 مسلم ٧٢
 المصامدة ٨
 مصطفى باشا ٦٠
 مصطفى باى ١٦٣
 المثلثون ١٠٠ - ١١٤ - ١٢٢
 المنابهة ١٧٣
 منسازاظة ١٠١
 منسا سليمان ١٠١
 منسا موسى بن ابى بكر ١٠٠ -
 ١٠١
 المنصور بن ابى عامر ١٤٣

منصور بن المزوار ١٧٢	حرف (هـ)
المنصور العباسي ١٠٩	الهبطي ٥٤
منصور النيلي ١٧٦	هنتاة ١٥
موسى بن ابي جمدى العمري ٩٨	حرف (و)
موسى ١٣٣	ولد آصناك ٥٤
مولود المشاوري ١٦٤	ولد ابراهيم بن الحداد ١٨١
المهدى الفاطمي ١٨٦	الوطاسيون ١٢ - ١٦ - ٢١ -
منويل ٨ - ١٠ - ١٢ - ٢٠ -	٢٩ - ٢٤
٨٤ - ٨٣ - ٨٢	الوكيل ٦٣
الموحدون ١١٣ - ١٣٤ -	ولى الدين ابن خلدون ١٣٣
١٤٢	حرف (ي)
الميلودي ٤٤	اليستيني ١٩١
حرف (ن)	يحيى بن تافوت ١٠
النصارى ٧ - ١٠ - ١٢ - ١٥ -	الشكارية ٣٢
١٧ - ٢٠ - ٢٤ - ٤٣ -	يعقوب الكانمي ١٠٢
٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ -	يعقوب المنصور الموحدى ١٠٢
٥٩ - ٦٠ - ٦٩ - ٧٠ -	اليفرنى ٣ - ٥ - ٧ - ١٢ -
٧٥ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ -	٢٥ - ٣٠ - ٣١ - ٤٠ - ٤١ -
٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٩١ -	٤٩ - ٥٤ - ١٤٣ -
١٧٤ - ١٨١ - ١٨٣ - ١٩٠ -	١٤٤ - ١٤٥ - ١٦٥ - ١٦٦ -
١٩١	١٦٩ - ١٨٧ - ١٩٣ -
الناصر بن الغالب ١٦ - ١٤٥ -	يوسف ١٨٢
١٤٦	يوسف بن تاشفين ٧٥ - ١٠٠ -
ناصر بوشتنوف ١١	١١٤
التجليز ٩٦	اليوسفية ٥٠
	يونس بن سليمان التاملى ٥٨

فهرس الاماكن

حرف (أ)	ارض الصحراء ٩٨
آزغار ٩٨	ارض المغرب ٣٠ - ٨٣ - ٩٩
آزمور ١٢ - ١٧ - ١٩ - ٢٠	١١٤
٤٢ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦	ارض المغرب الاقصى ٦٣
- ٨٨	ارض النوبة ٩٩
آسفى ١٠ - ١١ -	الاوربا ٨٤
١٢ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٩	اسبانيا ٨٢ - ٨٥
٤٣ - ٤٤	اشبونة ١٩ - ٤٣ - ٨٢ - ٨٤
آصيلا ٧ - ١٧ - ١٩ - ٦٧	اصطنبول ٦٠ - ١٠٤
٧٨ - ١١٩ - ١٤٥	افريقية ٢٢ - ٩٩ - ١١٤
آغمات ١٦٦ - ١٦٧	اقصى المغرب ١٢٥
آفقال ١٣ - ١٤ - ١٨	الاندلس ١٢ - ٦٤ - ١١٣ -
آقت ٧ - ٨	١٤٣ - ١٤٥ - ١٥١ - ١٦٣
أكادير ١٠ - ١٢ - ٢٠ - ٣٠	١٦٥ - ١٦٤
آكلكال ٣٣	امرام القاهرة ١٣٥
آيت عتاب ١٩٢	حرف (ب)
ابو عفية - بتادلا - ١٢	باب تونس ٦٠
ابو غاص ٥٨	باب الخميس بمراكش ١٦ - ١٧٤
ارض التكرور ١٠٠	باب الفتوح بفاس ٦٤ - ١٩٠
أرض الحجاز ٣	١٩١
ارض السودان ١١١ - ١٣٣	باب الشماعين - احدى أبواب

بلاد السوس ٧ - ٨٨	القرويين ٢٣
البلاد السوسية ١٣ - ١٥ - ٢٠	باب عجيسة بفاس ١٤٠ - ١٩٠
بلاد عبدة ١٠	باب مصمودة بفاس ١٩٢
بلاد الغرب ١٨٦	باديس ٣٩
بلاد غمارة ٤١ - ١١٧ - ١٤٥	باريس ١٨٣
بلاد الفحص ١٧٢	البحر المحيط ٩٩ - ١٢٥
بلاد فشتالة ١٧٥ - ١٩٢	البيدع ١٣٤ - ١٣٥ - ١٤٢
بلاد كوكو ١٠٠ -	١٤٣ - ١٤٤ - ١٦٤
البلاد المراكشية ٦٥	برج العيون ٥٩
بلاد مصر ٩٩	برنو ٩٩ - ١٠٣ - ١٠٥ -
بلاد المغرب ٦٩ - ٨٣ - ٨٦ -	١١١
٩٩ - ١٣١	البريجة ٤٢
البلاد المغربية ١٩٠	البستيون ٦٠
بلاد النوبة ١٢٥	بسيط عبدة ١٠
بلاد الهبط ٧ - ٤١ - ١١٧	القرويين ٢٣
البوغاز ٤٩	بلاد آل سككية ١٢٢
بوغاز طنجة ٤٨	بلاد الأفرنجية ١٣٥
بويباون ١٧٩	بلاد برنو ١٢٥
حرف (ت)	بلاد الترك ١٥٣ - ١٦٣
تاجمدارت ٧	بلاد تيكورارين ٤٠
تازا ١٤٥	بلاد درعة ١٢٦
تادلا ١٦ - ٢١ - ١١٧ - ١٧٥	بلاد حاحة ١٠ - ١٣٥ - ١٩٠
تارودانت ٨ - ١٠ - ١٤ - ٣٣ -	بلاد الروم ١٣٥
٣٤ - ٩٠ - ١٦٧	بلاد السودان ٩٩ - ١٠٠ -
تاستاوت ١٩٢	١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥ - ١١٢
تافيلالت ١٢ - ٥١	١١٣ - ١٢٦ - ١٢٩

ثنية الكلاوى ١٢١	تافالت - ١٧٥
حرف (ج)	تامسنا ٧٨ - ٧٩ - ١١٦
جامع ابن يوسف ٣٩	تامصلوحت ٤٨ - ٨٨ - ١٨٠
جامع الاشراف ٣٩ - ٤١ -	تانسيفت ٢٠ - ٩٤
١٨٧ - ١٨٦	تاهدارت ٨٠
الجامع الاعظم بتونس ٦٠	ترغة ٤١
جامع القرويين ١١٨ - ١٤٥	تطاوين ٧٩ - ٨٤
١٩٠	التكرور ١٠٢ - ١٣٣
جامع المنصور بمراكش ٣٥ - ٥٢	تلمسان ٤ - ٢٥ - ٣١ - ٣٤ -
١٦٤ - ٧٧	٣٦ - ٣٧ - ٥٩ - ٦١ - ٧٧
الحجاية ١٤٦	١١٣ - ١١٤ - ١٣٠ - ١٧٠
جبال السوس ٦٧	١٧٢
جبل درن ١٠ - ٣٣ - ٦٨	تبكسو ١٢١ - ١٢٣ -
جبل سكسيوة ٩٤ - ٩٥	١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٥
جبل هوزالة ٩٥	١٨٦
الجديدة ١٧ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٥	توات ٩٨ - ١٠٥ - ١١٢
١٨٣ - ٥٤ - ٤٦	تونس ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢
الجزائر ٢٥ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٤	١٧٤ - ٧٧
٦٢ - ٦١ - ٦٠ - ٥٩ - ٤٩	تيدسى ٨ - ١٢
٩٥ - ٩١ - ٨٨ - ٦٣	تيط ٨٨
١٧٤	تيكورارين ٩٨ - ٩٩ - ١٠٥
جزيرة مالطة ٨٥	١١٢
جسر وادى ام الربيع ١١٧	تيلمست ١٤
جعيدان ١٩٤	تينزرت ٦٨
جنان الصالحة ١٤٢	حرف (ث)
	الغور الهبطية ٤٩

الركن ٦٤	جنوة ١٩١
الرملة ٥٨	حرف (ح)
الرميلة ١٦٥	الحاجب ١٤٦
روضة السعدين ٣٥	الحجاز ٣ - ٩ - ١٠١ - ١٥٠
روضة الشيخ ابي زيد الهزميري ١٩٢	حجر باديس ٧ - ٤٩
رومة ٤٤ - ٨٢	حصن الفتح ١٩٠
رياض الزيتون ٥٠	حصن فوتي ١٩
حرف (ز)	حلق الوادي ٥٩ - ٦٠
الزاهرة ١٣٥ - ١٤٣ - ١٤٤	حمام المريني ٣٧
الزهراء ١٣٥ - ١٧٧	حومة المواسين ٣٩
زوراء العراق ١٣٦	حرف (خ)
حرف (س)	خندق الريحان ٦٥
ساحل طيط ٤٣	خندق الوادي ١٧٩ - ١٨١ -
سبتة ٣٦ - ٤٨ - ٨٤ - ١١٩	حرف (د)
سجللماسة ٣ - ١٨ - ٣٤ - ٥٩	دار الديبغ ١٧٤
١٧٠ - ٩٩ - ٦١	درعة ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١
سغاي ٩٩ - ١٠٣	١٢ - ٣٣ - ١٢١ - ١٩٠
سلا ٣٠ - ٦٥ - ٧٩ - ١٧٤	الدعاع ٢٦ - ٥٨
١٩١ - ١٨٣ - ١٧٩ - ١٧٥	دمنات ١٨٠
السودان ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ -	الدوح ١٧٥
١٢٣ - ١٢٢ - ١٢١ - ١٠٤	ديار الروم ٧٨
١٨٦ - ١٦٣ - ١٣٣ - ١٣١	حرف (ر)
	رباط الفتح ١٩١

حرف (ع)

العدوة ٧٩

عدوة فاس الاندلس ١٩٢

العرائش ٦٧ - ٧٩ - ٨٢ -

٨٣ - ٨٤ - ١٩٠

حرف (غ)

غانة ٩٩ - ١٠٠

الغرب ١٠٠ - ١٧٥

حرف (ف)

فاس ٤ - ٨ - ٩ - ١١ - ١٢

٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٨

٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٧ - ٣٩

٤٦ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٤ -

٦٦ - ٦٨ - ٧٩ -

٨٤ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ -

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ -

٩٧ - ٩٨ - ١٠٤ - ١١٦ -

١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ -

١٢٦ - ١٤٦ - ١٦٦ -

١٧٠ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٩٠

١٩٢ - ١٩٣

فاس الجديد ٣٨ - ٥٥ - ٦٤ -

١٧٦ - ١٨٦

فحص طنجة ٥٨

فوتى ٢٠

السوس ٧ - ١١ - ١٣ -

١٩ - ٣٣ - ٣٦ - ٦٦ - ٦٨

١١٧ - ١٦٣ - ١٧٨ - ١٧٩

١٨٠ - ١٨٣

السوس الأقصى ١٠ - ٢٠

حرف (ش)

شالة ١٩٢

الشام ١٣٥

الشرق ٩٩ - ١٠٠

شفشاون ٤١ - ٥٧

شوشاوة ١٣٥ - ١٩٠

حرف (ص)

الصحرا ٩٥٠ - ١٠٠ - ١١٤

صعيد مصر ١٢٥

صقلية ٦٠

سوصو ٩٩ - ١٠٠

حرف (ط)

طرابلس ٦٠

طريق تاحضشت ١٧٩ - ١٨٠

طنجة ٧ - ٥٨ - ٦٨ - ٦٩ -

٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٨

حرف (ظ)

ظهر الزاوية ١٧٨

كوكو ٩٩

حرف (م)

مالى ٩٩ - ١٠٠

المدينة ٦ - ٤١ - ١٥٠

المدينة البيضاء ١٧٩

المحمدية ١٨٠

مراكش ٤ - ١١ - ١٤ - ١٥

١٦ - ٢٠ - ٢١ - ٢٤ -

٢٦ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٥

٣٧ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٠ - ٥٥

٥٧ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ -

٦٧ - ٦٨ - ٧٣ - ٧٨ - ٧٩ -

٨١ - ٨٦ - ٨٧ - ٩١ - ٩٣ -

٩٤ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ -

١٠٥ - ١١٠ - ١١٦ - ١١٧ -

١٢١ - ١٢٦ - ١٣٠ -

١٣١ - ١٤٣ - ١٦٥ -

١٦٦ - ١٧٠ - ١٧٢ -

١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ -

١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٣ -

١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ -

١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ -

١٩٢

مرسى تطاوين ٩٦

مرسى طنجة ٤٩

المسجد الجامع بحومة باب كونة

حرف (ق)

فادس ٢٦ - ٨٣

القاهرة ١٣٥

قبور الاشراف ٣٤ - ٥٢ -

١٦٤ - ١٨٧

الفروين ٩ - ١٩٣

القسنطينية ٣٢ - ٥٩ - ٦١ -

٨٦ - ٩١ - ٩٦ - ٩٧

قنتالة ٥٩ - ٦٠ - ٩١ - ١٤٥

القصة بتونس ٦٠

القصة بفاس ١٠٤

القصة بمراكش ٥٢ - ٦٠ -

٦٧ - ١٨٧

القصر ٥٨ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٤

١٢٠

القصر الكبير ٨٦

قصر كرامة ٨٠

قلعة نكور ٢٢

قنطرة عصماء ٥٨

القيروان ٦٠

حرف (ك)

كانغو ٩٩ - ١١٢ - ١٢٢ - ١٩٢

١٢٣ - ١٨٦

كانم ٩٩ - ١٠٢

كنتى ١٠٣

مملكة كاغو ١١١	بمراكش ١١٧
منار القرويين ٣٨	المسرة ١٢٥ - ١٤٢
حرف (ن)	المشتهى ١٢٥ - ١٤٢ - ١٦٤
نهر سبو ٦٥	مصر ٣١ - ١٠١ - ١٠٢ - ١١٥
نهر ورغة ١٧٥	المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨
النيل ٩٩ - ١٢٣ - ١٣٣	٩ - ١٠ - ١٢ - ١٣ - ٢٢
حرف (و)	٢٥ - ٢٨ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢
وادي ام الربيع ٣٠	٣٤ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٩ - ٦١
وادي تانسفيت ١٢١	٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٨
وادي سبو ٣٠	٦٩ - ٧٠ - ٨٢ - ٨٥ - ٨٦
وادي شراط ٦٥	٨٧ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٨
وادي سلف ٢٥	٩٩ - ١٠٠ - ١٠٥ - ١١٤
وادي اللبن ٣٩	١٢٥ - ١٢٦ - ١٣١
وادي المخازن ٤٢ - ٨٠ - ٨١	١٤٥ - ١٥١ - ١٧١ - ١٨٦
٩٥ - ٩١ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦	١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
٩٨ - ١٦٣ - ١٩١	المغرب الأقصى ٣١ - ٤٩
وادي مضي ٣٦ - ٥٨	المغرب الأوسط ٢٤ - ٣١
وادي نول ٢١	١٧٢
وادي النجاة ٦٤	مكة ٩ - ١٥٠ - ١٩٢
وهران ٤٩ - ١٨٦	مكناسة ٢١ - ٢٦ - ٧٩ - ٨٨
حرف (ي)	١١٧ - ١٧٦ - ١٧٨
ينبع النخل ٣ - ٥	١٩٢ - ١٩٤
	مليانة ٥٠
	مملكة برنو ١٠٣ - ١٠٤
	١٠٥

 Bibliotheca Alexandrina



0362783